يوليو (تموز) ١٩٩٢ - محرَّم ١٤١٣

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest July '92 N° 164

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

عصر ما بعد الشيوعية
(ص ٢١)

الزواج لغة مشتركة!
(ص ٩)

فضيحة "إيدز" في فرنسا
(ص ٤٠)

الجريمة الكاملة
(ص ١٠٥)



رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد.
أمانة التحرير: لورا نفاع، عائدة الموسوي.
الاشتراكات: فريال علاف
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس.
الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
التحرير والادارة: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE.
الهاتف: ٣٤١٥٩٧ / ٣٧٠٥٧٥(١).
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف ٢١٦٠٥٨ – ٣٢٧٤٨٤(٠١). التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان.
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، البوشرية – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE.
Tel. (1) 341597 / 370575.
Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O. Box 11-688, Beirut, Lebanon. Telex 43283 PRESSE LE.
Fax (1) 864572. Tel. (1) 216058/327484.



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

لبنان	١٥٠٠ ليرة.
سورية	٧٥ ليرة.
الأردن	١ دينار.
الكويت	١ دينار.
الامارات العربية المتحدة	١٠ دراهم.
قطر	١٠ ريالات.
البحرين	١ دينار.
السعودية	١٢ ريالاً
مصر	٢ جنيه.
السودان	١ جنيه.
ليبيا	٥٠٠ درهم.
الجمهورية اليمنية	٢٥ ريالاً
مسقط	١ ريال
قبرص	١،٥ جنيه.
تونس	١ دينار
المغرب	١٠ دراهم.
الجزائر	٧ دنانير.
انكلترا	١،٥ جنيه.
اليونان	٤٠٠ دراخما.
كندا وامريكا الشمالية	٢،٥ دولار.

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية
رئيس التحرير: كنيث توملنسون.
مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.



- كل فنان بدأ هاوياً.

رالف والدو إمرسون، كاتب وشاعر امريكي

- قد يكون الثناء أفضل مزاياك ما لم تكن أنت موضوعه.

ا.ب.

- لا يمكن أي انسان أن يكون لوقت طويل ذا وجهين، واحد لنفسه وآخر للبشر، الا ويربكه في النهاية أيهما هو الحقيقي.

ن.هـ.

- الفرق كبير بين عبارتي "صحيح تقريباً" و"صحيح تماماً."

هـ.ب.

- تاريخ البشرية هو تاريخ الافكار.

ل.ف.م.

- ما يحتاج اليه العالم هو مزيد من الحب وقليل من الاعمال المكتبية.

ب.ب.

- قد تضطرون الى خوض معركة غير مرة لربحها.

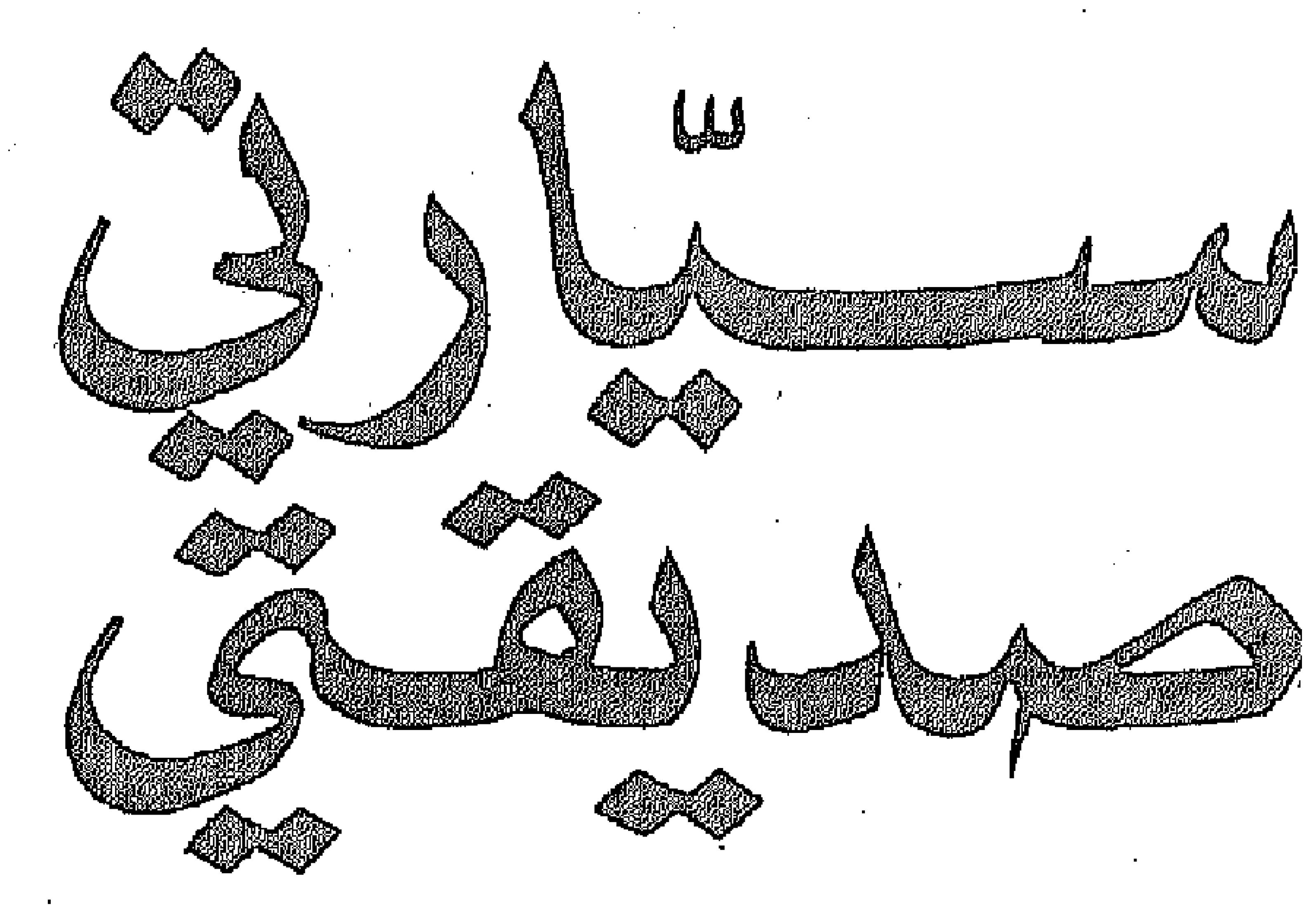
مارغريت تاتشر، رئيسة الوزراء البريطانية السابقة

- اذا رغبتم في أن يتحسن أولادكم، فدعوهم يسمعون الكلام الجميل الذي تقولونه عنهم للآخرين.

هـ.ج.


شو ما حبيت
معك بكل بيت
تلفزيون كل لبنان

توطدت بيننا علاقة بدائية وثيقة كتلك التي تنشأ بين الخيل وسوّاسها



لي ذات ثانية لا تختلف عن الأولى إلا قليلا. انها آلة نزقة غريبة الأطوار اسمها "إم جي." والحقيقة أن اسمها الكامل هو"ام جي بي ماركة ٤"* وقد صنعت في العام ١٩٧٧.

وإن يكن أصابها بعض الاهتراء الظاهر على هيكلها الخمري من خلال بقع خفيفة من الصدأ، الا أن هذا الهيكل متين، وفرشها الجلدي الأسود في حال ممتازة، ونغم محركها رائع حين يكون مزاجها صافيا. ومن حين الى آخر تفرغ بطاريتها وتحتاج الى شحن، ومن منا لا تحتاج بطاريته الى مثل ذلك؟

لكَم اندفعت حبيبتي المفعمة بالحيوية في طرق الريف المتعرجة مدندنة وهي تطوي المنعطفات، حتى اذا بلغت منبسطاً شرع عادمها يقرقع. وما إن نقترب من المنزل ونتوقف في المدخل حتى نتنفس كلتانا الصعداء ونطلق زفرة ارتياح كأننا نجونا من خطر محيق.

وهي تأبى أن تعود الى السير ما لم يحضر حبيبها الميكانيكي نك فيتلمسها برفق وحنان ويهمس لها عبارات عذبة تافهة غير عابىء بي.

فهو يحبها، أما هي فتثيره وتمتنع عليه. وأنا من يدفع ثمن علاقتهما المشبوبة.

شاهدتها للمرة الاولى جاثمة في فناء للسيارات



(*) MGB Mark IV

ILLUSTRATION: WILLIAM HOSNER

المستعملة، كئيبة، بائسة، كقطة صغيرة سُلخت عن أمها واحتُجزت في قفص. كلتانا كانت تجاوزت سن الشباب، وقد حفل هيكلانا بالانبعاجات. كانت هي تفتقر الى مضخة وقود، وأحزمة، وإطارات، ومرأب دافىء. فشغفت بها ولم تُجدِ معي محاولات مدير مصرف التسليف لاقناعي بالبحث عن وسيلة نقل أخرى اكثر ملاءمة ولياقة. ولكن، ماذا يعرف مديرو المصارف عن القضاء والقدر وعن الذات الثانية؟ لذا حضنتها بشغف وأخذتها معي الى منزلي.

مرت فترة قبل أن تتسنى لاحدانا معرفة الأخرى معرفة حميمة. تريثتُ لأني أردت أن تنشأ بيننا رابطة صداقة بدائية وثيقة كتلك التي تنشأ بين الخيل الاصائل وسوّاسها. أردت ألّا يمسها أحد سواي.

وثمة أمر آخر هو أني أؤثر قيادتها حافية لكي تستجيب لأخف لمسة من أصابع قدمي. هذا ما أُسرّ به الى الجميع. أما الحقيقة فهي أني، بعدما جهّزها نك باطارات جديدة، بتُ عاجزة عن شراء حذاء.

ثم امتدّ عجزي الى ملابسي، فأحجمت عن ارتداء الثياب الأنيقة فيما أنا جالسة وراء المقود ومقبض ناقل السرعة. وقد أصاب أحد أصدقائي حين قال لي: "أنت لا تركبين هذه السيارة، أنت تلبسينها."

وبفضل نك أضفت الى قاموس مفرداتي اللغوية أسماء ميكانيكية جديدة.

لطالما ذهبت وسيارتي في رحلات مثيرة كتلك الرحلة الى الجبال حيث وجدنا أنفسنا، بعد تسلق منعطفات حادة، في قمة الجبل نتيجة خطأ في قراءة الخريطة.

لكن خطأنا تحول مغامرة فريدة نعمنا خلالها بالنسيم العليل الذي راح يعبث بشعرنا فيما حملت إلينا الريح عطر الصنوبر والشربين. ورحت أتأمل من علُ طريق الجبل المعبدة السوداء الصاعدة متلوية كأفعى. وخالجنا شيء من الفخر ونحن نرى المتنزهين في الحافلات السياحية الكبيرة يرشقوننا بنظرات الحسد وهم ينحدرون الى الوادي عبر المنعطفات الخطرة التي تسلقناها ووجوههم مشدودة متجهمة مكبّلة بالرعب.

سألني جاري البارحة ما اذا كنت حوّلت سيارتي حوضاً للنبات، فأجبته: "لا، قطعاً." والواقع أن في نيتي أن أجري لها عملية تجميل خفيفة وأن أصلح بعض أجزائها لأعيد اليها رونقاً ونفحة من شبابها الذاوي. وربما زنّرت جانبيها بخط ذهبي.

في أي حال، هي تستحق كل العناء. فلكم سُررت وأنا أقودها في شوارع المدن والقرى حين أسمع أحدهم يهتف بي: "هاي، يا سيدة، سيارتكِ عظيمة،" فأبتسم وأجيب: "شكراً، إنها حقاً كذلك."

بالمناسبة، هل ذكرت أن نك يركب دراجة هوائية؟

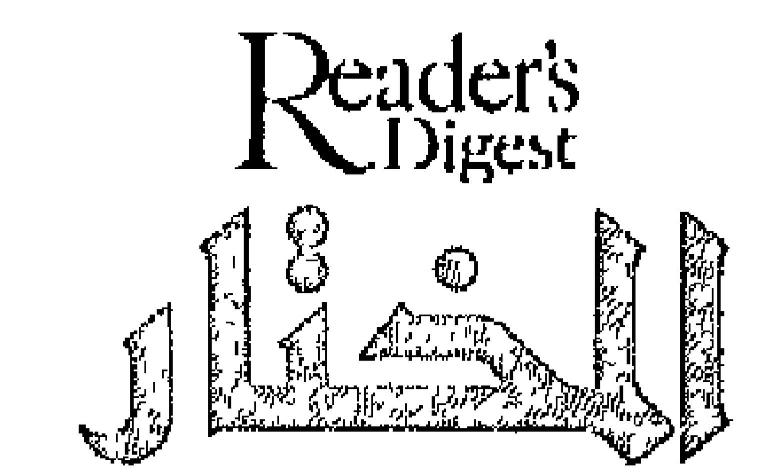
بيفرلي كريتون ■

مع الحدث دائماً
قبل الحدث غالباً





36 RUE WASHINGTON 75008 PARIS FRANCE - TÉLÉPHONE (1) 45 63 58 25 TÉLEX 648730 LINKS F TÉLÉFAX (1) 42 89 85 81



يوليو (تموز) ١٩٩٢
محرَّم ١٤١٣

السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة

مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

دعامة الزواج لغة مشتركة واحترام متبادل

يتحدث الرجال والنساء بـ"لغتين" مختلفتين تؤديان بهم الى نزاعات حادة

التفتت المرأة الى زوجها وسألته: "هل ترغب في التوقف لتناول فنجان قهوة؟"

فأجابها بصدق: "لا، شكراً." ولذا لم يوقف السيارة.

النتيجة؟ انزعجت الزوجة التي كانت راغبة في التوقف وتناول فنجان قهوة، لأنها أحست أن زوجها لم يبال برغبتها. أما الزوج فاكتأب عندما لاحظ غضب زوجته. فلماذا لم تقل له بصراحة ماذا كانت تريد.

لم يلاحظ الزوج أن زوجته كانت تسعى بسؤالها الى تداول الامر معه، لا الى جواب فوري. ولم تدرك المرأة، من جهتها، أن زوجها كان يسعى الى التعبير عما يفضله، لا الى فرض رأيه. عندما يفسر رجل وامرأة حديثاً واحداً بطريقتين متضاربتين، فلا عجب في أن يجدا

انفسهما يتراشقان اتهامات غاضبة.

درستُ، بصفتي خبيرة لغويَّة، كيف تختلف طرق المحادثة بين الرجال والنساء. نحن، طبعاً، لا نستطيع تصنيف "كل الرجال" ولا "كل النساء" فئتين محددتين، فالافراد يتباينون كثيراً. لكن الابحاث تظهر أن حالات سوء التفاهم العبثية التي تنتاب علاقاتنا، يمكن تفسيرها جزئياً بموجب قواعد مختلفة يعتمدها الرجال والنساء غالباً في أحاديثهم.

كلما كتبت أو تحدثت في هذا الموضوع، أجد أناساً يخبرونني عن مدى ارتياحهم الى معرفتهم أن ما نسبوه سابقاً الى اخفاق شخصي هو، في الواقع، أمر شائع.

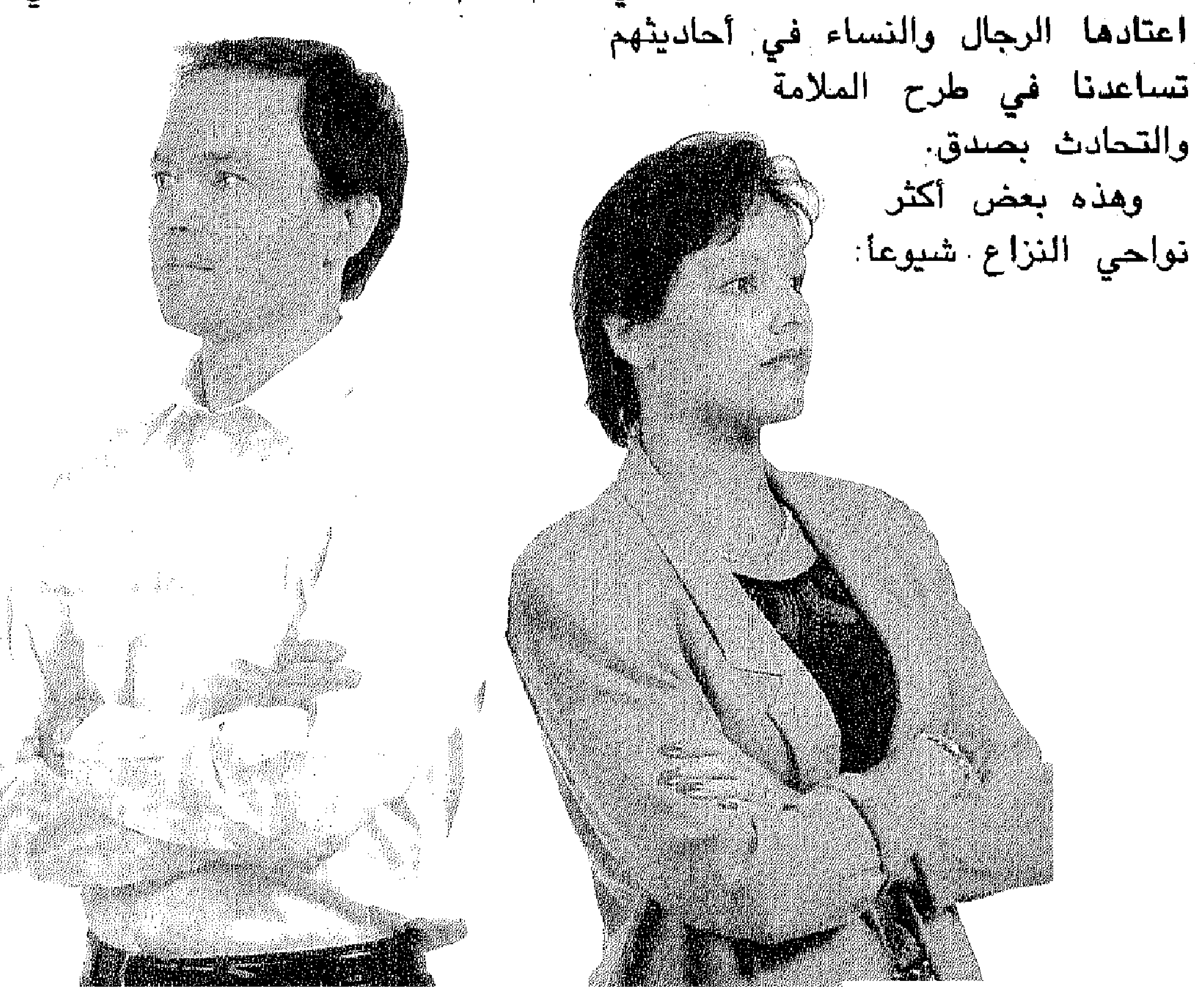
ان معرفة الموجات المختلفة التي اعتادها الرجال والنساء في أحاديثهم تساعدنا في طرح الملامة والتحادث بصدق.

وهذه بعض أكثر نواحي النزاع شيوعاً:

مكانة أم دعم؟ يترعرع الرجال غالباً في عالم يكون فيه التخاطب تبارياً إما لتحقيق الغلبة وإما لمنع الآخرين من التحكّم. أما التحادث بالنسبة الى كثير من النساء فنهج يتبعنه عادة لتبادل التعاطف والدعم. وقد خَبِرتُ ذلك بنفسي عندما كنت وزوجي نعمل في مدينتين مختلفتين. كنت أسمع من الناس تعليقات مثل: "هذا أمر صعب" و"كيف تستطيعين احتمال الوضع؟" وكنت أقبل تعاطفهم.

أما زوجي فكان يردّ باستياء معتبراً أن لوضعنا حسنات كثيرة، لأن عملنا في الحقل الاكاديمي يتيح لنا قضاء عطل نهاية الاسبوع والاجازات الطويلة معاً.

كان كل ما قاله زوجي صحيحاً، لكنني لم أفهم مغزى كلامه الا بعدما فسَّر لي أن



تلك التعليقات تعني ضمناً: "زواجك ليس ناجحاً. أنا متفوق عليكَ لاني وزوجتي استطعنا تفادي سوء طالعكما." ولم يكن يخطر ببالي أن الرجال أيضاً يتقنون فن التباهي.

والآن أدرك أن زوجي كان، ببساطة، يتعامل مع العالم كما يفعل رجال كثيرون: كمكان يحاول الناس فيه اكتساب مكانة مرموقة والحفاظ عليها. أما أنا فكنت أتعامل مع العالم كما تفعل كثيرات: كشبكة علاقات يسعى الناس فيها الى نيل قبول الآخرين.

استقلالية أم علاقات حميمة؟ لما كان تفكير المرأة يتركز في أحيان كثيرة على الالفة والدعم فانها تكافح للحفاظ على علاقات حميمة. أما الرجل، المهتم أبداً بمكانته، فينزع الى التركيز على تحقيق استقلاليته. وهذه السمات قد تقود الرجل والمرأة الى رؤى مختلفة كلياً لحال واحدة.

عندما تلقّى جون مكالمة من صديق قديم في المدرسة الثانوية، دعاه الى قضاء عطلة نهاية الاسبوع في داره. وفي المساء أخبر زوجته ليندا بأمر الدعوة.

استاءت ليندا، اذ كيف يأخذ جون قراراً كهذا قبل تداوله واياها؟ فهي لا تعامله بهذه الطريقة. لذا سألته: "لماذا لم تخبر صديقك بأن عليك بحث الامر مع زوجتك؟"

أجابها جون "أأقول له انني أحتاج الى اذن من زوجتي؟"

يعتبر جون أن مراجعة زوجته تعني انتقاصاً من حريته وتجعله يشعر كطفل أو كتابع. أما ليندا فيسرُّها أن تقول لاصدقائها: "عليَّ مراجعة جون." كما يسعدها اظهار مدى ارتباط حياتها بحياة زوجها.

نصح أم تعاطف؟ خضعتْ هلن لجراحة استئصال ورم غير خبيث من ثديها. وعندما أسرَّت الى زوجها مارك أنها تحس بالاسى لان الجرح شوه استدارة نهدها، أجابها: "يمكنك اللجوء الى جراحة تجميلية."

أزعجها تعليقه فاحتجت قائلة: "يؤسفني اشمئزازك من منظري، لكنني لن أجري جراحة أخرى."

فأجابها مارك حائراً وقد حزَّ الالم في نفسه: "لكنني لا أعبأ بمنظر الجرح."

فسألته: "إذاً لماذا تطلب مني اللجوء الى جراحة تجميلية؟"

فأجابها: "لانك أنت منزعجة من منظره!"

أحست هلن أنها تصرفت بغباء. لقد كان مارك رائعاً في وقوفه الى جانبها طوال الوقت، فكيف تسمح لنفسها بأن تثور في وجهه الآن؟

نشأت المشكلة من اختلاف في الرؤية. فالشكوى من أمر ما هي، لمعظم الرجال، بمثابة تحدّ لايجاد حل. لقد ظن مارك أنه يطمئن زوجته ويريحها باقتراحه حلا لمشكلة الجرح. لكن المرأة تسعى، غالبا، الى دعم عاطفي وليس الى حلول.

اطلاع أم جرح مشاعر؟ شاهدتُ في أحد أفلام الرسوم المتحركة رجلا يفضّ صحيفة ويسأل زوجته: "هل لديك ما تقولينه قبل أن أبدأ القراءة؟" فلم تجبه زوجته لانها، كما نعلم، لم يكن لديها ما تقوله، لكنها حتما ستفكر في قول ما لحظة يبدأ زوجها القراءة.

تضحكنا هذه الرسوم المتحركة، لاننا نرى فيها اختباراتنا الشخصية. لكن ما لا يضحك هو أن نساء كثيرات يحسسن بغبن عندما لا يحادثهن أزواجهن، كما أن رجالا كثيرين يحسون باحباط عندما يلاحظون أن زوجاتهم أصبن بخيبة من دون أن يروا سببا لذلك.

أخبرتني ربيكا، وهي امرأة سعيدة في زواجها، أن ندرة حديث زوجها ستيوارت تضايقها. فهو، حين تبوح له بأفكارها يصغي بصمت، وعندما تسأله فيمَ يفكر يجيبها: "لا شيء."

اعتادت ربيكا، طوال حياتها، ترجمة مشاعرها كلاما تقوله لاصحابها وأقاربها. فذلك، بالنسبة اليها، دليل ارتباط واهتمام. لكن ستيوارت، كمعظم الرجال، يعتبر الكلام وسيلة لنقل المعلومات. وهو اعتاد طوال حياته عدم الافصاح عن أفكاره العميقة.

مع ذلك، ينزع معظم الرجال في المناسبات الاجتماعية الى سرد قصص ونوادر للاستئثار بالاهتمام. كما يستخدمون الحديث وسيلة لجذب الانظار وللترفيه في آن. وهذا يؤدي الى جرح شعور الزوجة لان زوجها يخبر من تعتبرهم غرباء أمورا أخفاها عنها.

لتفادي هذا النوع من سوء الفهم في امكان الرجل والمرأة أن يعدّلا مواقفهما. فتحترم المرأة، مثلا، رغبة زوجها في قراءة الصحف من دون أن ترى في ذلك نبذا لها. ويتفهم الرجل رغبة زوجته في محادثته من دون أن يعتبر ذلك تدخلا في شؤونه.

اوامر أم اقتراحات؟ كثيرا ما تبدأ ديانا عباراتها بكلمة "دعنا"، كأن تقول: "دعنا نوقف السيارة هناك" أو "دعنا نغسل أيدينا قبل الغداء." وهذا يغضب زوجها نات لانه يفسر كلمة "دعنا" الاستهلالية على أنها أوامر. فهو، كمعظم الرجال، يرفض أن يملي عليه أحد ما يفعل. أما ديانا فتعتبر ذلك مجرد اقتراح، لا أمرا. وهي، كمعظم النساء، تتحاشى المواجهة وتصوغ طلباتها بشكل مقترحات وليس بشكل أوامر. وما أسلوبها هذا الا طريقة لجعل الآخرين ينفذون رغبتها ولكن بعد الحصول على موافقتهم.

هذه الطريقة تؤدي الى نتائج عكسية مع بعض الرجال، ومنهم نات. فحين يتصورون أن أحدا يجرّهم، على نحو غير مباشر، الى فعل أمر ما، يحسون أنهم موضع استغلال، وتكون ردود فعلهم عدائية أكثر مما لو كان الطلب مباشراً.

نزاع أم تسوية؟ في محاولة لتحاشي الشجار، يمتنع بعض النساء عن معارضة ارادة الآخرين علنا. ولكن هناك

حالات توجب على المرأة التمسك بموقفها على رغم احتمال نشوب نزاع.

أصيبت دورا بسلسلة خيبات سببتها السيارات المستعملة التي كانت تقودها. كانت هي التي تنتقل الى عملها في السيارة، لكن زوجها هاك كان هو الذي يختار السيارة. وكان هاك يسعى دائماً الى سيارات "مشوِّقة" من دون التأكد من صلاحها. وبعدما كادت دورا تُقتل في حادث حين خانتها كوابح السيارة، راح الزوجان يبحثان عن سيارة أخرى.

كانت دورا راغبة في شراء سيارة حديثة الطراز من احدى صديقاتها، بينما تركّز اهتمام هاك على سيارة سباق عمرها ١٥ سنة. وكانت دورا في السابق، "تنحني" أمام رغبات زوجها. لكنها، هذه المرة، اشترت سيارة في حال جيدة وان تكن "مملة" وتأهبت لمواجهة غضب هاك. ولدهشتها، لم يفه زوجها بكلمة تأنيب واحدة. وعندما أخبرته لاحقاً ما كانت تتوقعه منه، هزىء من مخاوفها قائلا ان هذا ما كان عليها فعله منذ البداية، خصوصاً أنها فعلت ما اعتقدته صوابا.

لقد اكتشفت دورا أن قليلا من المعارضة لا يقتل. وفي الوقت ذاته، يستطيع الرجال الذين اعتادوا المعارضة تعديل أساليبهم لتجنب المواجهات ما أمكن.

عندما لا نرى اختلاف الاساليب على حقيقته، نتوصل في بعض الاوقات الى استنتاجات غير محقة من نوع: "أنت غير منطقي" و"أنت اناني" و"أنت لا تهتم بي." لكننا متى أحطنا بالاختلاف القائم بين أسلوبي الرجل والمرأة، تصبح فرصنا لكبح النزاعات أفضل وأقوى. ان معرفة الطريقة التي يتبعها الفريق الآخر في الحديث هي قفزة عبر هوة الاتصال بين الرجل والمرأة، وخطوة عملاقة نحو تفاهم حقيقي.

ديبرا تانن ■

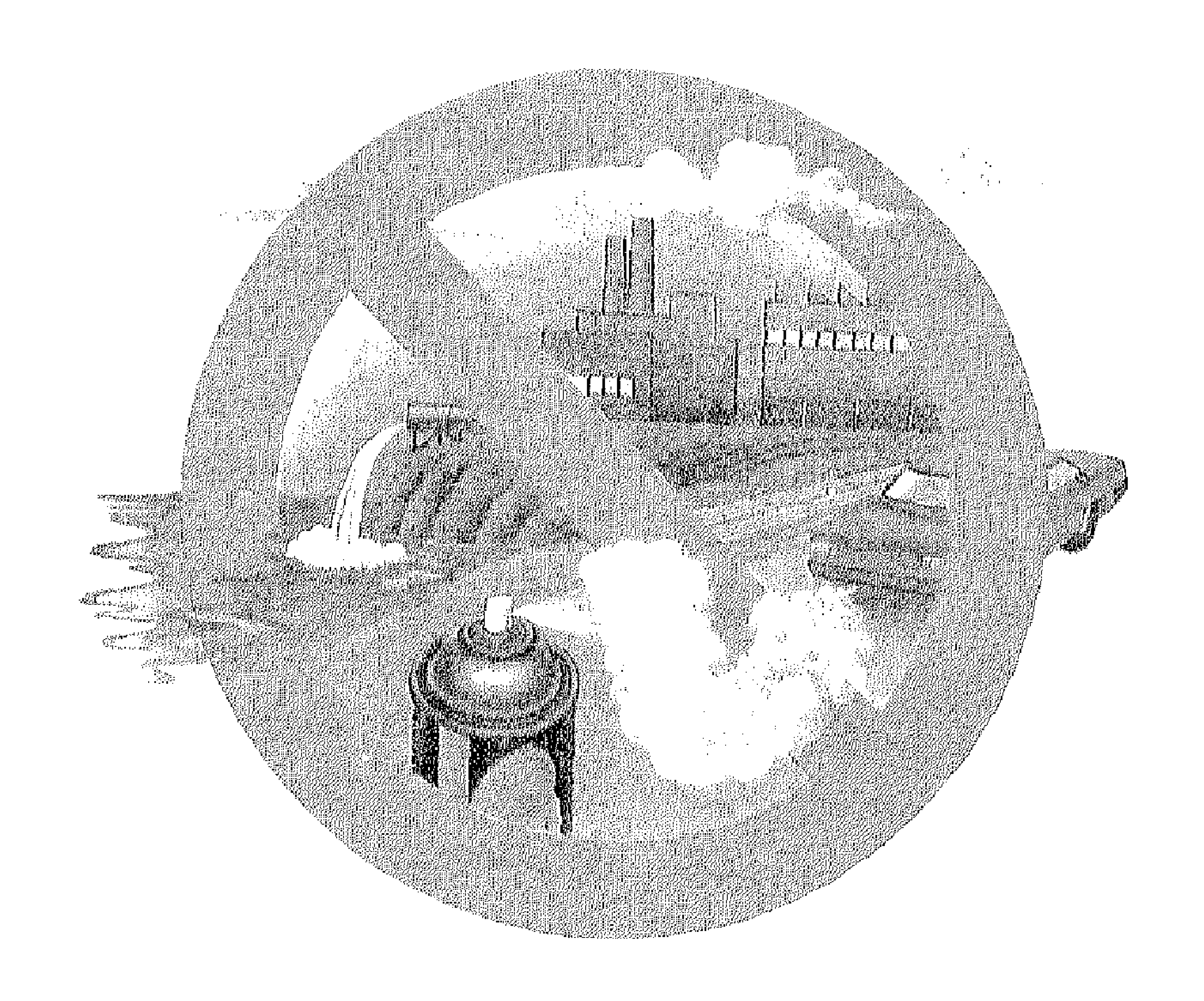


حس الفكاهة

تقول الفنانة كارول تشانينغ: "كان الصف الابتدائي الرابع نقطة تحوّل بالنسبة اليّ. فقد رُشحتُ امينة سر لمجلس الطلاب، وارتقيت المنصّة لأطلب الى التلاميذ ان يصوّتوا لي. لكنني في قرارتي لم اجد سبباً واحداً يدفعهم الى ذلك. فتفتقت لي فكرة طريفة، فعمدت الى تقليد حركات المديرة ثم حركات معلمة العلوم. وفي النهاية قلّدتُ حركات أجمل بنات صفنا."

وتضيف: "اجتاح الضحك القاعة وعمها هرج ومرج، لكنني شعرت باستحسان التلاميذ إياي وبنشوة القدرة على الاتصال بالناس عن منصة. وأدركت أننا كلّنا متشابهون، فالحركات التي لاحظتها لدى المعلمة لاحظوها هم أيضاً. والامور نفسها تضحكنا جميعاً. ومنذ ذلك اليوم عرفت تماماً الى أين انا سائرة."

غ.ب.



ثورة الخُضْر

تنادي "الجماعات الخُضْر" بعالم أكثر نظافة وأوفر صحة. وجاءت "قمة الارض" تتويجاً للجهود الرامية الى الحد من التلوث. فماذا تفعل المصانع الغربية للمساهمة في هذه الجهود؟

دأب مصنع الورق التابع لشركة "ألار" في وسط فرنسا على صب المياه الملوّثة في مجرى نهر اللوار الصغير. لكن المسؤولين عنه قرروا عام ١٩٨٧ القيام بحملة تنظيف واسعة، فاتصلوا لهذا الغرض بمؤسسة "ديغريمون" المختصة بتنقية مياه الشفة ومعالجة تلوّث المياه الصناعية. وهكذا، أنشأت هذه المؤسسة محطة خاصة بالمصنع بلغت كلفتها عشرة ملايين فرنك فرنسي (نحو ١،٨ مليون دولار). واليوم، يشاهد عدد كبير من صيادي الاسماك وهم يلقون صنانيرهم بالقرب من مصنع الورق دونما حذر، فيما أخذت مؤسسة "ديغريمون" تشهد اتّساع سوقها على نحو يعود عليها بالربح الوفير.

يقول جان كلود جاكار رئيس دائرة التسويق في المؤسسة: "في فرنسا

وحدها عشرون مصنعاً للورق يحتاج كل منها الى محطة من هذا النوع."

أما بالنسبة الى شركة "ألار" فقد كان المردود معنوياً أكثر منه مادياً. ويؤكّد رينيه لاشامبر المدير التقني للشركة أن "هذا المشروع لا يدرّ علينا أرباحاً طائلة، ولكن حسبنا أننا نعير النهر اهتماماً."

وهكذا، نرى في أنحاء أوروبا الغربية شركات مثل "ألار" و"ديغريمون" عقدت العزم وأوجدت الوسيلة الكفيلة بالحد من التخريب البيئي. ويعود ذلك جزئياً الى الضغط الذي تمارسه "الجماعات الخضر" والحكومات الوطنية والمجموعة الاوروبية التي وضعت للسوق الموحدة برنامجاً متطوراً مقروناً بمعايير جديدة صارمة لمحاربة التلوث في أنحاء القارة الاوروبية. والى ذلك، ازداد على نحو ملحوظ عدد المؤسسات الصناعية التي ترى أن حماية البيئة تؤدي الى توفير مادي وتقوي المنافسة. وفي هذا الصدد يقول جورج وينتر مؤلف كتاب "التجارة والبيئة"[١]: "لقد ولّت تلك الأيام حين كان مديرو المؤسسات يستطيعون تجاهل البيئة. في المستقبل، لن تتمكن الشركات من جني أرباح إضافية ما لم تنجح في تأمين إدارة سليمة تعنى بالبيئة."

أما السبب الرئيسي فبسيط وواضح، ذلك أن "الأخضر" رائج، إذ أظهرت استطلاعات الرأي عام ١٩٩٠ أن ٦٧ في المئة من الهولنديين و٨٢ في المئة من الالمان الغربيين يأخذون في الاعتبار تأثير السلع في البيئة لدى تسوّقهم. كما أظهرت دراسة أخرى أُجريت في العام نفسه أن نصف المستهلكين البريطانيين يختارون سلعة معينة من دون غيرها لأسباب تتعلق بحماية البيئة، وهذه النسبة هي ثلاثة أضعاف النسبة المسجّلة قبل سنتين.

من هنا، يدرك المديرون في أنحاء العالم أهمية الأمر. ففي العام ١٩٩٠ أجرى "المعهد الدولي لانماء الادارة" في سويسرا مسحاً شمل مئة مدير تنفيذي أجمع ٧٩ منهم على أنهم في صدد القيام باستثمارات ضخمة من أجل تطوير منتجات شركاتهم بحيث يصبح في الامكان تحليلها أو إتلافها بيولوجياً او إعادة تصنيعها. كذلك، نجد أن ثمة معاهد رئيسية لادارة الاعمال في أوروبا أدخلت في مناهجها مقررات تعليمية جديدة حول إدارة البيئة.

حتى خبراء الأسهم التجارية أصبحوا يعون الشؤون المتعلقة بالبيئة. فقد أظهر استطلاع أجرته "مؤسسة جايمس كابل وشركاه" للبورصة في لندن عام ١٩٩٠، ان ٣٨ في المئة من المديرين الماليين يأخذون في الاعتبار تأثير منتجات شركاتهم في البيئة عندما يضعون خططاً للاستثمار. ويقول روجر هاردمان خبير الأسهم في شركة "كابل": "إن أسهم الخُضر - أي الشركات التي تعنى بمعالجة النفايات - تقدّمت غيرها من الاسهم في سوق القطع اللندنية بنسبة ٧٠ في المئة منذ العام ١٩٨٧."

(١) Business and the Environment

حماية الاخضر. إن الأثر الذي خلّفه ردّ فعل المؤسسات كان ملحوظاً فعلاً، إذ ورد في تقرير "برنامج الأمم المتحدة للبيئة" أن المعدل العام لانتشار غاز ثاني أوكسيد الكبريت تدنى في غضون السنين العشر الأخيرة في ١٧ دولة أوروبية من أصل ٢٧، وقد انخفض بنسبة ٥٥ في المئة في أسوج (السويد) و٤١ في المئة في فرنسا. فالصناعات الكيميائية في فرنسا زادت انتاجها بنسبة ٢٥ في المئة خلال المدة ذاتها، بينما انخفض التلوث الى النصف. كذلك أدّى اعتماد الوسائل التقنية الحديثة الى خفض استهلاك المياه في مصانع الورق من ١٨٠ الى ٧٠ متراً مكعباً للطن الواحد من العجينة الورقية. وتقول جاكلين ألوازي دو لاردوريل مديرة مكتب الصناعة والبيئة في "برنامج الأمم المتحدة للبيئة": "إن معدلات إعادة التصنيع تزداد في كثير من الدول المتقدمة، فيما تنخفض نسبة استهلاك الطاقة. وبذلك تتحسّن نوعية الهواء في المدن."

لقد أخذت روح التعاون من أجل البيئة تؤثر في جميع القطاعات. فشركة "كوكا كولا" تروّج لاستعمال عُلب قابلة لاعادة التصنيع في أنحاء العالم. وفي الولايات المتحدة بالذات أبدلت مطاعم "ماكدونالد" عُلب الهمبرغر المصنوعة من مادة البوليستيرين بأخرى ورقية قابلة لاعادة التصنيع. وتوقفت الشركة الفرنسية الكبرى لمستحضرات التجميل "لوريال" عن استعمال غازات الكلوروفلوروكربون في مستحضرات ازالة العرق لأنها تتلف طبقة الأوزون، وقد بلغت تكاليف هذا المشروع مئتي مليون فرنك فرنسي (نحو ٣٦ مليون دولار) على مدى عشر سنين من الأبحاث. كما أنفق مسلخ دو كوستر في بلجيكا ٢٧ مليون فرنك بلجيكي (نحو ٩٠٠ ألف دولار) لانشاء محطة جديدة لمعالجة المياه.

ويعتمد تجار البيع بالتجزئة (القطاعي) حماية "الاخضر" أساساً في خياراتهم. ففي العام ١٩٩١ أعلمت شركة "تنغلمان" الالمانية التي تملك عدداً من المخازن الكبرى جميع مموّنيها أن عليهم التأكد من أن جميع منتجاتهم ومعلّباتهم التي تحوي مادة السلولوز هي خالية تماماً من مادة الكلورين. وفي الدانمرك عمدت شركة "إرما" التي تملك سلسلة من متاجر السوبرماركت الى ازالة جميع المواد الخطرة عن رفوفها. أما "ميغرو" كبرى شركات البيع بالتجزئة في سويسرا فطورت برنامج كمبيوتر يراقب "التوازن البيئي" بتسجيل نسبة التلوث في الهواء والماء والتربة التي تسببها عملية توضيب السلع في جميع مراحلها، من الانتاج الى الاتلاف. وحين تكون النتيجة دون المستوى المطلوب، تتوقف السوبرماركت عن بيع السلعة المعنية.

ومنذ ١٩٨٨، بدأت شركتان بريطانيتان تملكان سلسلة من السوبرماركت وهما "تيسكو" و"سينزبوري" التنافس في تسويق

منتجات "تحمي الاخضرار." فوصفت تيسكو نفسها بـ"المخزن الأكثر خضرة." وتبنّت سينزبوري شعار "المخزن الأكثر خضرة على الاطلاق،" ثم أطلقت تشكيلة من المستحضرات المنزلية تحت شعار "حماية الأخضر" وبينها مساحيق تنظيف تحوي مواد نباتية بدلا من المواد الكيميائية. ويقول مايك سامويل من شركة سينزبوري: "إن الاهتمام البيئي بُعد آخر أُضيف الى قطاع العمل."

كما أن بعض الصناعات الاوروبية التي اعتبرت في ما مضى أعداء للبيئة بدأت تظهر اليوم بمظهر المواطن الأشدّ حرصاً على حماية "الأخضر." ففي العام ١٩٩١ عمدت كبرى شركات الصناعة الكيميائية في ألمانيا، وبينها "هوكست" و"باير" و"هانكل" و"باسف"، الى توظيف أكثر من ملياري مارك (نحو ١،٢ مليار دولار) لحماية البيئة. وكانت "سيبا جيجي"، كبرى الشركات الكيميائية في سويسرا، عمدت في السنة السابقة الى رفع موازنة مكافحة التلوث لديها الى ١،٣ مليار فرنك سويسري (نحو ٩٠٠ مليون دولار). وقد صُرف جزء من هذا المبلغ على مشروع فريد عبر الحدود هو محطة لمعالجة النفايات في مصنع لشركة "سيبا جيجي" على نهر الراين في غرنزاك بألمانيا. وتتولى هذه المحطة معالجة النفايات السائلة المستخرجة ليس فقط من الوحدة الصناعية العاملة في غرنزاك وانما أيضاً من وحدتين للشركة عاملتين على الضفة المقابلة لنهر الراين في سويسرا. في المقابل، تُرسل غرنزاك نفاياتها الصلبة والمحلولات الملوّثة الى المحطتين في سويسرا حيث يتمّ تحويلها رماداً. يقول ورنر روتفايلر مدير "وحدة التعاون في سبيل الامان والبيئة": "يجب على الشركات الكبيرة مثل سيبا جيجي أن تعبّد الطريق لحلول دولية كهذه لمشكلات البيئة."

مصممة للتفكيك! تأتي طمأنة الجمهور في رأس سلم الاولويات. وقد عمد هانس رودولف هيتز رئيس مختبر حماية البيئة في محطة "سيبا" الكيميائية في بال بسويسرا، الى توزيع ما سمّاه "أكياس النتانة." فعندما يشمّ المواطنون رائحة كريهة في الهواء، يملأون الأكياس البلاستيكية ويحضرونها الى محطة "سيبا" للاختبار. ويقول هيتز: "لقد جمع الناس كثيراً من الروائح الغريبة. وحين كان يتبين لنا أنها تنبعث من مصانعنا، كنا نعمد الى إزالة السبب أو، عند الضرورة، الى وقف الانتاج."

وتعلمت مصانع السيارات الدروس ذاتها، إذ تُعتبر السيارات مسؤولة عن ٤٢ في المئة من غازات أوكسيد النيتروجين التي تنتشر في أجواء القارة الاوروبية، اضافة الى الهيدروكربونات الوسخة وأول أوكسيد الكربون. وعملا بتوجيهات المجموعة الاوروبية، يجب أن تكون كل السيارات الجديدة، بدءاً من صيف

١٩٩٢، مجهّزة تقنياً بمحوّلات تخفض مستوى هذه المواد الملوّثة. وفي انتظار ذلك، تمكّنت شركة "فولكسفاغن" من تطوير محرّك ديزل جديد من طراز "توربو" يستهلك كمية من الوقود أقل بنسبة ٣٠ في المئة من المحركات التقليدية وتنبعث منه كمية من غاز أول أوكسيد الكربون أقل ٢٠ في المئة من تلك. ويقول المتحدث باسم الشركة ديتمار فريتشه: "إن محركات الديزل هي أكثر نظافة وأقل كلفة من تلك التي تسيَّر بالوقود العادي (الغازولين)."

وتُعتبر شركتا "فولكسفاغن" و"ب.م.ف." رائدتين من حيث استخدامهما تقنيات بالغة التطور في اعادة تصنيع سياراتهما مما ألغى الحاجة الى "مقابر" السيارات القديمة. فقد أنشئت محطة اختبارية في منطقة لير حيث تستعاد أجزاء من البلاستيك والزجاج، وحتى الطلاء، من بعض نماذج سيارات "فولكسفاغن." وقررت الشركة أن تفتتح في أواخر ١٩٩٢ معملا للطلاء لا تُستخدم فيه المحلولات الكيميائية أبداً بل تبدل بطلاءات يعتمد في تركيبها الماء.

ويهدف برنامج "التصميم للتفكيك" لدى شركة "ب.م.ف." الى تبسيط الاجزاء والمواد بحيث يمكن تفكيك السيارات وإعادة استعمالها. وهكذا يمكن فصل هيكل الطراز «Z1» ذي المقعدين والمصنوع كلياً من البلاستيك عن الهيكل المعدني في مدة تراوح بين ٢٠ و٣٠ دقيقة.

ولكن يبدو أن بعض الشركات تجعل من موضوع الاهتمام بالبيئة وسيلة لبيع منتجاتها لا لتغييرها، إذ يقول بيتر لانغ متذمّراً، وهو أحد مؤسسي "شركة المسح البيئي" في بريطانيا: "تروِّج بعض الشركات أن منتجاتها مؤاتية للبيئة، بينما هي ليست كذلك." وفي غياب القوانين الموحّدة للتأكد من صلاح المنتجات، يدعم لانغ الاقتراح الذي تقدّمت به المجموعة الاوروبية عام ١٩٩١ والقاضي باستخدام ملصق خاص بحماية "الأخضر" يكون شكله مشابها لذاك المعتمد في المانيا، بحيث لا يُسمح للشركات بوضع هذا الرمز على منتجاتها الّا بعد فحصها لدى "الوكالة البيئية الاتحادية."

التكنولوجيا النظيفة. قد تكون الجهود التي تُبذل من أجل حماية البيئة مكلفة في بادىء الأمر، ولكن ثُبت أن عدداً كبيراً من تدابير الحد من التلوّث أدى فعلا الى خفض كلفة الانتاج. ففي أسوج، مثلا، عمدت شركة لتركيب المصابيح الكهربائية عام ١٩٨٩ الى إبدال دهاناتها المحتوية على محاليل سامة بأخرى في شكل مسحوق غير سام، فوفّرت ٢،٣ مليون كورون (نحو ٤٠٠ ألف دولار) وألغت بالتالي مئتي طن سنوياً من المحلول السام الذي كان يلوّث الهواء. كما خفضت "شركة البرق والهاتف الامريكية" المصاريف السنوية بمقدار ستة ملايين دولار بالتوقف عن انتاج

شبكات تحتوي على غازات الكلوروفلوروكربون الضارّة بطبقة الاوزون في مصانعها في الولايات المتحدة وسنغافورة. ويقول جون ستويفورد الاستاذ في كلية لندن لادارة الأعمال: "غالباً ما تؤدي الاستثمارات الهادفة الى حماية البيئة الى تحقيق أرباح كبرى."

من جهة أخرى، أصبحت تدابير التوفير وتنقية البيئة تجارة قائمة بذاتها. فقد نشأ في أرجاء القارة الاوروبية جيل جديد من "متعهدي حماية البيئة." ففي العام ١٩٩٠ أسس فال أولداكر وبيتر لانغ، وهما من "الحزب الأخضر" في بريطانيا، مؤسسة "الاستطلاع البيئي" التي تزوّد الشركات نصائح حول طرق تفادي انتاج المواد الملوّثة. قبل ثلاث سنوات كان في بريطانيا نحو ٨٠ مستشاراً لشؤون البيئة، أما اليوم فهناك نحو ٥٠٠. ويقول أولداكر شارحاً الامر: "ترغب الشركات في تعزيز حمايتها للبيئة، لكنها غالبا تجهل الوسائل. لذلك نطلعها نحن على ما ينبغي فعله."

لقد تمكّنت شركات أوروبية عدة من الاستمرار في عملها لأن منتجاتها تكفل حماية البيئة. ففي الدانمرك، مثلا، استطاعت شركة "فالد هنريكسن" لآلات النسيج أن تتفوّق على شركة آسيوية منافسة اذ تمكّنت من صنع آلة للصباغ تقلّل كثيراً من كمية المياه الملوّثة التي تنساب من مصانع النسيج.

وفي أنحاء أوروبا، يسعى المتعهدون الى استنباط طرق جديدة للحد من التلوّث. ففي العام ١٩٨٨، بعد عشر سنين من الأبحاث التي كلّفت ثلاثين مليار لير (نحو ٢٦ مليون دولار) توصلت شركة "مونتيديسون" الكيميائية في إيطاليا الى إبدال مادة الأسبستوس الخطرة التي تُستخدم لتدعيم الاسمنت في البناء. فقد تمكّن علماء "مونتيديسون" من إنتاج شبكة من ألياف البوليبروبيلين أطلق عليها اسم "ريتيفلكس" تؤمّن لمواد البناء قوة مماثلة لتلك التي تؤمنها مادة الأسبستوس، لكنها لا تحتوي على ألياف خطرة.

وتأمل الشركة أن يبلغ حجم مبيعاتها عشرة مليارات لير (نحو ٩ ملايين دولار) في السنة. ويقرّ رافاييلو تومانيلي المدير العام في الشركة: "كان اهتمام رجال الاعمال الايطاليين بالبيئة ضئيلا جداً، أما الآن فنحن نستثمر أموالنا في التكنولوجيا النظيفة."

وفي بلجيكا، تمكن مهندسو شركة "تريكو لانظمة الطاقة" من تصميم مجموعة من الطواحين الهوائية السهلة التشغيل والصيانة، بيعت في بضع عشرة دولة نامية في أنحاء العالم. وتبلغ كلفة طاحونة "توربوويند" ٦٤٠ الف فرنك بلجيكي (نحو ١٩ ألف دولار) فقط، وتولّد عشرة كيلوواط من الكهرباء خالية من التلوّث. ويقول فيكتور دي فاغتر منسّق فرع الطاقة المتجددة في "تريكو": "نتوقع لطواحين الهواء – وأفعلها ينتج نحو ٣٠٠٠ كيلوواط في الساعة – أن

تلبي عشرة في المئة من حاجات أوروبا الكهربائية بحلول السنة ٢٠٣٠."

ورد في تقرير "برنامج الامم المتحدة للبيئة" أن الادوات المنزلية والتجارية تستهلك ثلث الطاقة في العالم، وهي مسؤولة عن ١٦ في المئة من كميات غاز ثاني أوكسيد الكربون التي هي من صنع الانسان. وفي سبيل التخفيف من هذين الواقعين عمدت مجموعة "كراتير" التي تضم مهندسين معماريين ومدنيين وباحثين من كلية هندسة العمارة في غرينوبل بفرنسا، الى إحياء بناء الجدران الترابية. وتُبنى هذه الجدران من دون أن ينتج منها أي تلوّث. وهي تؤمّن عزلا جيداً مما يعني توفيراً هائلا في استخدام الطاقة، وفي ذلك تفوق واضح على الجدران التقليدية الصلبة. ففي بلدة ليل دابو التي تبعد سبعين كيلومتراً من شمال شرق غرينوبل تمّ بناء ٦٣ منزلا باستعمال التراب ومداميك التراب المضغوط وخليط من التراب والقش. وقد نافست، بتكاليفها المنخفضة، أبنية الصلب، مما حدا أوبير غيبو مدير مجموعة "كراتير" على القول: "أحياناً تأتي فُضلى أفكارنا للمستقبل من الماضي."

الى فترة غير بعيدة، كان اللوم كله يقع على أرباب العمل لجنيهم الارباح من طريق التلويث.

أما اليوم، فالكسب المادي لم يعد يتعارض وهدف التوصل الى عالم أنظف. ويقول جون إلكينغتون أحد مؤلفي كتاب "دليل المستهلك الاخضر"[٢]: "يتنامى اعتبار المشاريع جزءاً من الحل." فنحن جميعاً نرغب في عالم أكثر نظافة وأوفر صحة. وها إن مزيداً من المؤسسات يساهم في معركة الخُضْر على التلوث.

وليم إشيكسون ■

(٢) Green Consumer Guide



ضمير الكاتب

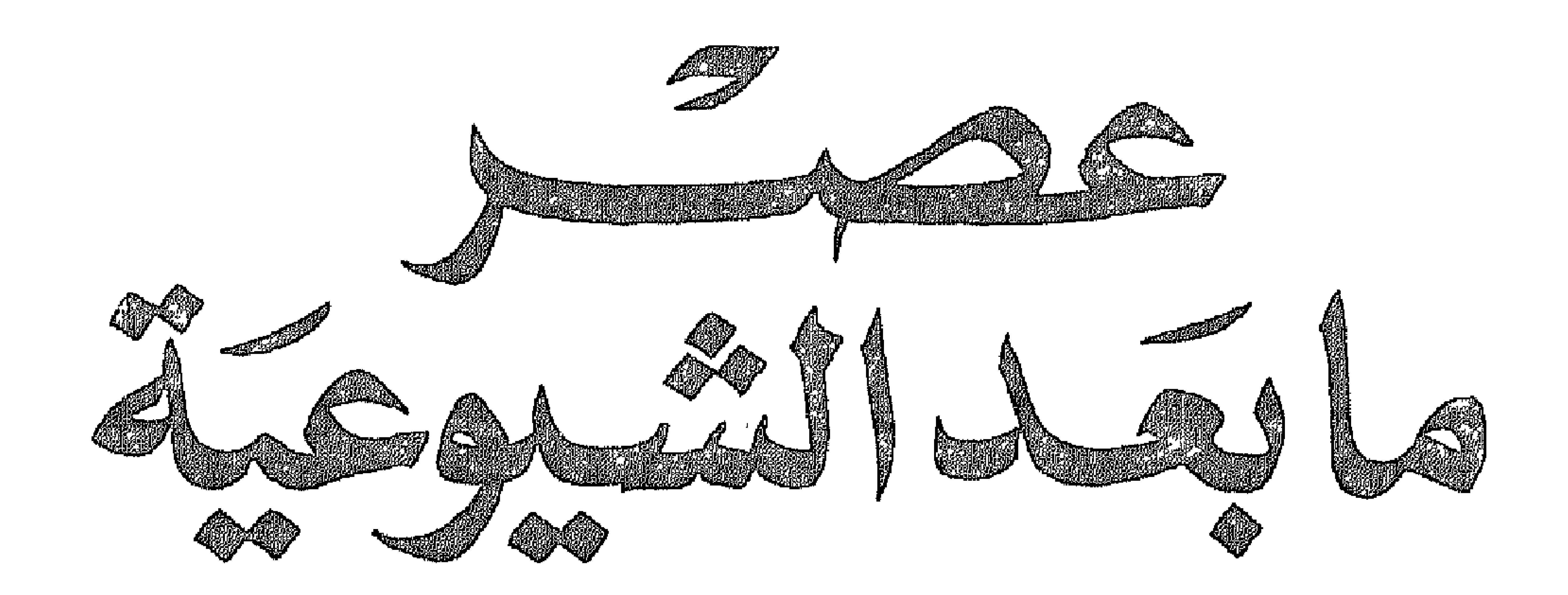
يُروى أن نادين غورديمر الفائزة بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٩١ نشرت قصتها القصيرة الاولى "غُد غداً" حين كانت في الخامسة عشرة من عمرها. وكانت متأثرة بالاجحاف الفاضح والتمييز العنصري اللاحقين بالسود في جنوب افريقيا.

وتقول الأديبة التي تبلغ اليوم الثامنة والستين من العمر: "لم ألقَ أينما ذهبتُ رحمةً للسود. حتى صفوف الرقص كان ممنوعاً عليهم ارتيادها. وقد أثّر ذلك فيَّ كثيراً وبدأت أتساءل عن السبب."

لمست غورديمر في بيتها موقفين متناقضين حيال وضع السود: لامبالاة وشفقة. فوالدها ينتمي الى طبقة المهاجرين الفقراء الذين سرَّهم أن يروا ثمّة أحداً أدنى منهم مرتبة في السلّم الاجتماعي. أمّا والدتها فكان يقلقها وضع السود، لكنها قامت بكثير من الاعمال الخيريّة لأجلهم.

وتقول الأديبة إن الكتابة صارت رد فعلها الطبيعي على مواجهة المشاكل والفوضى.

إ.ف.



١. حماية الديموقراطية في روسيا

طوال أكثر من أربعة عقود، سيطر على سياسات الغرب الخارجية هاجس اتحاد سوفييتي قوي وتوسعي النزعة، فكان احتواء أطماعه التوسعية الهدف المركزي والنشاط الاهم لادارة الولايات المتحدة منذ عهد هاري ترومان مروراً بعهد رونالد ريغان.

وفجأة تغيَّر الوضع، سلمياً، بسرعة، وعلى نحو رائع. فاستعادت شعوب أوروبا الشرقية، ومن بعدها شعوب الاتحاد السوفييتي السابق، السيطرة على مقدراتها القومية، فيما وقفت القوات السوفييتية المسلَّحة موقف المتفرج. وبدلاً من مماحكات لا تنتهي حول خطوات صغيرة تدريجية، طار بوريس يلتسين الى نيويورك وواشنطن وباريس وبون معلناً قيام روسيا حليفة وصديقة، عارضا التعاون، طالباً المعونة، قائداً لثورة ديموقراطية حقيقية.

لكن الحكومات الغربية لم تتحرك بسرعة ولا بسخاء كما كان يجدر بها لوضع ترتيبات دولية تدعم الديموقراطيات الجديدة. وقاومت المجموعة الاوروبية مساعي بولونيا والمجر (هنغاريا) وتشيكوسلوفاكيا لترسيخ تعاون اقتصادي وسياسي أوثق، كما عارضت الولايات المتحدة فتح باب عضوية حلف شمال الاطلسي أو توسيع نطاق ضماناتها الأمنية لتشمل دول أوروبا الشرقية التي تحولت الى الديموقراطية.

لا يكفي أن تخفض الولايات المتحدة ودول الغرب قواتها المسلحة أو أن تجري خفضاً ملحوظا في ترسانة الاسلحة وفي الموازنات الدفاعية أو أن تساعد في تفكيك الترسانة النووية التي كانت للاتحاد السوفييتي السابق. فالمبادرة المهمة والملحَّة هي فتح أبواب المؤسسات الغربية أمام روسيا

والديموقراطيات الجديدة الأخرى. أما اذا كانت المجموعة الاوروبية غير راغبة في فتح أسواقها أمام المنتجات الشرقية، واذا تعذر اجراء ترتيبات أمنية من خلال حلف شمال الاطلسي، فسيكون من الضروري توسيع هذه الأطر وتجديدها.

ويجب أن تكون حماية الديموقراطية في روسيا الهدف المركزي للسياسة الخارجية الغربية وأولى أولوياتها. إن دعم مؤسسات الحرية في أوروبا الشرقية هو اليوم مهم مثلما كانت حماية الديموقراطيات في أوروبا الغربية مهمة عام ١٩٤٧. ولكن، على رغم المساعدات التي وُعد بها في ابريل (نيسان) الماضي والبالغ مجموعها ٢٤ مليار دولار، لم نشهد أي رد فعل غربي تمكن مقارنته بـ"مبدأ ترومان" أو بحلف شمال الاطلسي أو بالسوق المشتركة.

المشكلة دقيقة، لأن شمولية الانهيار السوفييتي لا سابقة لها في التاريخ. ولكن ثمة سوء فهم واسع النطاق لحجم هذه المشكلة وطبيعتها. لقد تحدث المحلّلون الغربيون طويلاً عن نموذج سوفييتي للتنمية، وبالغت وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية في تقدير قوة الاقتصاد السوفييتي، أما الحقيقة القائمة فكانت مختلفة جداً: فقراً يعمّ أوساط الشعب باستثناء قلة من قمة النخبة، وظروفاً معيشية بدائية، وخدمات طبية غير وافية، هي كلها نتيجة عقود من إهمال حاجات الناس لمصلحة الصناعة العسكرية.

واليوم يكتب بعض "الخبراء" تحليلات تُظهر كأن المتاجر الفارغة من السلع وأسواق اللحم الخالية من اللحم والمستشفيات المفتقرة الى المضادات الحيوية والابر المعقمة، هي وليدة سياسة بوريس يلتسين الاقتصادية وصعوبات التحول عن الاشتراكية. والواقع أن هذه المصاعب هي النتائج الحتمية لأداء المؤسسات الاشتراكية الجاري تفكيكها.

إنني لا أشك في أن دول الاتحاد السوفييتي السابق وأوروبا الشرقية ستجد طريقها الى نمو وازدهار اقتصاديين اذا ما أُتيح لها الوقت والحرية. لكن السؤال هو: كم من الوقت والحرية سيتسنّيان لهذه الدول قبل أن يوقف الفاشستيون الذين لم يعودوا يطيقون انتظاراً مسيرة التجربة الديموقراطية؟

يبقى هذا السؤال ملحاً بالنسبة الى روسيا خصوصاً، التي تبقى – ولا يجوز أن ننسى ذلك – قوة عسكرية عظمى.

ليس في مقدور أي حاكم فاشستي أن يعيد حجم الدولة السوفييتية وقوتها. إلاّ أن قيام روسيا توسعية قد يهدد استقلال الجمهوريات الجديدة ويقوض آمالها بالسلام، كما أن اعادة الديكتاتورية الى روسيا يمكن أن تحرم الشعب الروسي حكمه الذاتي ثانية وتحدّ من زخم فكرة الديموقراطية وانتشارها.

ربما تكون العواصم الغربية أبدت اهتماما زائداً ببقاء ميخائيل غورباتشيف في السلطة، حتى بعدما بدا التحول

الديموقراطي محتوماً. لكن الأمر الأكيد هو أن هذه العواصم لا تبدي اهتماماً كبيراً بمصير أول رئيس منتخب في روسيا. الا أن بوريس يلتسين أثبت أنه زعيم ديموقراطي حاذق وملتزم مبادئ مجتمع حر واقتصاد حر، وأهم من كل ذلك، صداقة مع الغرب.

لقد أظهر، بقراراته وأفعاله، رغبته في السلام والحرية. والآن حان دور الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان لتظهر رغبتها في إفساح مجال داخل تنظيماتها وأسواقها للديموقراطيات الجديدة والأنظمة الاقتصادية الناشئة. فمن الضروري أن يثبت الغرب قدرة فائقة على الاستجابة للفرص الرائعة مثلما أثبت في الماضي قدرته على جبه التهديدات.

جين كيركباتريك ■

شغلت الكاتبة منصب المندوب الدائم للولايات المتحدة في منظمة الامم المتحدة بين ١٩٨١ و١٩٨٥.

٢. فتح آفاق اوروبية جديدة

تخيّل أنك في أمريكا قبل قرن ونصف قرن، في العام ١٨٤٢. في ذلك الوقت كان حوالى ثلث الارض التي نسمّيها الولايات المتحدة انتظم في إطار دولة. فجأة ينفتح الباب أمام الثلثين الآخرين.

سيصل أول قطار للمهاجرين الى أوريغون في العام المقبل، قبيل وصول الدفعة الكبيرة الاولى الى كاليفورنيا بعد سنة. وسوف يستوعب الاتحاد أراضي تكساس بعد ثلاث سنوات. وبعد العربات تأتي القطارات، وقريبا يبدأ مسح أول خط حديد عبر القارة. وما بدأ قطرة استحال طوفاناً.

واليوم، يواجه الثلث الاوروبي الذي انتظم في اطار المجموعة الاوروبية احتمالا مفاجئاً كهذا. فقد شُرّع الباب على المدى الاوروبي الاوسع في الشرق، لأن صاحب المفتاح الذي أبقى الباب مغلقاً الى الآن سقط. إنها أيام الرواد بالنسبة الى أوروبا... اذا شاء الاوروبيون ذلك.

من المؤكد أن الآفاق الاوروبية الجديدة لن تكون مفتوحة لموجات من المستوطنين ورعاة البقر والمزارعين الذين يحلّون لاستلاب الأرض. فالأوروبيون المتوقع ذهابهم الى الشرق هم مصرفيون واداريون وتقنيون ووكلاء تجاريون يعملون بموجب عقود، وسوف يعود معظمهم الى بلدانهم حالما ينهون الأعمال التي تعاقدوا لانجازها. لن يكونوا مستعمرين، لانهم لن يخلّفوا مستعمرات وراءهم. والواقع أن فتح باب الشرق هو فرصة سانحة للعالم الغربي كي ينشر أفكاره التي كسبت الحرب الباردة في مناطق جديدة واسعة. ومن هذه الافكار: نظام سياسة يجعل الحاكم رهن ارادة

المحكوم، ونظام اقتصاد يعطي على رغم عيوبه نتائج أفضل من أي نظام بديل معروف.

ان الاتجاه الحالي السائد في أوساط بيروقراطيي المجموعة الاوروبية هو أن المحادثات في شأن الانضمام الى المجموعة، حتى بالنسبة الى الدول الثلاث المفضّلة في العالم الشيوعي السابق وهي بولونيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا، لا يمكن أن تبدأ قبل أربع سنوات أو خمس.

فماذا يحصل في أثناء ذلك؟

لقد وعدت المجموعة الاوروبية حديثاً بأن تستورد مزيداً من منتجات الدول الثلاث المفضّلة. غير أن هذا الكرم المشروط لا يشمل، ويا للأسف، المواد الغذائية التي تحسن هذه الدول تصديرها أكثر من أي شيء آخر. فالمجموعة ستسمح فقط لقطرات اضافية قليلة من المنتجات الزراعية بالتسرب من هذه الدول الى أسواقها على مدى السنوات الخمس المقبلة.

إن تغيير وجه الثلثين الشرقيين من أوروبا يتطلب استجابة أكثر فاعلية مما نشهده الآن، ومن الضروري أن تحترم هذه الاستجابة الواقع الاقتصادي. فلن يجدي، مثلاً، انشاء صندوق لدعم استقرار عملة شيوعية سابقة ما لم تتمكن الحكومة التي تدير تلك العملة من إحكام سيطرتها على مصادرها المالية، لأن التضخم الناجم عن فلتان هذه السيطرة سيمتصّ إمكانات الصندوق فتبقى العملة غير مستقرة، ويكون ذلك كله هدراً للجهود ولأموال المتبرعين الاصدقاء.

وعلى الأوروبيين ألّا ينسوا احتمال بقاء بعض الحكام الطغاة في آسيا وافريقيا خلال السنوات القليلة المقبلة، مما يتطلب من أوروبا إرصاد مال كاف للدفاع عن النفس، بما في ذلك خطط دفاعية تؤمنها سياسات مساعدات حكيمة لمناطق من العالم قد تتعرض، في غياب هذه المساعدات، لخطر الانزلاق في أنظمة ديكتاتورية.

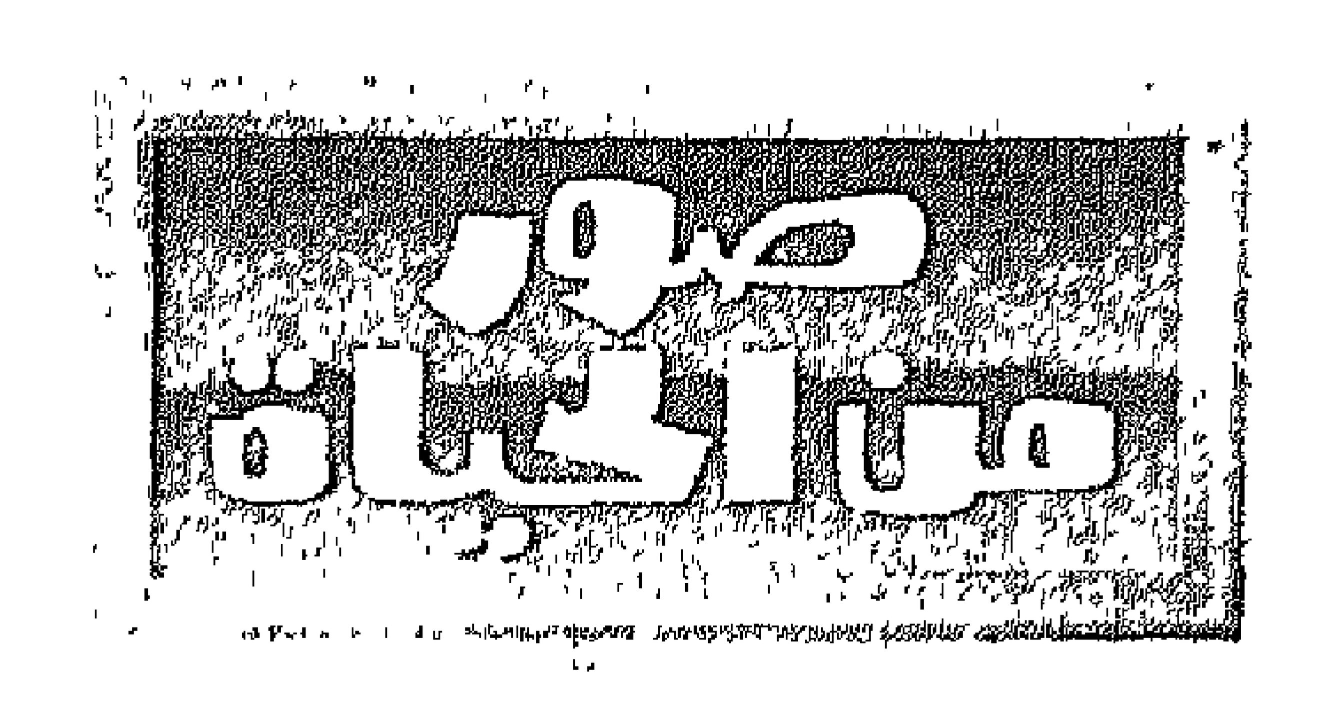
سوف تتلقى المحفظة الاوروبية دعوات للانفاق من خارج أوروبا.

لذلك لا يمكن أن تتولى أوروبا وحدها فتح الآفاق الاوروبية الجديدة. فالمساعدة في اقامة اقتصادات الاسواق الحرة داخل الثلثين الشرقيين من أوروبا تستلزم تعبئة موارد هائلة مادية وفكرية، وهذه مهمة لن تتمكن أوروبا من القيام بها من دون تعاون الولايات المتحدة.

لكن المبادرة الأولى يجب أن تصدر عن أبناء الطرف الغربي من أوروبا. فلا بدّ لهم من فتح بصيرتهم الناعسة ليتصوروا ما يمكن أن تكونه أوروبا بعد جيل أو جيلين: مكاناً يصل فيه الازدهار الديموقراطي الى أعمق أعماق سيبيريا. واذا كانت التعددية نجحت في التمدد غرباً في أمريكا، فهي قادرة على التمدد شرقاً في أوروبا.

بريان بريدام ■

الكاتب محرر مساعد في مجلة "ذي ايكونومست" الاسبوعية البريطانية



أم متفرغة

■ لم يكن سهلاً عليّ أن أوفق بين واجباتي المنزلية والزوجية وتربية اولادي الاربعة وعملي التطوعي الذي يستنفد وقتي. واذا بي افاجأ ذات يوم بمدير مدرسة ابنتي يتصل بي ليعرض عليّ مقعداً في لجنة الأهل. فلم أستطع رفض هذا المنصب الذي يؤهلني لخدمة التلاميذ.

وحين عادت ابنتي من المدرسة بادرتني: "أمي، هل عيّنكِ المدير في لجنة الأهل؟" سألتها كيف عرفت بالموضوع فأجابت: "لقد دخل المدير علينا وسألنا مَنْ من امهاتنا تعمل. وكنت الوحيدة التي رفعت يدها."

ج.س.

لغة الأزواج

■ عثرتُ بعد لأي على بقعة خالية أوقف فيها سيارتي أمام مركز تجاري كبير. واذ توجهت الى هناك رأيتُ سيارة أخرى مقبلة على مهل. ولما كانت أقرب مني الى المكان فقد نظرتُ الى سائقها نظرة تعني: "هل تريد أن توقف سيارتك هنا؟" فجاءني ردّه صعباً جداً، اذ هزّ رأسه نافياً، ثم أشار اليّ، فالى البقعة الخالية، فالى نفسه، فالى ساعته، فالى المخزن. وفي الختام عبس ورفع يديه الى السماء وهزّ كتفيه.

أوقفتُ سيارتي في البقعة ثم مضيتُ الى الرجل لأتأكد من انه غير راغب في الموقف. فقال لي: "لا بدّ انك أعزب. فلو كنتَ متزوجاً لفهمت الاشارات العالمية التي تخاطب بها سائقاً بمعنى: اذهب واوقف سيّارتك فأنا أنتظر زوجتي."

ج.ل.

مكالمة غريبة

■ رن جرس الهاتف، فرفعتُ السماعة، واذا برجل لا أعرفه يبدأ الحديث الي بحماسة منقطعة النظير وكأنني صديق قديم. أوضحتُ له أن الرقم الذي طلبه خطأ، فاعتذر بنبرة خائبة. لكنّه أضاف بصوت يخالطه بعض رجاء: "على كل حال، أتودّ أن تعرف ما حدث معي؟"

د.د.

الرياضة النسائية

■ أهدت الي زوجتي قسيمة اشتراك في ناد رياضي. فشكرتُها وسألتها عما اذا كانت هي أيضاً تود الانتساب الى ناد لتحسين لياقتها البدنيّة.

اجابت: "أنت تمزح. لن ادخل أي نادٍ قبل أن أخسر خمسة كيلوغرامات من وزني."

م.غ.



لا تحسدوا اليابانيّين

اليابان ثرية لكن اليابانيين فقراء!

تسير القطارات في اليابان في مواعيد محددة. وتمتاز شبكة المترو[1] بالدقة والامان. وتزدان البلاد بطرق نظيفة وتتصدر العالم في مجالات التكنولوجيا وصناعة السيارات والآلات الالكترونية التي تعتبر من عجائب العالم الحديث. وتمتلك الشركات اليابانية حصصاً وافرة من مركز "روكفلر" ودار "تيفاني" للمجوهرات في نيويورك، فضلاً عن ٤٥ في المئة من العقارات الفخمة في المنطقة المالية من الوسط التجاري في لوس انجلس.

لقد صنع اليابانيون معجزة اقتصادية. وتلك كانت الناحية المشرقة من المعجزة اليابانية. ولكن على رغم أن الدخل الفردي الياباني هو من أعلى الدخول في العالم، فان اليابانيين يشعرون بالاحباط والخيبة من معيشتهم التي لم يطرأ عليها أي تحسين. فالشقق السكنية ضيقة وباهظة الثمن. والتنقلات اليومية طويلة وشاقة. والأيام تتعاقب مملة ومضنية ضمن جدران مكاتب كئيبة. وقد أطلقت الحكومة اليابانية على هذا الوضع تسمية "مفارقة الازدهار": يابان ثرية ويابانيون فقراء.

ومن شأن الوضع المعيشي إحباط عزائم كثيرين. فالزوجان مياكاوا، مثلاً، يعيشان في غرب طوكيو في منطقة تسكنها غالبية من الطبقة الوسطى.

(١) المترو شبكة قطارات نفقية تحت مدينة ما.

ويكسبان معاً نحو ستة ملايين ين سنوياً (نحو ٤٦ ألف دولار). أما شقتهما فتبعد مسافة ٧٥ دقيقة في السيارة عن وسط طوكيو، وتتألف من مطبخ خصصت فيه زاوية للأكل، وغرفة نوم ومكتب رحمام. ويبلغ عرض كل من غرفة النوم والمكتب مترين ونصف متر فقط. وتبلغ المساحة الاجمالية للشقة حوالى ٤٢ متراً مربعاً. ويهزأ اليابانيون من منازلهم ويسمونها "أقفاص الأرانب."

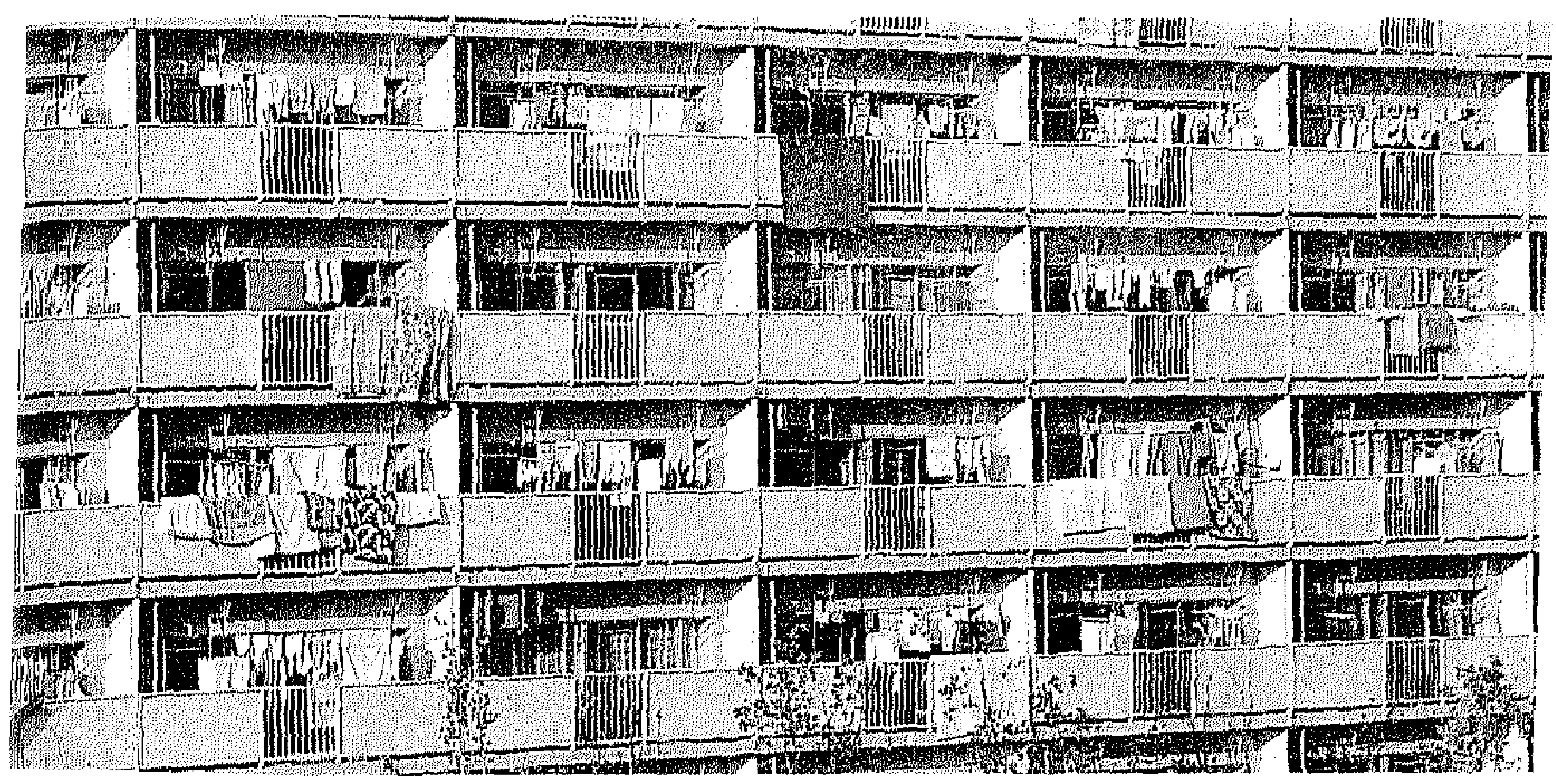
يدفع آل مياكاوا مئة ألف ين (٧٧٥ دولاراً) في الشهر بدل ايجار، الى ١١٥ دولاراً لايقاف سيارتهما – التي يملكانها منذ ست سنوات – أمام المبنى. كما يدفعان ١١٣ دولاراً في الشهر بدل خدمات، فضلاً عن "مقدَّم" ايجار لأربعة أشهر دفعاه ضماناً على أن يسترجعا نصف قيمته فقط عندما ينتقلان الى شقة أخرى.

وهذه الشقق قد لا تتضمن سخانة ماء وغسالة ومجففة وبراداً وفرناً ومكيف هواء وتدفئة مركزية (لذا يستعمل آل مياكاوا في الشتاء سخانات تدفىء قسماً من الشقة). ومع ذلك يصنف الوكلاء العقاريون شققاً كهذه في خانة "القصور."

ولا يتوقع آل مياكاوا أن يمتلكا منزلاً في يوم من الأيام، وهذا حلم يراود كل ياباني. ويبلغ متوسط ثمن شقة مساحتها ٧٥ متراً مربعاً في طوكيو نحو ٤٤٠ ألف دولار. وأظهرت دراسة أجراها مصرف اليابان عام ١٩٧٨ أن ٣٢ في المئة من المواطنين صرحوا بأنهم يدخرون مالاً لشراء منازل. وقد انخفض هذا الرقم الى ١٩ في المئة عام ١٩٨٨.

لكن الاذلال الاعظم الذي يتلقاه اليابانيون في حياتهم اليومية هو التنقل. اذ تكتظ القطارات خلال ساعات الزحمة وتستوعب نحو ٢٥٠ في المئة من طاقتها، حتى ليخيل الى ركابها أنهم معلقون وسط الحشود وأقدامهم لا تطأ الارض. وقطارات المترو ليست أفضل حالاً، إذ يعمد موظفون معاونون فيها الى "كبس" الركاب الى الداخل ليتمكنوا من إقفال الأبواب. ويشتكي الركاب من أنهم يعانون جسدياً ونفسياً خلال تجاربهم اليومية، ويصلون الى مراكز عملهم منهكين. (هناك شراب صحي رائج في أوساط العمال في طوكيو يدعى "الاسترداد" ويحتوي على كافيين وأحد مشتقات النيكوتين والفيتامين ب ١.)

وبين ذهاب واياب يقاسي اليابانيون الأمرين خلال يوم عمل هو من أطول أيام العمل في البلدان المتقدمة. قد يصل موظفو المكاتب في الثامنة والنصف صباحاً ويمضون نهارهم الى طاولاتهم حتى الثامنة مساءً، أو أكثر. والاختلاطات الاجتماعية بين الزملاء بعد ساعات العمل عادة يمارسها الموظفون. واذا طالت الرحلات اليومية فليس مستغرباً أن يعودوا الى منازلهم قرابة منتصف الليل. ويألف اليابانيون تمضية عطل نهاية الأسبوع في العمل. وثمة أغنية يابانية تعدد أيام الاسبوع: "الاثنين، الاثنين،



الثلثاء، الاربعاء، الخميس، الجمعة، الجمعة.»[٢]

ويفيد عمال كثيرون من برامج "مساكن الشركة" الذي يتبناه نحو ٩٦ في المئة من الشركات اليابانية. وظروف السكن نموذجية في شركة "شينساكو سيتو" التي تملك في شرق طوكيو مصنعا لطلي قطع الآلات بالكروم:

على مقربة من ردهة الطعام صف من الغرف يبلغ عرض كل منها مترين ونصف متر وطولها ثلاثة أمتار ونصف متر. الجدران مكسوة بألواح من قشرة الخشب، والارض مفروشة بسجاد ملطخ. واستعيض عن مكيف الهواء بنافذة منزلقة زججت ببلاستيك مموج.

وفي الجانب الآخر من الردهة غرفة تسلية يستريح فيها العمال على الأرض بعد تمضية ساعات في لعب الورق (الكوتشينة) أو الـ "ماه - جونغ." وتطفح منفضة كبيرة بأعقاب سجائر.

وتقع الغرفة التي يجلس فيها الرجال ويدخنون فوق راقود الطلي حيث تبرك تشكيلة من الموادالكيميائية على الارض.

يدفع العمال في "سيتو" ٩٣٠ دولاراً فقط بدل ايجار سنوياً. وبما أن أسعار الطعام محدودة، فهم قادرون على ادخار معظم دخلهم السنوي الذي يصل الى ٢٤ ألف دولار.

ومع ذلك انخفض معدل الادخار الوطني في السنوات الاخيرة بعدما كان مدعاة فخر وتبجح. وتفيد المؤشرات أن اليابانيين باتوا نزاعين الى الاسراف والتبذير. ويقول الناقد الاجتماعي شويشي كاتو: "لايستطيع الناس شراء منازل، لذا تحولوا الى شراء أشياء أخرى."

وهكذا توقف سيارات فخمة أمام شقق متواضعة في طوكيو.

(٢) في اليابانية: "غيتسو، غيتسو، كا، سوي، موكو، كين، كين."

وهنا أيضاً تبرز مفارقة الازدهار الياباني. يقول كاتو: "اقتناء السيارات هو، في معظمه، إرضاء لرغبة نفسية، اذ لا طرق في اليابان." ففي البلاد ٣٥٠٠ كيلومتر فقط من الطرق السريعة.

ومع توافر قرابة ٣٣ مليون سيارة ركاب في اليابان أصبح السير شبه عالق. ويكاد يستحيل ايقاف سيارة في طوكيو. وكثيرون من الذين يتنقلون في سياراتهم يغادرون منازلهم في الخامسة صباحاً ويشاهدون وهم يوقفون سياراتهم على الطرق ليغفوا قليلاً أو ليتناولوا طعام الفطور من أكياس ورق قبل أن تفتح المؤسسات أبوابها.

وعبارة "سياحة" داخل البلاد تكاد تخلو من معنى. فالرحلة القصيرة من طوكيو الى شاطىء البحر الذي يبعد ١٠٠ كيلومتر قد تستغرق ست ساعات خلال عطلة نهاية الاسبوع.

ومع تقلص آمال اليابانيين في حلول للمشكلة، يتوقع المرء صيحة احتجاج عارمة. لكن أمراً كهذا لم يحدث. والحركات الشعبية غير معروفة عملياً في اليابان. لكن الحكومة تخشى أن ينفذ الاحباط الى المجتمع، فبزوال حافز امتلاك المنازل قد لا يستمر اليابانيون في التضحية والعمل الشاق لدفع عجلة الاقتصاد.

وقد استعملت كلمة "مانوك" اليابانية لوصف الوضع. ويشرح مدير في شركة اعلانات مضمون الكلمة: "انها تعني أننا نفتقر الى ثلاثة أمور: الوقت، والفسحة، والحياة الخاصة. الوقت بسبب ساعات العمل الطوال وغياب أوقات الفراغ، والفسحة لأننا نعيش في أقفاص أرانب، والحياة الخاصة لاننا نمضي معظم أوقاتنا مع الزملاء والزبائن."

لكن كلمة "مانوك" تتضمن معنى مزدوجاً لاذعاً، ويضيف المدير: "انها المرادف الياباني لكلمة "أحمق"، فنحن حمقى لأننا نعيش من دون هذه العناصر الثلاثة."

يفتخر اليابانيون بانجازاتهم الاقتصادية. لكن هذا الفخر لم يعد كافياً لكثيرين، إذ يتساءلون لماذا لم تترجم ثروة الامة تحسينات في نوعية الحياة اليومية. ويقول شويشي كاتو: "كان العيش في حال طوارىء مقبولاً خلال السنوات القليلة التي تلت الحرب العالمية الثانية، لكنها لم تعد مقبولة بعد ٤٠ سنة وبعد تحقيق هذا الازدهار."

جيف شير ■

سواسية

سئل الكاتب المسرحي مارسيل أشار يوماً عن أحب أعماله اليه، فأجاب: "أحب أطفالي كلهم بالمقدار نفسه. فماذا تقول عني إن أنكرتُ أحد أبنائي لانه أعمى أو لانه رسب في صفه؟"

ج.ل.

كيف أصبح التدخين عادة مقبولة في مجتمعنا!

اليكم نبأ من المستقبل البعيد:

أكدت اكتشافات أثرية في كوكب الأرض إحدى أغرب عادات البشر القدامى. فخلال أوائل العصر البلاستيكي (١٨٠٠ - ٢٠٠٠ ميلادية) كان النساء والرجال يشعلون أنابيب ورقية فيها حبيبات من عشبة التبغ الضارة التي تحوي عنصراً فاعلا يدعى النيكوتين، وهو مادة زيتية فتاكة تكفي قطرات قليلة منها على اللسان للتسبب في موت فوري. وبعد اشعال الانابيب كانوا يتنشقون الدخان المتصاعد منها ويملأون به رئاتهم.

لم يسبق أن تجذرت مادة سامة الى هذا الحد في حضارة من الحضارات، على رغم أن مدخنين كثيرين تمنوا لو لم يتعاطوها، ومنهم من حاول الاقلاع عنها. ففي أواخر القرن العشرين، مثلا، كان الأمريكيون ينفقون نحو ٤٢ مليار دولار سنويا على السجائر التي كانت تقتل كل سنة أعدادا منهم تفوق ستة أضعاف عدد الذين قضوا في حرب فيتنام. كما لم يسبق أن ظهر في تاريخ الكون مثل هذا التناقض الفاضح بين المعرفة والسلوك.

من المفيد تتبع قصة هذه العادة العجيبة:

١٤٩٢ - لاحظ اثنان من بحارة كريستوفر كولومبوس هما رودريغو دي يريز ولويس دي توريس، أن سكان كوبا الاصليين يشعلون أوراق تبغ مجففة ويتنشقون دخانها. فحذا دي يريز حذوهم وأصبح أول مدخن أوروبي. ولما عاد الى إسبانيا ذعر جيرانه لدى رؤيتهم الدخان يتصاعد من فمه، وظنوا أن الشيطان تملّكه، فكان أن حكمت عليه "محكمة التفتيش"[1] بالسجن.

١٥١٨ - رأى مستكشفون اسبان أن أبناء الازتيك والمايا[2] يدخنون التبغ

(١) Inquisition. وهي محكمة نشطت خصوصا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وكانت مهمتها اكتشاف الهراطقة ومعاقبتهم.

(٢) الازتيك والمايا سكان شبه جزيرة يوكاتان قبل عهد كولومبوس.

في قصب مجوف، فأرادوا تقليدهم. وكانت تلك أول سيجارة تستجدى.

١٥٦٠ – كان جان نيكو سفيراً لفرنسا في البرتغال. فأرسل التبغ الى بلاده كعلاج لأمراض عدة. (بعد مئات السنين أطلق الكيميائيون اسم "نيكوتين" على المادة السامة المحتواة في أوراق التبغ.)

١٦١٢ – زرع جون رولف أول محصول تجاري للتبغ في العالم، في جايمستاون بولاية فرجينيا.

١٧٧٦ – انتزع البريطانيون نيويورك من جورج واشنطن، فأطلق هذا نداء ناشد فيه مساعدة جيشه. ومما جاء في النداء: "إن لم تتمكنوا من إرسال مال، أرسلوا تبغا."

١٨٤٣ – بدأت ادارة حصر التبغ الفرنسية تصنيع الپاپاليتس الاسبانية. (وهذا اسم ابتكره المتسولون في اشبيلية الذين كانوا يلفون ذرور العطوس (السعوط) وأعقاب السيجار في ورق ويدخنونها.) وأطلقت الادارة على هذه اللفافات اسماً فرنسياً هو "سيغاريت."[٣]

١٨٨١ – أُصدرت براءة اختراع لآلة تلف السجائر وتستطيع انتاج نحو ١٢٠ ألف سيجارة يومياً. وكانت السجائر قبل ذلك تلف باليد. وبحلول العام ١٩٠٠ بلغ عدد ماركات السجائر نحو ١٦٠.

١٩١٦ – أنزلت شركة التبغ الأمريكية سجائر "لاكي سترايك" التي روج لها أشهر المغنّين. وعندما تحدّى أحدهم مغني الاوبرا الايطالي الشهير جيوفاني مارتينلي سائلا اياه عن صحة ادعائه في أحد الاعلانات أن سجائر "لاكي" لم تضر بحنجرته، أجاب: "وكيف لها أن تضر بحنجرتي وأنا لم أدخن قط؟"

١٩٢٤ – نشرت مجلة "ريدرز دايجست" مقالا رائدا بعنوان "هل يؤذي التبغ الجسم البشري؟"[٤] فكان الأول في سلسلة مقالات بلغت المئة تناولت موضوع التدخين والصحة على امتداد السنوات الثماني والستين التي تلت. ومن عناوينها: "رعب سرطان الرئة" و"اختر علبة مشاكل" و"السرطان في علبة" و"هل تمانع إن سببت لك السرطان؟"

١٩٢٧ – كتب الطبيب البريطاني ف. أ. تيلكوت في مجلة "لانسيت" الطبية أن الغالبية الساحقة من المصابين بسرطان الرئة الذين عاينهم أو علم بهم كانوا من المدخنين.

١٩٣٠ – اعترفت السلطات الطبية الأمريكية رسميا بأن سرطان الرئة، الذي

(٣) cigarettes اي سجائر.
(٤) Does Tobacco Injure the Human Body?

كان نادراً حتى سنوات قليلة خلت، بات يشكل فئة مَرَضية مستقلة.

١٩٣٦ – بدأت المجلات الامريكية نشر إعلانات على صفحات كاملة تبرز مزاعم صحية من نوع "الأطباء يدخنون سجائر كامل أكثر من غيرها." ولما كانت سجائر "كامل" تحتل المرتبة الاولى، فقد كان ممكناً أن تنسب هذه المزاعم الى أي قطاع مهني.

١٩٣٨ – درس ريموند بيرل أستاذ علم الاحياء في جامعة جونز هوبكينز عينة مؤلفة من ٦٨١٣ شخصاً، وخَلُص الى أن ٦٦ في المئة من غير المدخنين يتجاوزون السن الستين في مقابل ٤٦ في المئة فقط من المدخنين بكثافة. وفي تلك الاثناء روجت الاعلانات لسجائر "كامل" مدعية أنها تخفف التعب وتساعد على الهضم. كما ادعت سجائر "كول" أنها تقي من الزكام، في حين فاخرت سجائر "أولد غولد" بأن حمولة شاحنة منها لا تسبب سعلة واحدة.

١٩٤١ – أعلن الرئيس الامريكي فرنكلين روزفلت خلال الحرب العالمية الثانية أن التبغ محصول ضروري، وأعفي مزارعوه من أداء الخدمة العسكرية.

١٩٤٧ – احدى أنجح الاغاني هذه السنة في الولايات المتحدة أغنية "دخن! دخن! دخن هذه السيجارة!"[٥] التي سجلها تكس وليمس وجاء فيها: "دخنت طوال حياتي ولم أمت بعد."

١٩٤٨ – ورد في نشرة الجمعية الطبية الامريكية: "من وجهة نظر نفسانية، الكلام المؤيد للتدخين كوسيلة للهرب من التوتر والاجهاد هو أقوى من الكلام المناهض له."

١٩٥٣ – ظهر رونالد ريغان[٦] في إعلان نشرته إحدى المجلات وقد تدلت من بين شفتيه سيجارة "تشسترفيلد" وهو يقول: "انها لا تخلِّف مذاقاً كريهاً." وروَّج للسجائر مشاهير آخرون بينهم المغني بيري كومو والمضيف التلفزيوني إد سوليفان والكوميدي بوب هوب والمغني بينغ كروسبي.

١٩٥٤ – أفادت جمعية السرطان الأمريكية خلال المؤتمر السنوي الذي عقدته الجمعية الطبية الامريكية، أن معدل الوفيات بالسرطان بين المدخنين الذكور يفوق معدل الوفيات بالسرطان لدى غير المدخنين بنسبة ٧٥ في المئة. وقد نوقشت هذه النتائج في غرفة عابقة بالدخان.

١٩٥٥ – حظرت لجنة التجارة الامريكية ذكر مزاعم صحية في اعلانات السجائر.

---

(٥) Smoke! Smoke! Smoke! That Cigarette

(٦) كان ممثلا آنذاك.

١٩٥٧ – أعلن فريق دراسي شكلته معاهد الصحة والسرطان وجمعية السرطان وجمعية القلب في الولايات المتحدة، وبوضوح للمرة الاولى، أن ثمة علاقة سببية مباشرة بين تدخين السجائر وسرطان الرئة.

توفي الممثل همفري بوغارت عن ٥٧ عاما، وهو الذي أضفت أفلامه على السيجارة ميزة الرجل العنيف. وهو قضى من جراء سرطان في الحنجرة.

١٩٦٤ – اقلع لاعب الغولف أرنولد بالمر عن التدخين متخليا عن مبلغ ١٠ آلاف دولار سنوياً كان يتقاضاه في مقابل رمي سيجارة "إل إم" على العشب والتقاطها لاحقاً لأخذ نشقة بعد تسديد ضربة صائبة. لكن وزنه ازداد تسعة كيلوغرامات خلال ستة أشهر، فعاد الى التدخين.

١٩٦٥ – بلغت مبيعات السجائر في الولايات المتحدة ٥٢٩ مليار علبة أي أكثر من نصف علبة يومياً لكل مواطن تخطى الثامنة عشرة.

توفي المغني نات كينغ كول عن ٤٥ عاما، وهو الذي كان يدخن السجائر خلال إنشاده أغنيات شعبية عاطفية. وقد قضى بداء سرطان الرئة.

١٩٦٦ – بدأت علب السجائر في الولايات المتحدة تحمل عبارة "تنبيه، قد تكون السجائر مضرة بصحتكم."

١٩٦٩ – توفي السيناتور الأمريكي ايفريت ديركسن بعيد خضوعه لجراحة سرطان الرئة. ومما قاله قبيل وفاته: "لقد أخذوا مني سجائري!"

١٩٧١ – حُظرت اعلانات السجائر في الراديو والتلفزيون. وأصبح القانون ساريا ابتداء من منتصف ليل ١ يناير (كانون الثاني) كيما تتمكن شركات التبغ من تمرير إعلاناتها خلال مباريات كرة القدم التي أقيمت يوم عيد رأس السنة. كما رُفع مستوى التنبيه المدون على علب السجائر ليتضمن أن التدخين "خَطِر."

١٩٧٣ – أُلزمت شركات الطيران فصل المسافرين المدخنين عن غير المدخنين في رحلاتها الداخلية.

١٩٨٣ – أفادت التقديرات أن الوفيات المرتبطة بالتدخين تجاوزت ٣٠٠ ألف سنويا.

توفي آرثر غودفري على أثر إصابته باحتقان الرئتين.

١٩٨٦ – أفاد رئيس دائرة الصحة العامة[٧] إيفريت كوب أن غير المدخنين يواجهون أخطارا صحية جدية بتعرضهم لدخان سجائر الآخرين.

١٩٨٨ – قضت محكمة اتحادية في نيوارك للمرة الاولى بأن صانعي السجائر

(٧) U.S. Surgeon General

هم مسؤولون قانونا عن وفاة مدخِّن. وحكمت بمبلغ ٤٠٠ الف دولار تعويضا لزوج روز تشيبولوني التي قضت عام ١٩٨٤ وهي في الثامنة والخمسين من عمرها بسبب سرطان الرئة. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠ نقضت محكمة استئناف الحكم، لكن العائلة واصلت معركتها ورفعت القضية الى مجلس القضاء الاعلى. وينتظر صدور الحكم في يوليو (تموز) ١٩٩٢.

١٩٨٩ — أفاد رئيس دائرة الصحة العامة أن التدخين يودي بحياة ٣٩٠ الف أمريكيٍ سنويا، وأن الذكور الذين يدخنون باعتدال معرضون للموت بسرطان الرئة بنسبة أكثر ١٥ ضعفا من غير المدخنين.

١٩٩٠ — أفادت هيئة استشارية من العلماء أن الدخان الذي يتنشقه غير المدخنين هو مسبب للسرطان. فردّ معهد التبغ الامريكي بأن "التحليل الاحصائي الوارد في التقرير مغلوط." وصرحت رئيسة دائرة الصحة العامة أنطونيا نوفيلو أن ١٢٦ ألف أمريكية يمتن سنويا من جراء اختلالات مرتبطة بالتدخين، وأن ٣٥٠٠ طفل يموتون سنوياً لأن أمهاتهم دخنَّ خلال فترة الحمل.

بحلول العقد الأخير من القرن العشرين، دانت الحكومة الامريكية استعمال التبغ وحظرت تعاطيه في الأماكن العامة، وفي الوقت نفسه منحت قروضا لانتاجه وشجعت تصديره.

أفاد قطاع انتاج التبغ أنه يؤمن وظائف لنحو ٢،٣ مليون أمريكي، وهذا رقم لم يشمل الأطباء وعمال المستشفيات ورجال الاطفاء وأصحاب المصابغ والاختصاصيين بعلاج مشاكل التنفس وأصحاب الصيدليات وحفاري القبور الذين نشطت أعمالهم بفضل هذه الصناعة.

وليم إسنبرغ ■



طوارىء!

كثيراً ما يضيق قسم الطوارىء في المستشفى حيث اعمل بالوافدين الكثر. لذا قرّر الأطباء اعتماد خطة انتقائية بحيث يعالجون الاصابات الاكثر خطورة اولا ثم ينتقلون الى غيرها. لكن هذه الطريقة لم تلغِ همهمات التذمّر بين المرضى الذين كان بعضهم ينتظر ساعات قبل معالجته.

وذات يوم بلغت الاصابات رقما قياسيا. وفجاة دخل قسم الطوارىء شرطي قال للطبيب المناوب: "آسف لهذا الازعاج يا دكتور، لكننا تلقينا نداء استغاثة من غرفة الانتظار هنا."

ج.ك.

هل تهمّ باجراء مقابلة لطلب وظيفة؟ سوف تطرح عليك أسئلة أساسية فهاك أجوبة محكمة عنها

الوظيفة وراء الباب

مرّ جيم داي بظروف عصيبة اذ وجد نفسه، وهو في الرابعة والاربعين من عمره، بلا وظيفة ولديه ابنان في الجامعة وثالث على وشك دخولها. وبعدما صرفته شركته في عملية "شد حزام" قابل نحو مئتي شخص باحثا عن وظيفة إدارية أخرى. وأخيرا، عندما دخل مبنى شركة كبرى للزجاج لمقابلة مدير قسم التوظيف فيها، بدا مبتسما وواثقا بنفسه، إذ اطمأن هذه المرة الى أن لديه استراتيجية تكفل له نيل المركز.

وكان داي حضّر لهذه المقابلة بوضعه لائحة بالأسئلة التي ظلت تتكرر قبلا في مقابلاته الفاشلة، ثم طلب من صديق له أن يطرح عليه هذه الأسئلة أمام آلة تصوير فيديو، وأعاد بث الشريط، وراح يراقب نفسه متسائلاً: "هل أوظف هذا الرجل؟ لا." فهو رأى نفسه جالسا متجهم الوجه مكتوفا، كتلميذ استدعي الى مكتب المدير. وما توهّمه ثقة بالنفس كان أقرب الى التكبر والوقاحة.

بعد مشاهدة الشريط تكرارا أدرك داي أنه صار جاهزا. ولم تمض أيام على مقابلته مدير التوظيف في شركة الزجاج حتى عين نائبا لرئيس الشركة.

هذه المقاربة التي ساعدت جيم داي في التغلب على مشكلة البطالة في منتصف العمر، تصلح لآخرين في سوق تضيق فيها مجالات التوظف. وتقول آن وينستوك نـائبـة رئيس شـركـة "دريـك بيم



PHOTO: ERNEST COPPOLINO

وموررين" وهي كبرى شركات التوظيف التي تعنى بتوجيه الموظفين المصروفين الى أساليب العثور على وظائف: "عليك، ببساطة، أن تظهر نقاط القوة لديك." وتضيف ايفلين ديفيس وهي مستشارة توظيف في مدينة كنساس: "في وسع أي شخص تقريبا أن يتعلم كيف يجري مقابلة ناجحة. قد لا تكون مندوب مبيعات، لكنك تتمتع بميزة كبرى، فأنت قد تعرف السلعة أكثر مما يعرفها أي شخص آخر."

تتلخص أي مقابلة ناجحة، من ضمن مقابلات يجريها مرشحون ذوو مؤهلات متساوية، بالاجابة الصحيحة عن الاسئلة المناسبة.

لقد تحدثنا مع أشخاص يجرون مثل هذه المقابلات، وحددنا ثمانية أسئلة رئيسية يطرحونها دائما بمعنى أو بآخر:

١ • من أنت في الواقع؟

هذا ما يرمي اليه من يجري معك مقابلة عندما يبادرك بالسؤال: "حدثني عن نفسك." ويكون هو دوّن ما اذا كنت وصلت في الوقت المحدد وكنت حسن الهندام. احرص على أن تترك كلماتك الأولى انطباعا حسنا. يمكنك الكلام باختصار، في دقيقتين، عن ثقافتك وخبرتك المهنية، ثم الانتقال الى الحديث عن الأسباب التي تجعلك أهلا للوظيفة المطلوبة.

عليك أن تضمّن حديثك عبارات مميزة بحيث يعلق في الذهن. قال أحد الناجحين للمدير الذي قابله: "اني تخرجت في جامعة مغمورة، ولكن انظر الى ترقياتي خلال عشر سنين." لقد أظهر رده مدى ذكائه وطموحه واجتهاده وساعده في التقدم على منافسيه المتخرجين في أرقى الجامعات.

لا تموّه الحقائق. حاوَل مرشَّح قوي لمنصب نائب رئيس شركة اخفاء سنه الحقيقية بتقديم تاريخ تخرجه في الجامعة خمس سنوات. لكن محاولته أن يبدو في الثانية والخمسين، وليس في السابعة والخمسين، أعطت نتيجة عكسية عندما تحقق مُقابله من مراحل دراسته. فاستُبعد للحال لعدم استقامته.

٢ • لماذا تبحث عن عمل؟

إن من يجري معك المقابلة سيكون متربصا لمعرفة أسباب صرفك، ومتنبها لأي محاولة خداع. فكن صريحا وسريعا. وتحذرك وينستوك: "إياك والاطالة أكثر من دقيقة والا انتهيت." ولا تشح نظرك عن محدثك، تماما كما فعل جيم داي حين أجاب عن هذا السؤال ضاحكا: "كنت ضحية مشروع خفض للموظفين أعددته بنفسي." والجواب البسيط والصريح يفي بالغرض كذلك: "كانت لي خلافات مبدئية مع مجموعة جديدة من المديرين." وثمة توضيح آخر يلقى تفهما سريعا: "عهد الي في وظيفة غير تلك التي وظفت من أجلها."

يقول توماس فاي المتمرس في إجراء مقابلات: "حتى إن طردت من عملك،

يبقى الجواب الافضل هو الاصدق. فمحاولات خفض الموازنات عمَّت العالم، ولم يعد الصرف يحمل السمة التي كان يحملها في السابق. كما لم تعد الرغبة في تغيير الوظيفة تكراراً أمراً مستهجناً."

٣ • ما الذي تستطيعه من أجلنا؟

إن من يطرح هذا السؤال يرمي الى التحقق من مدى اطلاعك على أوضاع شركته. ففي استطلاع شمل ٣٢٠ مدير توظيف أجراه فكتور لندكويست مدير التوظيف في جامعة نورث وسترن، تبين له أن "نقص المعلومات حول الشركة المعنية ومنتجاتها، الى الادعاء والغرور وضعف التعبير، أسباب رئيسية لرفض المتقدمين."

وتقول جانيت سانسون مديرة قسم الطاقات البشرية لدى شركة "جنرال الكتريك": "ان عدم التحضير للمقابلة ينم عن لامبالاة المرشح وافتقاره الى الدُربة والانضباط."

من السهل التحري عن رب عمل محتمل. وتوصي مارغريت فيلان الباحثة في ميدان توظيف مديرين قادرين: "استكشف المكتبات واعثر على المراجع اللازمة واقرأ واقرأ واقرأ." وقد يزودك أمناء المكتبات تقارير سنوية وكتيبات وربما معطيات كمبيوتر عن أرباب عمل.

٤ • ما هي قدراتك؟

هل تتمتع بحيوية عالية؟ بالحماسة؟ بالجدية؟ بالتصميم؟ بالنضج؟ بالذكاء العملي؟ بانجاز العمل المنوط بك؟ بالحزم؟ تقول باتريشيا كويل نائبة رئيس مجموعة مصرفية في نيوانغلند: "اننا نبحث عن كل هذه المواصفات." ادعم أقوالك بأمثلة ملموسة مأخوذة من واقع العمل أو من المدرسة: "لقد بعتُ بطاقات لمسرحية المدرسة أكثر مما باع أي تلميذ آخر." هذا برهان جيد يقدمه تلميذ تخرج حديثاً في المدرسة الثانوية.

لا تقل: "أستطيع انجاز أي عمل تريدون." لأن من يجري المقابلة ينتظر إجابة محددة. ولكن لا تضيِّق آفاقك. يقول طوني نابهولز مدير التوظيف في شركة تأمين: "نحن لا نريد أناساً يكونون مجرد بائعين أو منظمي طلبات أو مسوقين، بل يجب أن يظهروا أيضاً إلماماً بالكمبيوتر وقدرة على الاتصال بالآخرين، وهاتان مهارتان تساعدانهم على التقدم."

يقول بارت هولوهان وهو مدير توظيف مرموق: "ان رغبة المديرين في انجاز الكثير بمن تيسر قضت على عصر الاختصاص. والذين يجرون مقابلات ينتظرون من الموظف الجديد أن يتكيف والعالم المتغير. وهذا تحول جذري عما كانت الحال في الثمانينات، يوم كان مبرمج الكمبيوتر سيداً مطلقاً."

٥ • ما هي نقاط ضعفك؟

للتحقق من صدق المتقدم الى الوظيفة واستقامته واتزانه، غالباً ما يواجهه مدير التوظيف روبرت هيدريك بالسؤال الآتي: "أخبرني عن واحدة من تجاربك

الفاشلة." ان جوابا خاطئا مثل "لا أتذكر أيا منها" ينم عن نفسية أنانية غير واقعية لا تقر بامكان الفشل. من جهة أخرى، توصي وينستوك بعدم الاسترسال في ذكر النواقص.

أما الاجابة "الآمنة" فتكمن في ذكر الضعف الناتج من الافراط في استعمال القوة، كالقول مثلاً: "يسيء بعضهم فهم حزمي، ويعتبرون أنه يدل على نفاد صبر. لكني بت الآن أنتبه الى طريقتي في التعبير."

حاول دائما أن تظهر أنك أفدت من أخطائك: حصل أحد طلاب الهندسة على منحة دراسية، لكنه كاد يطرد من الجامعة بعدما أمضى سنته الأولى في السهرات والحفلات. وفي سنة التخرج قابل مديري توظيف كثيرين موضحا لهم طريقته في النجاح: "لقد عوضت ما فاتني بفضل العناد الذي احتجت اليه للتغلب على منافسي. وها انا الآن أنال أعلى العلامات." فانهالت عليه عقود العمل.

٦ • أي نوع من المديرين تحبذ؟

تجنب الاجابة الوقحة: "المدير الذي أراه مرة في السنة." ولا تنتقد مديرك السابق. إن من يقابلك يسعى الى تلمس احتمال وقوع خلافات مع مديرك العتيد.

اليك مواصفات المدير المثالي كما حددها مدير توظيف ناجح: "انه قائد كفي أستطيع التتلمذ على يديه، يتيح لي الفرص ويوجهني وينتقدني عندما أخطىء."

٧ • ما أبرز إنجازاتك؟

يأبى بعض المديرين توظيف شخص عاجز عن ذكر إنجاز واحد بارز. دوّن الانجازات التي تفتخر بها والتي حققتها في كل من السنوات الخمس الاخيرة، وادعمها بالارقام متى أمكن لاظهار أهميتها: "لقد نظمت حملة تبرعات جمعت ٢٣٤ ألف دولار، أي بزيادة ١٠ في المئة عن أي حملة سابقة." أو: "ادخلت تقنية التنضيد الطباعي على الكمبيوتر، فوفرت على شركتي ٨٢ ألف دولار في السنة."

٨ • ما هو الأجر الذي تتوقعه؟

لا تأتِ على ذكر الأجر في المقابلة الاولى، فسوف يتطرق رب العمل المحتمل الى هذا الموضوع في المقابلة الثانية أو الثالثة قبل أن يقدم اليك عرضه. أما اذا لمست إصراراً على هذا الحديث فلا تعطِ رقما بخسا يدل على نقص في ثقتك بما تستحق. ولا تقترح رقما مرتفعاً جداً، فقد تخسر العرض. الافضل أن تعطي مجالاً. قل مثلاً: "اني أتوقع أجراً يراوح بين كذا وكذا."

توقع، الى هذه الاسئلة الثمانية الحاسمة، محاولات أخرى لامتحانك. فقد يصف لك محدثك مشكلة حاصلة في العمل ويسألك كيف تحلها. وللمحدثين أيضا طرق متنوعة في اختبار استقامتك. فمايكل ميلر نائب رئيس شركة كبرى يلقي أحيانا بالطعم الآتي: "درجت الشركات

في بعض البلدان على دفع رُشاوى للحصول على عقود عمل. فهل أنت قادر على ذلك؟" ليس هناك سوى جواب واحد صحيح: "القوانين والاخلاق تحرم الرشوة. لا، لست قادراً على ذلك."

وغالبا ما تنتهي المقابلات بالسؤال الآتي: "هل تود الحديث عن موضوع آخر لم نتطرق اليه؟" وهذا هو الوقت المناسب للاستفهام عن طبيعة العمل وعن توقعات المدير وأسباب شغور المنصب. ومن شأن الأسئلة الذكية أن تخلف أثراً طيبا وتذكر محدثك بأنك، أنت أيضا، يجب أن تكون راضيا.

وفي الختام لخص العناصر التي تجعلك صالحا للوظيفة. فبعد التدرب على اقتناص الوظائف، لا بد أن يسهل عليك ابداء الرأي الصحيح الذي يساعدك في الحصول على وظيفة متفوقاً على مرشحين أقل استعداداً للمقابلات.

دونالد وديانا ستروتزل ■



ظاهرة كونورز

في بداية دورة الولايات المتحدة المفتوحة لكرة المضرب عام ١٩٩١، كان اللاعب "العجوز" جيمي كونورز مصنفا في المرتبة المئة والرابعة والسبعين في الترتيب العالمي. وفي ختام الدورة كان في التاسعة والثلاثين من عمره ومحتلاً المرتبة السادسة والستين ومذهلاً الامّة بأسرها.

واستغرقت مباراة العودة ضدّ باتريك ماكنرو اربع ساعات ونصف ساعة لتنتهي في الساعة ١،٣٥ فجراً.

ويوم عيد ميلاده خاض كونورز مباراة ماراتونية اخرى دامت اربع ساعات و٤١ دقيقة وغلب فيها آرون كريكشتاين. وإذ جُنَّ الجمهور وعلت الهتافات قال كونورز متظاهراً بالاندهاش: "لا اعرف ماذا اتوقع من نفسي بعد. تخيلوا انني استطيع ان اهزم هؤلاء الشباب!"

لكن هذا اللاعب الذي فاز في خمس دورات مفتوحة سابقة خسر امام جيم كورير في الدور النصف النهائي. لكن ما تعنيه اللعبة حقا بالنسبة الى كونورز امر جلي، فقد قيل له مرّة إن اللاعب بيت سامبراس، الذي خسر في أولى جولات مباراة دفاعه عن لقبه، قال معبراً عن ارتياحه: "لقد ازيح ثقل كبير عن كاهلي." فعلّق كونورز على ذلك قائلاً: "لقد عشت من اجل أن اكون بطل دورة الولايات المتحدة المفتوحة. واذا كان بعضهم يشعر بالارتياح في الخسارة، فهو ليس على ما يرام."

ك.ك.

تحمل لافتة متجر لبيع سلاح الصيد اسم "تاجر البندقية." ("تاجر البندقية" عنوان مسرحية لشكسبير.)

م.ب.



فضيحة في فرنسا:

دم ملوث ينشر الإيدز

علم الاطباء الفرنسيون أن مخزون الدم في البلاد ملوث بفيروس الايدز. لكنهم لم يحركوا ساكناً

ذات ليلة من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٤، فيما عازف البيانو جان بيرون غارفانوف (٤٥ عاما) يقدم عرضا في حفلة منزلية أقامها الدكتور جان بيار آلان رئيس قسم الابحاث في "المركز الوطني لنقل الدم" في باريس، التقط خلال فترات الاستراحة نتفا من أحاديث مثيرة للقلق تبادلها ضيوف لهم علاقة بالمركز. سمع أحدهم يقول: "إنها لفوضى عارمة، ولا بد أن تؤول الى مشاكل كبيرة." وتناهت الى مسمعه كلمة "تلوث" غير مرة.

أقلقت هذه الاحاديث بيرون غارفانوف لأنه كان مصابا بالنزف الوراثي[1] ويحتاج تكرارا الى عمليات نقل دم. فبدأ مراسلة السلطات الطبية والمسؤولين عن الصحة العامة في فرنسا سائلا عن سلامة مخزون الدم المتوافر للمصابين بالنزف الوراثي. وهو داوم مراسلاته سبع سنوات، حتى انفجرت "المشكلة" التي جرى تداولها في تلك الحفلة مؤدية الى فضيحة طبية كبرى. واكتشف الرأي العام كيف تلقّى مئات المصابين بالنزف الوراثي وضحايا الحوادث ومرضى المستشفيات في فرنسا مشتقات دموية كان الاطباء يعرفون – أو كان عليهم أن

(١) Hemophilia

تقرير خاص

يعرفوا – أنها ملوثة بفيروس نقص المناعة البشرية «HIV».[2]

يحتل المصابون بالنزف الوراثي حيزاً ضيقاً في نطاق كارثة الايدز[3] العالمية المتوقع أن تصيب ٤٠ مليون شخص بنهاية هذا القرن. وقد ابتلى هذا الداء في فرنسا نحو ١٢٠٠ مصاب بالنزف الوراثي قضى منهم أكثر من مئتين الى الآن. لكن ما يثير المشاعر حقاً هو أن مَنْ طاولتهم الاصابة يمثلون نحو نصف مجموع المصابين بالنزف الوراثي في هذا البلد. وليس من مجموعة بشرية أخرى ضربها فيروس HIV بمثل هذه الكثافة.

لا تقلقوا! النزف الوراثي مرض نادر يمنع الدم من التخثر، أدى عبر التاريخ الى اعاقة ضحاياه أو موتهم نتيجة جروح أصابتهم. وكان متوسط عمرهم لا يزيد على ٢٠ عاماً. كما كانت طرق المعالجة المتوافرة تسبب آلاما شديدة ووهنا.

يقول جان فرنسوا د.[4]: "كل ما أذكره عن طفولتي هو صراخي من الالم طوال ليالٍ وساقي مشدودة برباط لوقف نزف في رُكبتي، واحتجازي سنوات مع أطفال آخرين في مبانٍ لا فرح فيها حيث لم يسمح لنا باللعب خارجاً لئلا نؤذي أنفسنا."

ويذكر بيرون غارفانوف يوم أصيب برعاف وهو لمّا يزل طفلا في بلغاريا. وقد عاده الطبيب وقتئذ وهز كتفيه مشيراً الى السماء كأنه يقول: "انك ذاهب الى هناك." لكن عمّة ذكية أنقذت الطفل بطمره في الثلج الذي أدت برودته الشديدة الى وقف النزف.

تحسنت طرق معالجة المصابين بالنزف الوراثي في الستينات. لكن التطور الذي اعتُبر فتحا جديداً حصل في السبعينات عندما صار في الامكان تركيز بلازما الدم في جرعات صغيرة يستطيع المصابون حقنها في أوردتهم فيصبح دمهم قابلا للتخثر طبيعيا ليومٍ أو يومين. كما يمكن خزن هذه المركّزات في البرادات وحملها في حقائب صغيرة. وبذلك أصبح في وسع المصابين بالنزف الوراثي عيش حياة طبيعية.

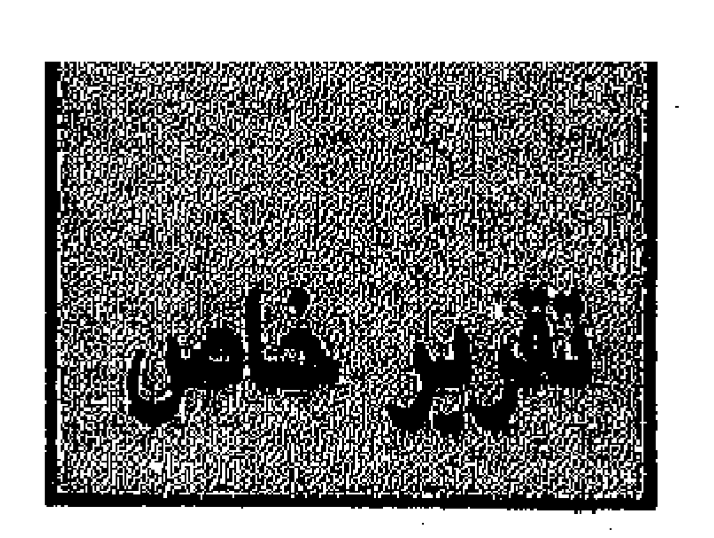
ولكن في يونيو (حزيران) ١٩٨١ كشف أطباء في لوس انجلس أعراض عدوى غامضة سميت رسميا بعد ١٨ شهراً "إيدز." وكان المصابون بالنزف الوراثي يعرفون أن مركّزات البلازما تُستحضر في أحواض تحوي دماء متبرعين قد يصل عددهم الى ٥٠٠٠، ويكفي أن يكون أحدهم مصابا بفيروس نقص المناعة البشرية حتى يصبح الترياق سما قاتلا.

وفي فرنسا، استشار المصابون بالنزف الوراثي أطباءهم وقد انتابهم

(٢) Human Immunodeficiency virus

(٣) Acquired Immunodeficiency syndrome «AIDS»
اي داء نقص المناعة المكتسب.

(٤) بعض الاسماء مستعار احتراما لسرّية المرضى.



القلق. لكن الاطباء حاروا في أمرهم وراجعوا خبراء قال معظمهم إن الامر لا يدعو الى القلق. وقد عمد البروفسور جان برنار، وهو مرجع عالمي بارز في مضمار الدم، الى إبلاغ الجمعية الفرنسية لمرضى النزف الوراثي في يونيو (حزيران) ١٩٨٣، أن خطر الاصابة بالايدز من جراء تلقي مشتقات دموية هو اقل من خطر الاصابة بالتهاب الكبد. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣ أعلن البروفسور جان ديكو مدير مركز نقل الدم في تولوز: "ان التبرع بالدم في بلدنا يتم مجاناً،[٥] لذلك يبدو أن ليس ثمة متبرعون يشكلون خطراً."

وأضاف الخبراء أنه، حتى في حال تسرب بعض الدم الذي يحمل فيروس HIV، فالامر لا يدعو الى القلق. وأشارت دراسة أعدتها دائرة الصحة العامة عام ١٩٨٤ الى أن واحداً فقط من كل عشرة مصابين بفيروس HIV تعرض خلال السنوات الخمس السابقة للاصابة بالايدز. وبقي رئيس الدائرة البروفسور جاك روحتى سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥ يؤكد أن الايدز "ليس مشكلة صحية كبرى." وكان الايدز حتى ذلك التاريخ يُعتبر مرضاً يصيب فئات هامشية مثل الشاذين ومدمني المخدرات.

تأخير وإهمال. استمر الاطباء في وصف مركزات البلازما لمرضاهم.

كان جوفري ديبوا طفلا ذكيا نشطا مصابا بالنزف الوراثي. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥، وكان في منتصف عامه السادس، أصيب بجرح في ساقه. فحقنه الاطباء في المستشفى محتوى أربع قوارير من مركزات البلازما المستخلصة من دم عشرين متبرعاً فقط. وتتذكر أمه: "لم يتفوه أحد بكلمة عن أي خطر محتمل." لكنها اكتشفت بعد سنة أن جوفري أصيب بالعدوى.

كانت المواقف التي اعتمدها الخبراء الفرنسيون مبهمة ومحيِّرة، خصوصاً لأن المجلات الطبية بدأت تشير منذ العام ١٩٨٣ الى أن الايدز ينتشر عالمياً. وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٣ أوصى خبراء المجلس الاوروبي الاطباء بتوخي الحذر لدى وصف مركزات بلازما مستخلصة من أحواض كبيرة يمكن أن تحتوي على دم ملوث. ومع الوقت ارتفعت النسب المئوية المقدَّرة لحاملي فيروس HIV الذين يموتون بسبب تحوله الى الايدز. فازداد قلق الاطباء.

كذلك ازداد قلق بيرون غارفانوف عندما رأى أن رسائله البسيطة المتسائلة لم تلقَ أي اهتمام. فبدأ توجيه أسئلة الى السلطات الطبية حول الخطوات المتخذة لحماية المصابين بالنزف الوراثي من الايدز. وعندما قوبل باجابات مراوغة كتب

(٥) اشارة الى الممارسة المنتشرة في دول اخرى حيث يبيع مدمنو المخدرات دماءهم للحصول على نقود.

مزيداً من الرسائل (نحو ٦٠٠ خلال السنة الاولى وجهها الى أطباء ووزراء وعلماء).

وفي مستشفيين في باريس، كشفت فحوص مخبرية أجريت أوائل العام ١٩٨٥ أن الوضع قائم فعلاً. وفي ١٢ مارس (آذار) أشارت مذكرة داخلية موجهة الى دائرة الصحة الى أن "من المحتمل أن تكون كل مشتقات الدم المستجمعة من متبرعين باريسيين ملوثة." وفي ٧ مايو (أيار) أعلن الدكتور ميشال غاريتا مدير المركز الوطني لنقل الدم أن نحو ٥٠ في المئة من المصابين بالنزف الوراثي الفرنسيين أصبحوا يحملون فيروس نقص المناعة البشرية HIV. وفي ٢٩ مايو (أيار) قال لمساعديه: "إن كل مخزوننا من مشتقات الدم ملوث."

ولم تكن فرنسا وحيدة في هذا المضمار. ففي ألمانيا ابتُلي نحو ١٥٠٠ مريض بالنزف الوراثي بعدوى نتيجة تلقيهم مشتقات دم ملوثة، وتشير المصادر الرسمية الى وفاة ١٨٠ منهم بسبب الايدز، فيما تقدر جمعية المصابين بالنزف الوراثي أن الرقم الصحيح هو في حدود ٣٠٠. وفي الدانمرك أظهرت الفحوص أن أكثر من ربع المصابين بالنزف الوراثي يحملون الفيروس، وقد مات منهم عشرون بسبب الايدز. وفي النمسا طاول الفيروس نحو ١٠٠ شخص من أصل نحو ٧٠٠ مصاب بالنزف.

في هذه الدول وغيرها كان ممكناً انقاذ كثيرين لو اتخذت القرارات المناسبة في الوقت المناسب.

ومعظم هذا التأخير، سواء في فرنسا أو في بلدان أخرى، مرده الى الشك العلمي. إلا أن المسؤولين الفرنسيين تباطأوا لأن التحرك السريع كان سيكلف أموالاً طائلة. وقد شرح الدكتور جاك رو الامر بعد ست سنوات قائلاً: "تضاربت الآراء بين محذر من حصول كارثة وقائل بأن الامر ليس ملحاً. ولاسباب مالية، ظن وزراء في الحكومة أن من مصلحتهم الأخذ بالرأي الثاني."

ضحايا بريئة. منذ اليوم الاول لاكتشاف فيروس نقص المناعة عام ١٩٨٣ والمختبرات في أنحاء العالم جاهدة لتطوير فحوص موثوقة. وكانت أولى الفحوص التي وضعت في التداول من تحضير "مختبرات أبوت" في شمال شيكاغو، وعُرضت على السلطات الفرنسية في فبراير (شباط) ١٩٨٥. ويظهر أن لا شيء وقف في طريق اجازة استعمالها الفوري سوى فحوص فرنسية منافسة طورتها مؤسسة "دياغنوستيك باستور." لذلك اعتمدت السلطات ما سماه الدكتور روبير نتر مدير مختبر الصحة الوطنية "تأجيلاً" في رسالة وجهها في ١٥ مارس (آذار).

تقرير خاص

وفي ٩ مايو (أيار) أشير في اجتماع حكومي عالي المستوى رأسه البروفسور فرنسوا غرو المستشار العلمي لرئيس الوزراء، الى احتمال أن تؤدي الموافقة الفورية على فحوص "أبوت" الى الحؤول دون تسويق فحوص "باستور." فتم تأجيل القرار ثانية. وأخيراً مُنحت "باستور" اجازة لتسويق فحوصها في ٢١ يونيو (حزيران). وفي ٢٤ يوليو (تموز) نالت "أبوت" ترخيصاً مماثلاً.

وبدأ في ١ أغسطس (آب) فحص دم المتبرعين على نحو منتظم.

بيد أن أفضل الفحوص يبقى غير مضمون النتائج، اذ يتعذر اكتشاف فيروس نقص المناعة في الدم قبل نحو ١٢ أسبوعاً من حصول العدوى. لذلك كان من الضروري قتل الفيروس في مشتقات الدم لمنع التلوث. ومن الطرق الناجعة تسخين مخزون البلازما الى ما فوق ٥٠ درجة مئوية. وكانت مؤسسة "ترافينول هايلاند" الامريكية أبلغت الى المركز الوطني الفرنسي لنقل الدم في ١٠ مايو (أيار) ١٩٨٣ أنها بدأت تسخين كل مشتقات الدم لديها. وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ أوصت "مراكز مراقبة الامراض" في أتلنتا بولاية جورجيا الامريكية، وهي أحد أهم المراجع في هذا الحقل، الاطباء بضرورة استخدام مشتقات الدم المسخنة على هذا النحو.

كان على السلطات الفرنسية اتخاذ قرار سريع. إلا أن المختبرات الفرنسية السبعة المسؤولة عن خدمات نقل الدم كانت غير مهيأة لانتاج ما يكفي من مشتقات الدم المسخنة قبل مضي أشهر. وكان استيراد هذه المشتقات مكلفاً. والى ذلك، ما العمل بمخزون وافر من المشتقات الملوثة في نحو ١٦٠ مركزاً فرنسياً لنقل الدم منتشرة في أنحاء البلاد وفي برادات المصابين بالنزف الوراثي؟

في ٢٩ مايو (أيار) أبلغ غاريتا الى مساعديه أن عملية استعادة المشتقات الملوثة ووقف استخدامها ستؤدي الى عواقب اقتصادية وخيمة، وأعلن أنه سيطلب مشورة المسؤولين الحكوميين المعنيين. وفي ٣ يونيو (حزيران) وجه رسالة الى الدكتور روبير نتر في مختبر الصحة العامة الذي انتظر بدوره ١٤ يونيو (حزيران) لرفعها الى الدكتور جاك رو في دائرة الصحة. لكن هذا أخبره أن المسألة تتطلب بحثاً مفصّلا في اجتماع لكبار المسؤولين تقرر عقده في ٢٠ يونيو (حزيران).

وافق المجتمعون على تقرير كان غاريتا أعده في اليوم السابق يوصي ببدء استخدام المشتقات المسخنة تدريجاً وبأسرع ما يمكن. وحدد التقرير أن توزيع المشتقات غير المعالجة سيستمر خلال "مرحلة انتقالية." وفي ٢٦ يونيو (حزيران) أعلنت مذكرة داخلية في

المركز الوطني لنقل الدم أن توزيع المشتقات غير المعالجة سيبقى "الاجراء المتبع إلا في حالات خاصة" حتى نفادها.

عمدت بعض المراكز المحلية، في مدينة ليل مثلا، الى معالجة مشتقات الدم المتوافرة لديها بالتسخين، ورفضت توزيع مشتقات ملوثة. الا أن توزيع هذه المشتقات، التي كان الاطباء يعرفون أنها ملوثة، على المصابين بالنزف الوراثي استمر في كل مكان آخر من فرنسا حتى ١ أكتوبر (تشرين الاول). ولن يُعرف أبداً عدد الذين تلقوا فيروس نقص المناعة خلال تلك الفترة، وإن يكن مؤكداً أن العدد الاجمالي هو بالمئات.

أصبحت حياة المصابين بالنزف الوراثي، التي كانت مشرقة لسنوات خلت، قاتمة أكثر من أي وقت مضى. يقول بيار ج.: "كنت في ما مضى أتفحص جسمي قلقا كل صباح آملا ألا أكتشف دلائل نزف تحت الجلد. أما الآن فأتساءل مذعوراً مع كل عطسة أو بثرة أو ألم، عما اذا كان ذلك بداية معاناة طويلة أخسر خلالها من وزني ومن نشاطي وأفقد ذاكرتي اذا كنت محظوظاً."

أما الاسوأ من ذلك فهو الوحدة: عندما اكتشف كريستيان فوكونييه أنه مصاب بفيروس نقص المناعة، تخلت عنه خطيبته وبات زملاؤه يتحاشونه في مركز البريد حيث يعمل. تقول والدته: "عندما لازم المنزل اعتنيت به أنا. ولم يأت لزيارتنا سوى قلة من الاقارب والاصدقاء. لكن جمهرة كبيرة حضرت الجنازة لاحقا."

كان خوف الناس اللامنطقي من الايدز يلاحق المصابين بالنزف الوراثي. تقول ماري ف. التي تعيش في منطقة وادي اللوار: "الخوف يتبعك أينما حللت." وكان زوجها أصيب بالعدوى في العام ١٩٨٥ عندما تلقى دما على أثر جرح أصابه. وتضيف ماري حزينة: "عندما توفي من جراء الايدز، أخبرْنا الناس أن السبب كان ورما سرطانيا في الدماغ. لكن الحقيقة تسربت أخيراً، فحاول البعض منع أطفالنا من دخول المدرسة."

رسالة مغرضة. كان معظم الضحايا، الى وقت قريب، يفترضون أن حظهم العاثر هو نتيجة حادث لم يكن في الامكان تفاديه. وحده بيرون غارفانوف شكّك باكراً واشتمَّ في الامر رائحة جريمة. وعندما لم ترد عليه إجابات مقنعة عن رسائله الاولى عمد وشقيقه كريستيان[٦] الى طبع ١١٨٨٤ رسالة على الآلة الكاتبة بين أواخر ١٩٨٤ و١٩٩٠، وأرسلاها بالبريد بكلفة بلغت نحو ١٠٠ ألف فرنك فرنسي (نحو ١٧ ألف دولار) من دون أي دعم. تقول زوجته: "كان وحده. ولم يشأ أحد الاستماع إليه."

---

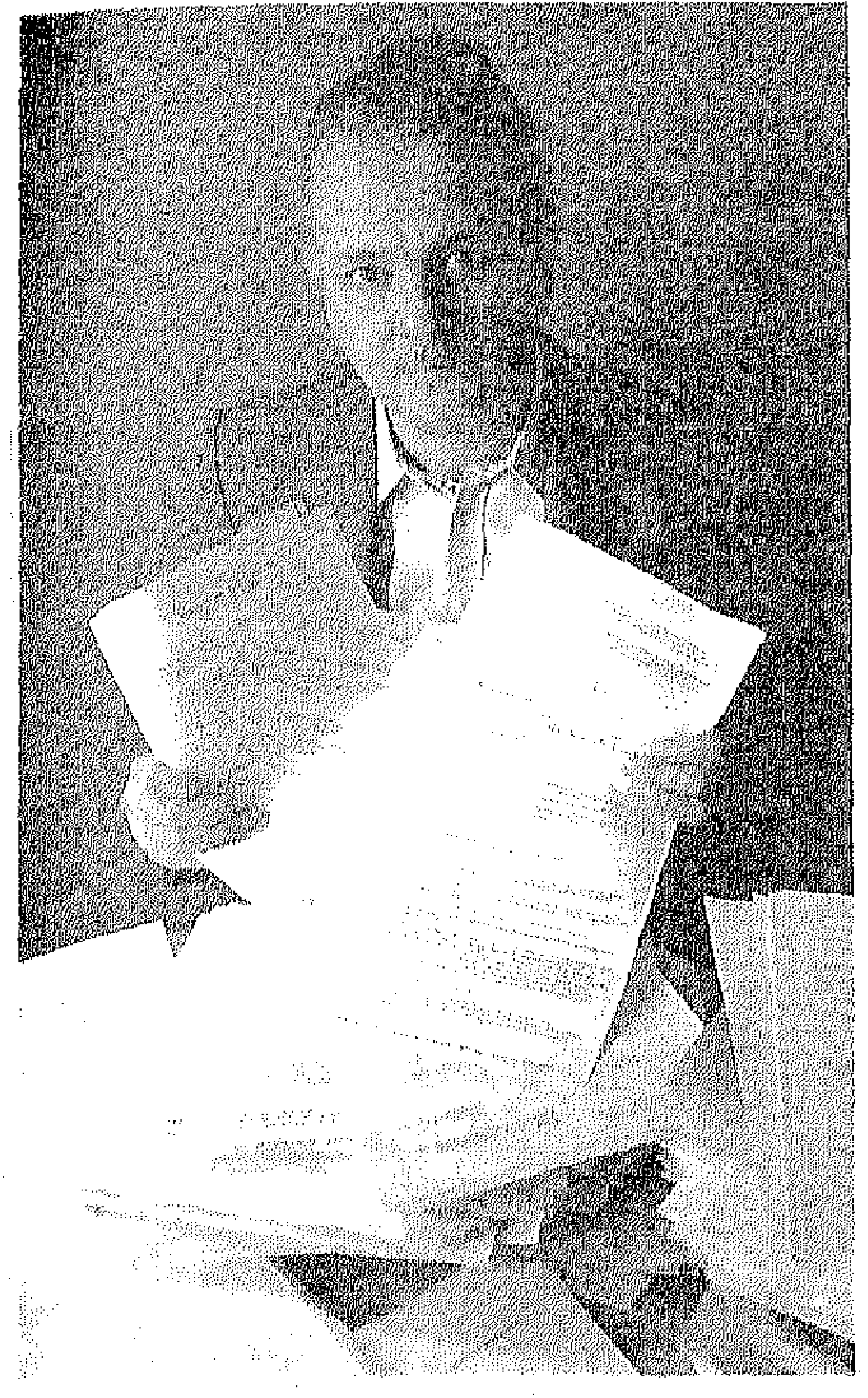
(٦) توفي كريستيان في ١٩ فبراير (شباط) ١٩٩٢ نتيجة اصابته بالايدز.



كما لم يظن أحد أن له أملا في اثبات دعواه. وأخبره أحد الاطباء عام ١٩٨٥: "لن تنجز شيئا أبدا، فالقضية طويت." وأقدم مجهولون على اشعال النار في شقته مرتين، كما ابلغت إليه الشرطة أن مَنْ يكتب رسائل تهديد ينتهي في السجن.

ولم ينج بيرون حتى من ازدراء زملائه المصابين. لذلك، حين رفضت الجمعية الفرنسية للمصابين بالنزف الوراثي اطلاعه على لائحة أعضائها، لجأ الى وضع إعلان في نشرتها الشهرية بهدف ترتيب سجل خاص به، محددا أن كل الارباح ستعود الى الجمعية. وهكذا أصبح على اتصال مع قراء النشرة وأصدقائهم الذين زادت قصصهم من شكوكه. كذلك فعلت وثائق أرسلها مناصرون مجهولون في الادارة الحكومية. وبحلول ١٩٨٦ استطاع بيرون تنظيم مجموعة من الانصار رفع هو وعشرون منهم عام ١٩٨٨ دعاوى قضائية ضد مسؤولين حكوميين يتولون توزيع مركّزات الدم.

وفي العام ١٩٨٩ تلقى المصابون بالنزف الوراثي الفرنسيون الذين ثبتت اصابتهم بفيروس نقص المناعة رسالة موقعة من ممثلي قطاع خدمات نقل الدم وجمعية المصابين بالنزف الوراثي وشركات التأمين تعرض على كل منهم تعويضا ماليا – نحو ١٠٠ ألف فرنك –


جان بيرون غارفانوف.

بشرط التخلي عن حقهم في رفع دعاوى قضائية. فثارت ثائرة كثيرين منهم، لكنهم لم يستطيعوا الرفض. ومن هؤلاء كريستيان فوكونييه المصاب بشلل في ركبته الذي احتاج الى المبلغ لشراء سيارة مزودة غيار تروس أوتوماتيكيا. تقول والدته: "كان المبلغ زهيدا، وكان الطلب أن نتنازل عن حقوقنا إقرارا واضحا بالذنب. أما الان وقد توفي ابني فسوف أرفع دعوى."

PHOTO: F. DURAND / SIPA PRESS

خطأ فظيع. أخيرا، في السنة التالية، بدأت جمعية المصابين بالنزف الوراثي اجراءات قانونية تجمّع بنتيجتها أكثر من ٤٠٠ دعوى رفعتها ضحايا مشتقات الدم الملوثة. وفي ٢٥ ابريل (نيسان) ١٩٩١ نشرت مجلة أسبوعية[٧] سجلا سريا لوقائع اجتماع مايو (أيار) ١٩٨٥ الذي أعلن الدكتور غاريتا خلاله أن "كل مخزوننا من مشتقات الدم ملوث." وسرعان ما حذت حذوها صحف أخرى. وفي ٣ يونيو (حزيران) دان وزير الصحة برونو دوربيه ما دعاه "هجوما اعلاميا افترائيا." لكن غاريتا استقال من منصبه فجأة، كما اعترف دوربيه بعد تسعة أيام من موجة تساؤلات غاضبة بحصول "خطأ فظيع في تقويم الامور اقترفه المجتمع العلمي كلا."

وفي سبتمبر (أيلول)، بتكليف من الحكومة، أعد ميشال لوكاس – وهو موظف في دوائر الخدمة المدنية عُرف باستقامته – تقريرا كشف عمليات توانٍ ورشوة مخزية. وفي أكتوبر (تشرين الاول) دين غاريتا – وجان بيار آلان لاحقا – بتهمة السماح بتوزيع مشتقات طبية خطرة، فيما دين نتر ورو بتهم أخف. وفي ديسمبر (كانون الاول) قضت محكمة في باريس بتعويض أحد المصابين بالنزف الوراثي الذين أثبتت الفحوص اصابتهم بفيروس نقص المناعة مبلغ مليوني فرنك (نحو ٣٥٠ ألف دولار) عن الاضرار التي لحقت به. وأشارت حيثيات الحكم الى أن الدولة تتحمل وحدها كامل مسؤولية اصابته. وفي الشهر ذاته وافق البرلمان على دفع تعويضات لكل من أصيب بفيروس نقص المناعة بسبب تلقيه دما أو مشتقات دم ملوثة. وقد بدأ دفع هذه التعويضات في ابريل (نيسان) ١٩٩٢.

يقول بيرون غارفانوف: "لربما تعلمنا دروسا مهمة من هذه الكارثة، أولها أن حياة البشر أغلى من الموازنات ومن مصالح الدول. اذ عندما يُنظر الى البشر كأرقام احصائية، يصبح من السهل التضحية بهم في مقابل حصة في السوق أو لاثبات وفرة في سجلات المركز الوطني لنقل الدم. لذلك، من الضروري دائما وضع حياة البشر في المقام الاول."

أما الدرس الثاني فهو أن هذه الفضيحة تحمل تذكيرا للحكومات وللمواطنين في كل مكان بأن على السلطات، عندما تواجه خيارات صعبة، أن تقوِّم أولوياتها وتتخذ القرارات المناسبة من دون ابطاء. وعلى الشعب، عندما يواجه محاولات تعمية من مسؤولين، أن يقرع جدار الصمت بقوة الى أن تبين الحقيقة. اذ لا وجود لمجتمع آمن أو عادل من غير هذه اليقظة.

روبرت فرنيك ■

ترجمة فواز خوري

(٧) L'Evénement du Jeudi



كريستي ياماغوشي

سيول. أودع الامريكي كارل لويس الميدالية الذهبية التي أحرزها عام ١٩٨٤ في سباق المئة متر، بين يدي والده المتوفى. وعاهد أمه التي تملّكها الذهول: "لا تقلقي، سأحصل على أخرى."

بعد سنة شارك لويس في دورة الالعاب الاولمبية للعام ١٩٨٨. وتنافس في نهائي سباق المئة متر والكندي بن جونسون حامل الرقم القياسي العالمي.

في منتصف السباق كان جونسون يتقدم لويس متراً ونصف متر، لكن هذا أيقن أنه يستطيع اللحاق به. غير أن جونسون ظل محافظاً على تقدمه بعد اجتياز ثمانين متراً. فقال لويس في سره: "لقد انتهى أمري يا أبي." وإذ عبر جونسون خط النهاية نظر الى لويس الذي كان خلفه ورفع ذراعه اليمنى في الهواء.

استشاط لويس غضباً اذ لاحظ عضلات جونسون المنتفخة وعينيه اللتين شابهما اصفرار، وهذان دليلان على تعاطي الستيرويدات. وصرح لويس في وقت لاحق: "لم أفز بالميدالية، لكنني كنت

مدينا لأبي بالتصرف بشهامة وكرامة." وهو بعد السباق مد يده مصافحا جونسون وغادر الحلبة.

أُعلن في وقت لاحق أن الفحوص اثبتت أن جونسون تناول الستيروييدات الابتنائية.[1] فجرد من ميداليته. وأعطيت الذهبية الى لويس.

ديفيد والشنسكي

في "الكتاب الكامل للالعاب الاولمبية"

قفزة رائعة

برلين. بدا جيسي أوينز واثقا من فوزه في مباراة القفز الطويل في أولمبياد ١٩٣٦. وكان سجل في العام السابق رقما قياسيا (صمد طوال ٢٥ سنة) إذ قفز ٨ أمتار و١٣ سنتيمترا. وفيما كان متوجها الى الحلبة شاهد ألمانيا طويل القامة أشقر الشعر أزرق العينين يتمرن على القفز مسافة ثمانية أمتار. فانقبض صدره إذ لمح الرغبة النازية الجامحة في إثبات تفوق العرق الآري... ولاسيما على السود.

في المحاولة الاولى، كان أوينز مهملا اذ قفز عن بعد سنتيمترات من لوح الانطلاق. وحداه انزعاجه على مخالفة قوانين المباراة في القفزة الثانية. وباتت أي مخالفة أخرى تهدد باقصائه.

عندئذ اقترب منه الالماني معرفا بنفسه: لوز لونغ. وقال له ملمحا الى القفزتين السابقتين: "يجب أن تكون قادراً على تحديد المسافة وأنت مغمض العينين."

للحظات وجيزة تبادل ابن المزارع الأسود أطراف الحديث مع النموذج الابيض للرجولة النازية. ثم تقدم لونغ باقتراح: بما أن المسافة المؤهِّلة للاشتراك هي ٧ أمتار و١٥ سنتيمترا، فلماذا لا ترسم علامة قبل بضعة سنتيمترات من لوح الانطلاق ويكون القفز من هناك مضمونا؟ وهذا ما كان، إذ رسم أوينز علامة وقفز وتأهل بسهولة. وسجل في المباريات النهائية رقما قياسيا أولمبيا وفاز بميدالية ذهبية ثانية من أربع ميداليات. وكان لوز لونغ أول مهنئيه على مرأى من أدولف هتلر.

لم يلتقِ اللاعبان ثانية، ولقي لونغ حتفه خلال الحرب العالمية الثانية. وكتب أوينز بعد فترة: "لو أذيب كل ما أملك من ميداليات وكؤوس لما شكل قشرة تغطي الصداقة الذهبية الخالصة التي أحسستها نحو لوز لونغ."

ديفيد والشنسكي

في "الكتاب الكامل للالعاب الاولمبية"

مروءة

سيول. كانت مباراة الابحار ماضية في بوسان في ٢٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ وسط رياح عاتية. فجأة انقلب أحد المراكب وفيه اثنان من فريق سنغافورة هما جوزف شان وشو هير.

كان الكندي لورنس لوميو يبحر وحيداً ضمن مباراة أخرى عندما رأى البحارين يتخبطان في الماء. فأسرع لانقاذ شان

(١) Anabolic steroids

الذي كان ينوء تحت ثقل سترة الابحار وقد أنهكه التيار القوي. ولما انتهى من انقاذ هير كان تأخر كثيراً في سباقه.

منح الحكام لوميو جائزة المرتبة الثانية التي كان يحتلها قبل توقفه للمساعدة. كما منحته اللجنة الدولية للألعاب الاولمبية جائزة خاصة لبسالته. ويعلق لوميو محاولا الانتقاص من أهمية صنيعه: "إن المبدأ الأول في الابحار هو إنقاذ من هم في ورطة."

باد غرينسبان

في "باريد"

لحظة اعتزاز

البرفيل. عندما دخلت اليابان الحرب العالمية الثانية حدثت في الولايات المتحدة موجة "هستيريا" أدت الى احتجاز نحو ١١٠ آلاف ياباني أمريكي عام ١٩٤٢ في مخيمات اعتقال. وولدت كارول دوي في أحد هذه المخيمات، وهي يابانية أمريكية من الجيل الثالث.

بعد سنوات تزوجت كارول رجلا أمضى هو أيضا فترة في المخيمات. وعندما ولدت ابنتهما كريستي لاحظا أن قدميها ملتويتان بحيث تواجه أصابع الواحدة أصابع الأخرى. فصممت كارول على فعل كل ما يلزم لمساعدة طفلتها على السير الطبيعي. واضطرت طوال أربع سنوات الى تأمين أحذية طبية لتصحيح قدميها. ومع بلوغ الطفلة السادسة من العمر بدأت تسير طبيعيا، لكن كارول لم تكن راضية. وتقول: "أردتها أن تمارس نشاطاً يرغمها على استعمال قدميها." فاختارت الابنة التزحلق الفني على الجليد.

بعد فترة باتت الابنة تلح على أمها لتسمح لها بتمضية مزيد من الوقت على الحلبة التي كانت ترفض مغادرتها قبل إتقان حركة معينة. وسرعان ما أصبحت كارول تنهض في الرابعة فجرا لاصطحاب ابنتها الى التمارين.



سون كي تشانغ

PHOTO: © HEINZ KLUETMEIER / SPORTS ILLUSTRATED

وبعد انقضاء خمس عشرة سنة مثّلت الشابة كريستي ياماغوشي بلادها في اولمبياد ١٩٩٢.

وإذ ارتفع علم الولايات المتحدة خلال حفلة توزيع الميداليات، راقبت كارول وزوجها جيم ابنتهما كريستي وهي تقلَّد ميدالية ذهبية. فغمرهما شعور بالاعتزاز لا يوصف.

كيث ا. وايت

تضحية

إنسبروك. كان الايطاليان أوجينيو مونتي وسيرجيو سيوربيـز متقدمين أشواطاً في سباق المزلجة المزدوجة[٢] في أولمبياد ١٩٦٤. وفيما كانا ينتظران الجولة الثانية، سيطـر اليأس على البريطانيين طوني ناش وروبن ديكسون. فقد انكسر برغي كبير في محور مزلجتهما بعد جولتهما الاولى المثيرة، وبات انسحابهما مؤكداً. لكن مونتي الذي كان أنهى الجولة الثانية بادر الى نزع برغي من مزلجته وقدمه الى ناش. فكانت النتيجة هزيمة غير متوقعة، اذ فاز الفريق البريطاني بالميدالية الذهبيـة. وحل مونتي، صاحب الروح الرياضية، في المرتبة الثالثة.

وبعد أربع سنوات قاد مونتي مزلجة مزدوجة ومزلجة رباعية الى انتصارين أولمبيين.

باد غرينسبان

في "باريد"

تصميم في الألم

طوكيو. رامي القرص الأمريكي آل أورتر هو الرياضي الاوحد في التاريخ الذي أحرز أربعة انتصارات في أربع دورات متعاقبة للالعاب الاولمبية. لكن الانتصار الأهم بالنسبة اليه هو الذي حققه في طوكيو عام ١٩٦٤ خلال سعيه الى الفوز الثالث.

فقبل أسبوع من المباريات أصيب أورتر بمزق في قفصه الصدري. وأمره طبيب الفريق بلزوم الراحة أي – بمعنى آخر – الخروج من المباريات. لكن أورتر حضر الى المباريات النهائية ملتفاً بضمادات وأكياس ثلج مصمماً على المشاركة.

كان يحق لكل مشترك في المباراة النهائية ست رميات، على أن يحدَّد الرابح وفقاً لأطول رمية. وبعد أربع جولات انتابت أورتر آلام مبرحة، فقرر أن تكون رميته الخامسة الأخيرة. وما إن استدار ورمى القرص حتى انهار متلوياً من الألم. وعندما أُعلنت مسافة الرمية تبين أن أورتر سجل رقماً أولمبيا قياسياً جديداً عجز أيٍ من منافسيه عن تخطيه.

وعلَّق أورتر على الحدث لاحقاً: "لو كنت في مباراة أخرى لانسحبت. لكنني أضحي بالغالي والرخيص في الالعاب الاولمبية."

باد غرينسبان

في "باريد"

نصر حزين

سيول. استعمرت اليابان كوريا عام ١٩١٠ وشنَّت حملة شعواء للقضاء على الحضارة الكورية. فأصبح العَدْو أحد السبل القليلة التي يستطيع بها الكوريون منافسة اليابانيين المكروهين.

وكان سون كي تشانغ عداء شاباً تمرن كثيراً على ضفاف نهر يالو واضعاً الرمل في سرواله والحجار على ظهره أثناء

(٢) Two-man bobsled. ويكون في كل مزلجة فريق من رَجُلين.

العدو. لكنه أدرك أن الطريقة الوحيدة للفوز هي الاشتراك تحت راية الامبراطورية اليابانية. وفي العام ١٩٣٦ تفوق سون في المباريات اليابانية التي أجريت للتأهيل الاولمبي لسباق الماراتون. فأرسلته السلطات اليابانية على مضض الى برلين.

أعطي سون اسما يابانيا هو كيتي سون. لكنه كان دائما يوقع اسمه الكوري.

فاز سون في السباق في وقت قياسي. ولدى ارتفاع العلم الياباني خلال حفلة توزيع الميداليات أحنى رأسه احتجاجا.

لكن الاحتفال الحقيقي بالنسبة الى سون حدث في افتتاح الألعاب الاولمبية عام ١٩٨٨، عندما دخل هذا العدّاء الملعب المدرَّج في سيول حاملا الشعلة الاولمبية. كان في السادسة والسبعين من عمره. واغرورقت عيون المتفرجين بالدموع فيما راح يعدو حول الحلبة مفعما بالسعادة والاعتزاز بنفسه وببلاده.

رون فيمرايت

في "سبورتس إلوستريتد"

يد أخرى

لندن. كارولي تاكاكس رقيب مجري (هنغاري) كاد يلقى حتفه قبل عشر سنين من افتتاح أولمبياد ١٩٤٨ عندما انفجرت قنبلة في يده اليمنى فسحقتها كليا.

لكن تاكاكس لم يستسلم، وتمرن على الرماية بيده اليسرى، وأصبح بعد سنة عضوا في الفريق المجري بطل العالم في الرماية بالمسدس. وفاز بميدالية ذهبية في مباراة "الرماية السريعة بالمسدس" في أولمبياد ١٩٤٨ في لندن.

ديفيد والشنسكي

في "الكتاب الكامل للالعاب الاولمبية"

ميدالية الصداقة

برلين. في العاشرة والنصف من مساء ٥ أغسطس (آب) بعد ١٢ ساعة على بدء نهائيات القفز العالي بالعصا (الزانة) كان ٣٠ ألف مشاهد لا يزالون محتشدين في ملعب برلين المضاء على رغم البرد والرذاذ المتساقط. وأخيراً حُسمت المنافسة المثيرة بين اليابانيين والامريكيين فحلّ الامريكي ارل ميدوز في المرتبة الاولى والامريكي وليم سيفتون في المرتبة الرابعة. لكن اليابانيَّين شوهيي نيشيدا وسو أوي لم يتوصلا، على رغم محاولاتهما المتكررة، الى حَسْم من منهما يحتل المرتبة الثانية ومن يحتل المرتبة الثالثة. وأخيراً اضطر الحكام الى وقف المباراة وحسم النتيجة بالقرعة. فحلّ نيشيدا ثانيا وأوي ثالثا.

لم يقبل الاثنان بالحل. ولما عادا الى اليابان طلبا من صائغ أن يقسم ميداليتيهما أنصافا ويصهر الأنصاف. فحصل كل منهما على ميدالية نصفها فضي ونصفها برونزي.

لقي أوي حتفه خلال الحرب العالمية الثانية. وقدمت زوجته "ميدالية الصداقة" الى متحف تشيتشيبونوميا في

الملعب الوطني. وما زال نيشيدا حياً يرزق، وهو قدم ميداليته الى ملعب كيميديرا في واكاياما.

عن "الكتاب الكامل للالعاب الاولمبية"

عربيان

لوس انجلس. خلال أولمبياد ١٩٨٤ حل الاردني باسل الكيلاني أخيراً في الشوط الأول من سباق المضمار والميدان لمسافة عشرة آلاف متر، مسجلا ٣٠ دقيقة و٤٣،٥٤ ثانية. فصفق له الحضور تشجيعا. فمع أن الكيلاني حل أخيراً، الا أنه وصل بفارق ٣،٥ دقائق فقط عن الرقم القياسي العالمي.

ظل هذا التقدير للجهد الفردي سائداً طوال هذه الدورة الاولمبية المميَّزة، وبلغ ذروته في سباق الفروسية ضمن المباراة الخماسية.[٣] فقد امتطى المصري أحمد ناصر حصانه وانطلق، فأسقطه هذا أرضا في القفزة الثانية. فشهق الجمهور. لكن ناصر نفض الغبار عن ملابسه وامتطى الحصان مجدداً، فأوقعه هذا ثانية. لكن الفارس المصري لم ييأس، وأكمل السباق على رغم سقطة ثالثة ومئات نقاط العقاب التي أنزلت به. ووقف الحضور لناصر وصفقوا له مهللين. ولم يعرف أحد أنه كان يعاني آلاما في ظهره قبل بدء المباراة الخماسية.

ديفيد والشنسكي

في "الكتاب الكامل للالعاب الاولمبية"

(٣) Pentathlon. وفيها يشترك المتباري في خمس مسابقات مختلفة.



شرطي مخالف

انا شرطي سير. ذات ليلة اوقفتُ سائقاً تجاوز السرعة القصوى. وبعدما اخذت أوراقه الثبوتية، عدت الى سيارة الدورية لأكتب محضر مخالفة. وعندما انتهيت من الكتابة خرجت من السيارة واقفلتها ناسياً مفاتيحها في الداخل. وللحال ادركت المأزق الذي وقعت فيه: انا على الطريق العامة خارج سيارة مقفلة تُطلق انوار الطوارىء.

لكنّ اللحظة الأكثر احراجاً كانت تنتظرني عندما توجهت الى السيارة المخالفة وناولت السائق بطاقة الضبط ثم سألته أن يوصلني الى المخفر.

ا.م.

أجيال التلفزيون

كان حفيدي ابن الخامسة يمضي عطلة عندي. جلسنا في المساء نشاهد الرسوم المتحركة على التلفزيون. فبدت الاثارة واضحة على وجهه، ثم هتف فجأة: "تلفزيونك رائع يا جدتي! ان تلفزيون والدي لا يعرض سوى مباريات كرة القدم."

ج.س.

رجل أبيض من جنوب افريقيا
يسعى الى ردم هوة خلفتها عقود من التفرقة

رجل أبيض في منزل أسوَد

استيقظت لا أدري أين أنا. أجلت النظر حولي، فرأيت الى جانبيَّ حائطين من الحديد المموَّج كدت أطاولهما بيدي. وغطت الحائطَ الثالث خزانة يعلوها جهاز ستيريو وبعض حقائب وكتب. وعلى مسافة سنتيمترات من قائمة السرير فاصل من الورق المقوّى انبعثت من جانبه الآخر رائحة قهوة طازجة.

ثم تذكرت... إني أمضي عطلة نهاية الاسبوع مع عائلة في سويتو لأرى وأشم وأحس وأتذوق طعم الحياة في الجانب الآخر من جمهورية جنوب افريقيا التي مزقها التمييز العنصري على مدى عشرات السنين.

أزحت ستاراً رقيقاً وخرجت متعثراً، فلاقاني مضيفاي نوا وبريسيلا موكون بسيل من الترحيب الحار. وكانا جالسين الى طاولة على الجانب الآخر من الفاصل الذي يقسم الكوخ شطرين، واحداً للطعام والجلوس والطبخ وآخر للنوم. وكانا حذراني في الليلة السابقة من أنهما اعتادا الاستيقاظ باكراً. لكن اليوم عطلة، والساعة لم تتجاوز السادسة صباحاً، ومع ذلك نهضا باكراً ورتبا الكوخ والفراش الذي ناما عليه تحت الطاولة على أرض اسمنتية مغطاة بمشمَّع، فيما نمت أنا على سريرهما المزدوج في الشطر الآخر من الكوخ. وكان نوا أصرَّ على موقفه في الليلة السابقة: "أبداً، لا تجادل، فأنت ضيفنا، ونحن اعتدنا النوم على الارض."

أما ولداهما، سينثيا (١٥ عاماً) وماكبث (٩ أعوام) فأمضيا الليلة لدى أقارب في الجوار.

سرت عبر الفناء الترابي الفاصل بين الكوخ ومنزل شقيقة نوا، وهو بيت قرميدي من أربع غرف يشبه بيوت اللعب ويُستخدم مقهى في الوقت نفسه. اتجهت الى الحمام الصغير في زاوية المنزل، فلم أجد مقعداً في المرحاض القذر المصنوع من البورسلين. وهذا ليس غريبا، اذ إن هذا الحمّام الوحيد يخدم عشرة مقيمين وأكثر من مئة زبون. وكانت صفحات دليل هاتف قديم من كيب تاون تُستعمل كورق تواليت.

خرجت من الحجيرة فطالعتني حنفية قريبة وضعت رأسي تحت مائها البارد. فجأة أحسست لكمة تحبب قوية على كتفي: كان نوا بطل ملاكمة أيام الدراسة، واتسمت تصرفاته بالصراحة كما لكمة يمناه. وها هو الآن، في السادسة والخمسين، قصير القامة مكتنز البنية يتحلى بالمرح وبضحكة عريضة. سمعته خلفي يقول: "وليم، ما رأيك بحمام الآن؟ الماء جاهز."

لم يجدِ اعتراضي وتأكيدي أني اغتسلت لتوي، اذ قال نوا بحزم: "لا يكفي الاغتسال بماء بارد." ثم راح يشرح لي، أنا الوافد الجديد، أولى حقائق الحياة في أكواخ البؤس. قال مشيراً الى إبطيه: "أنت تعرق فتستخدم مزيل روائح. لكن الهواء قذر، فتنسد مسامك، وسرعان ما يصيبك طفح جلدي."

انفجر نوا ضاحكاً عندما لاحظ ارتباكي، وأعادني الى داخل الكوخ. وفي غرفة النوم وجدت طاساً من الماء الساخن ومنشفة وصابونا، فانتظرني نوا حتى رآني أخلع ثيابي، ثم تركني بمفردي. وهكذا تلقيت أول درس بسيط في فن البقاء منذ دخولي مجاهل مدينة سويتو.

عميان ومبصرون. كنت امضي عطلة نهاية الاسبوع في سويتو كجزء من زيارات جماعية تنظمها حركة "كوينونيا"[1] الهادفة الى ازالة الحواجز العرقية في جنوب افريقيا. و"كوينونيا" كلمة اغريقية الاصل تعني "الزمالة." وهذا بالضبط ما قصده مؤسسها الدكتور نكو سميث الذي كان على مدى ١٦ عاما جزءاً من الحركة الافريقانية البيضاء بصفته عضواً في "برودربوند"[2] وأستاذاً للاهوت في جامعة ستلنبوش. لكنه استعفى من وظيفته المريحة عام ١٩٨١ وعاد الى ممارسة مهماته الانسانية. قال لي: "أدركت فجأة أني فقدت الاتصال بواقع الحياة في جنوب افريقيا، اذ ليس لدى البيض – ولاسيما الافريقانيين – أي فكرة عما يحسه السود أو ما يفكرون فيه أو كيف يعيشون."

عقد سميث العزم على تغيير هذا الواقع. فكُلّف الاهتمام برعية ماميلودي، وهي بلدة غبراء قرب بريتوريا يقطنها نحو ٣٠٠ ألف من السود.

في عامه الاول، دعا اثنين من جيرانه

---

(١) Koinonia

(٢) Broederbond جمعية سياسية افريقانية تسعى الى تحقيق الاستقلال وارساء قوة الدولة العنصرية.

البيض في ضاحية مايرزبارك في بريتوريا، التي تقطنها عائلات ميسورة من الطبقة الوسطى، لتناول الطعام مع اثنين من أفراد رعيته السود في ماميلودي. ويذكر: "بدا الامر بالنسبة الى الرجلين الابيضين كأنه انتقال من قارة الى أخرى، مع أن الرحلة لا تستغرق أكثر من دقائق. وهما اعتقدا أنهما لا بد سيتعرضان للذبح على أيدي السود."

ولم تمضِ أشهر حتى انضم الى البرنامج أكثرُ من ٥٠٠ أبيض أخذوا يشاركون السود في الطعام في بلدات قرب بريتوريا، ويشاهدون أحوال جيرانهم المعيشية البائسة. لكن سميث أحس أنه ما زال يريد أن يكون أكثر قربا من رعيته. وفي العام ١٩٨٥، تصدرت الصحفَ أخبارُ انتقاله وزوجته العالمة النفسانية هيلينا للعيش في ماميلودي، لكونهما أول أبيضين يقطنان في بلدة للسود.

يقول سميث: "علمتني هذه التجربة مدى ما يستطيع البيض معرفته عن السود بالعيش في وسطهم. خُيل إلي كأنما ثمة حائط زجاجي يفصل البيض عن السود ويسمح بالرؤية من جانب واحد، فيرى السود من خلاله لانهم يفدون الى بيوت البيض للعمل، أما البيض فعميان لا يرون."

أدت هذه التجربة الى حصول أول "لقاء" حقيقي في ابريل (نيسان) ١٩٨٦ عندما أمضى ١٧٦ مواطناً أبيض عطلة نهاية الاسبوع في ماميلودي. أما اليوم، فلدى حركة "كوينونيا" سبعة مكاتب اقليمية تتعاون ومجموعات مختلفة المذاهب في أنحاء البلاد. وخلال السنوات الست الفائتة أمضى أكثر من ٩٠٠ أبيض ليلة أو ليلتين في ضيافة عائلات من السود، يأكلون ويضحكون ويبكون وينامون ويصلّون معاً تحت سقف واحد.

صحن واحد. عندما سمعت بالبرنامج، قررت المشاركة فيه. وانضممت مساء يوم جمعة الى نحو ١٠٠ أبيض آخرين تجمعوا في قاعة في وسط جوهانسبرغ. ثم حُشرنا في حافلة أقلتنا مسافة ١٨ كيلومتراً الى مركز إيبلغنغ الاجتماعي في سويتو حيث تعرفت الى مضيفيَّ نوا وبريسيلا.

خرجنا من المركز الى الشارع

نوا وبريسيلا وابنتهما سينثيا وابنهما ماكبث.

الرئيسي السيىء الانارة. فقال نوا: "يجب أن توقف سيارة أجرَة." وكان المطر بدأ ينهمر ونحن قابعون ننتظر مع جماعة أخرى. ومرت بنا نحو عشر حافلات صغيرة "تاكسي" كانت مكتظة بعمال عائدين الى منازلهم. وأخيراً توقفت واحدة توافرت فيها بضعة مقاعد فارغة.

أحسست ونحن ننطلق مسرعين كأنما السائق في مهمة انتحارية. لكنه بدا قادراً على رؤية الاشياء في الظلام، فكان ينحرف متفاديا حفراً غائرة في الطريق، ويلتف حول منعطفات حادة تخلو من اشارات مرور. وكلما شاء الوقوف أو الابطاء أو الانعطاف يمنة أو يسرة، كان يكتفي باطلاق أضواء التحذير الجانبية ثم ينفذ ما يريد. وعندما التفت نوا اليّ ورأى الذعر مرتسما على محياي قال لي: "لا تقلق، فنحن في سويتو نقود سياراتنا مهتدين بالتخاطر!" والواقع أن جميع سيارات الاجرة بدت كأنها متوافقة على نظام خفي مرمز.

كانت البيوت تصغر كلما تقدمنا، وتناقصت مصابيح الشوارع لتحل محلها أضواء كاشفة ثبتت على رؤوس أعمدة. فهتف نوا: "اننا نتجه الى عمق سويتو."

طلب نوا من السائق التوقف أمام مرأب ترك فيه سيارته. وبعد جهد أدار محركها، فانطلقنا في الظلام بمصباح أمامي وحيد. فقال نوا ضاحكا: "سيارتي غولة عوراء، مثل كثيرات في سويتو." وفعلا التقينا في طريقنا سيارات كثيرة متداعية كسيارتنا.

انعطف نوا بعد حين ودخل طريقاً فرعية، فأضاء نور السيارة كوخا صغيراً طوله خمسة أمتار وعلى كل جهة من بابه نافذتان. ولم تكن بريسيلا النحيفة الحيية تفوهت بكلمة، ففتحت الباب وأضاءت الداخل وقالت فخورة: "اهلا بك في بيتنا."

جلستُ ونوا الى طاولة نحتسي شرابا منعشا فيما راحت بريسيلا تعد طبقا من الرز والنقانق واليقطين. ولما انتهت غسلت صحنين موضحة أن "الغبار يدخل من الشقوق والجدران والسقف، ونحن مضطرون الى غسل كل شيء قبل استخدامه." ثم وضعت الطعام في الصحنين. فسألت عن السبب ظانا أنهما ربما لا يملكان غيرهما.

فضحك نوا وفتح خزانة المطبخ ليريني عددا من الصحون وقال: "لقد صادفنا بعض المشاكل في حياتنا الزوجية. وذات مرة قال لنا رجل جليل إن علينا أن نتشارك على نحو أوثق. لذلك بتنا نأكل دائماً من الصحن ذاته. فالمشاركة تجعل كلًّا منا أكثر مراعاة واهتماماً للآخر."

تلك الليلة، فيما كنت أطفىء شمعتي وآوي الى الفراش، سمعت نوا وبريسيلا يتلوان صلواتهما. وكانت غمغمات الساهرين في المقهى تتناهى الى سمعي. وتردد في الليل عواء أجش قاطعه نباح جرو صغير. وكانت السيارات تمر مسرعة قرب الكوخ، فيما راح أحد السكان يقطع كومة أخشاب بدت كأنها جدار غرفتي.

ومع ذلك غالبني النعاس، فاستغرقت في نوم عميق.

"إنك في أمان." في الصباح اغتسلت وعاد الي الانتعاش. ثم انضممت الى نوا وزوجته حيث جلسا في زاوية المطبخ. وفيما نحن نتناول طعام الفطور، أخبرني نوا كيف آل الى هذه الحال وبات يعيش في كوخ على أرض مشاع.

نشأ نوا في صوفيا تاون، وهي ناحية من جوهانسبرغ اعتُمدت لاحقاً لسكنى البيض وغُيِّر اسمها ليصبح تريومف، أي النصر. ثم التحق بمدرسة سانت بيتر في روزيتنفيل التي كانت تعتبر أوكسفورد السود في جنوب افريقيا والتي خرَّجت قادة أمثال ديزموند توتو وهيو ماسكيلا. قال نوا بحرقة: "اضطررت الى ترك المدرسة لأننا عائلة فقيرة كنت فيها أحد ١٣ ولداً!"

أنهى نوا الصف التاسع (الصف الاخير قبل الشهادة الثانوية) في احدى مدارس سويتو. ثم عمل كاتباً في البلدية قبل أن ينتقل الى عمل تسويقي لدى شركة "باي – رايت" منحه نوعاً من الاستقرار المادي. فتزوج بريسيلا وانتقل للسكن في أورلاندو في منزل من غرفتين مع عائلته النامية. يقول: "لكنني خسرت وظيفتي إبان الاضطرابات التي وقعت بعد ١٩٨٥، كما خسرت منزلي لانني بت عاجزاً عن دفع الايجار. لذلك طلبت من شقيقتي أن تسمح لي ببناء كوخ هنا."

فاجأني موقف نوا. فهو لم يكن يحس بمرارة لفقدانه وظيفته، وقال مفلسفاً الامور: "كان لا بد من أن يقع البعض ضحايا المعاناة، بيد أنها معاناة ستقودنا الى الافضل في المدى البعيد."

بعد الانتهاء من طعام الفطور وتنظيف الصحون، طلب مني نوا الوقوف الى جانبه. ثم أحنى الزوجان رأسيهما وتلت بريسيلا صلاة بلغة سيسوتو طالبة من الله عز وجل أن يمنحنا البركة لذلك اليوم. ثم ركبنا سيارة نوا وانطلقنا عبر سويتو.

كان الجو قائظاً بعد الظهر حين لجأت أنا ونوا الى مقهى شقيقته مارتا لارواء ظمأنا. فرحبت بنا مارتا سيبيجي وهي امرأة ضخمة ضحوكة، وقالت لي: "إن احتجت الى شيء أخبرني. انك في أمان هنا."

ارتميت متثاقلا في مقعد وطلبت شراباً. فتعمّد بعض الزبائن التقرب مني ومصافحتي. وقال أحدهم بعدما تولى نوا عملية التعريف: "اننا سعداء لوجودك بيننا." وسأل آخرون عن الغرض من زيارتي. وعندما أخبرتهم أني هنا لقضاء عطلة نهاية الاسبوع، بدت عليهم أمارات التعجب أولا، ثم السرور.

دموع تأثر. قرابة وقت العشاء انتقلنا الى منزل أقارب نوا المكلفين العناية بولديه. ولما كانت زيارتنا غير متوقعة، أحسست بالخجل لاستغلال عائلة يبدو عليها الفقر. فهمست في أذن نوا أن علينا الذهاب لشراء الطعام، لكنه رد همساً: "إن في ذلك إساءة اليهم. فاذا دعينا الى

العشاء فيجب أن نقبل الدعوة." وانتهى بنا الامر الى مشاركتهم في وجبة من البوتو باب (هريسة الذرة).

عدنا الى منزل نوا. في ليلتي الثانية هناك لم أسمع عواء كلاب ولا جلبة سيارات. وفي الصباح خرجنا بعد تناول الفطور للمشاركة في احتفال أقيم في مدرسة الحي الابتدائية. دخلنا قاعة الاحتفال ودعيت للجلوس الى طاولة المدرِّس، وجلس نوا الى جانبنا. وقد ضم الحقل ١٤ مدعواً أخذوا يصفقون ويتمايلون على صدح الموسيقى فيما راحت إمرأة عجوز متداعية تقرع طبلا كبيرا شُدَّ من جلد البقر.

في نهاية الاحتفال قدمني نوا الى الحاضرين وسألني إنْ كان لدي ما أقوله. فتمتمت: "شكرا لكم لأنكم قبلتموني بينكم." وكان هذا كل ما استطعته من خلال دموع التأثر.

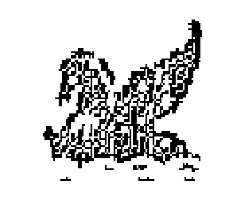
حان ظهرا موعد عودتي الى المركز الاجتماعي لركوب الحافلة التي ستقل الزوار البيض الى جوهانسبرغ. وفي الطريق أشار نوا الى قاعة الجنازات حيث يعمل بدوام جزئي سائقا لعربة دفن الموتى في مقابل أجر ضئيل. واخبرني أن العمل كثير خلال عطل نهاية الاسبوع. فأدركت أنه ضحى بدُخله من أجل مرافقتي، وأحسست بالحرج. لكن نوا كان مرحاً كعادته، فقال لي: "لقد استمتعت بضيافتك. علينا أن نبدأ من نقطة ما لنهدم جدار التمييز العنصري. من السخف أن ذلك استغرق كل هذا الوقت."

فلم أستطع الا الموافقة.

أدركت للمرة الاولى، وأنا في منزل نوا، أن حياتنا، بيضاً وسوداً، كانت على الدوام مترابطة على نحو لا يقبل فكاكاً. فالبيض، مع كل ثرواتهم المادية، أفقروا أنفسهم حضاريا بالقبوع في الجانب الاعمى من جدار التمييز العنصري. لقد بدأ الزجاج التشقق الآن، لكن ٤٥ سنة مرت عليّ قبل أن يتاح لي الجلوس الى طاولة عائلة سوداء متواضعة لأكتشف أن ما يجمعنا هو أكثر كثيراً مما يفرقنا.

عندما انطلقتْ حافلتنا من سويتو رأيتُ البيوت تتخذ معنى جديداً، وشعرت بأن ساكنيها بشر مثلي. فتملكني دوار، لكني أحسست أني مرتبط بأرضي أكثر من اي وقت مضى.

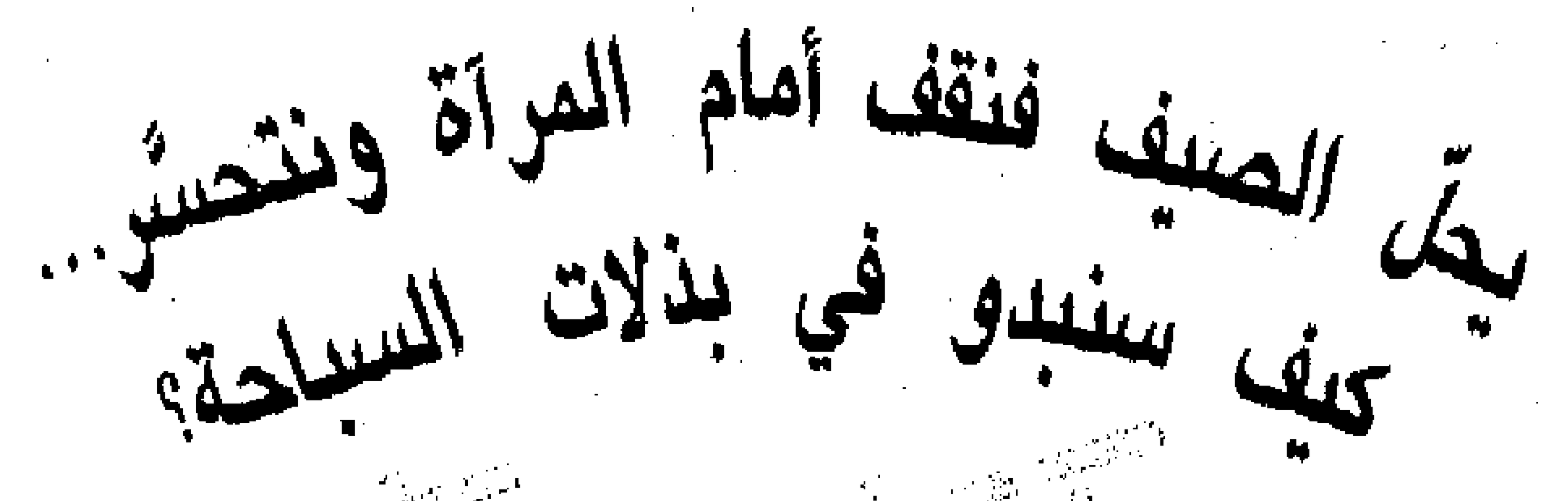
وليم باركر ■



شد وجه

قالت سيدة لصديقتها: "لقد اجريت عملية شد لوجهي."
فتعجبت الصديقة: "حقا؟ لكني لا الاحظ اي فرق."
فاوضحت لها متجهمة: "لقد عاد وارتخى عندما رأيت الفاتورة."

ش.ك.





موعد مع النحافة

حين استهل الربيع تطلعت تيري فلارتي الى حالها فغلب عليها الاشمئزاز. لقد زاد وزنها ١٤ كيلوغراماً على ما كان في سني الدراسة، وها هي تكاد لبدانتها لا تستطيع ارتداء ملابسها.

تتذكر تيري: "نظرت الى نفسي في المرآة فرأيت امرأة بدينة قصيرة." في اليوم التالي باشرت تيري العمل على استعادة رشاقتها. فنظمت جدولاً يومياً للمشي، ثم بدأت تمارس رياضة الهرولة، وانضمت بعد ذلك الى ناد للصحة حيث باشرت تمارين منتظمة. خفّفت أكل شطائر الهمبرغر وأكثرت من أكل التفاح والجزر.

وما إن حلّ الصيف حتى كانت تيري أنقصت وزنها نحو تسعة كيلوغرامات. وواظبت على برنامجها هذا الى أن عادت نحيفة. وهي تقول: "خرجت الى السوق واشتريت بذلة سباحة مع أننا كنا في ديسمبر (كانون الاول)."

ILLUSTRATION: LISA HENDERLING

وها قد مضت ثلاث سنوات وما زال وزنها مستقراً على ٥٧ كيلوغراماً.

واجه أحد أطباء الأسنان مشكلة إنقاص الوزن عينها. فهو أراد الظهور بمظهر لائق في الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لتخرج صفه في الجامعة. فعمد الى اتّباع برنامج حمية وجدول تمارين قاسيين، فأنقص وزنه أكثر من عشرة كيلوغرامات. لكنه تهاون بعد الاحتفال، فاستعاد معظم ما فقد.

تقول ليليان تشونغ الاختصاصية بالتغذية واللياقة البدنية: "ان بذلة السباحة ولقاء الخريجين القدامى هما الحافزان الاكبران اللذان يحملان الناس على التخفيف من بدانتهم. فمع حلول الطقس الحار، ينظر كثيرون من رواد الشواطىء باستياء الى أجسادهم المترهّلة فيصمّمون على ممارسة الحمية والرياضة. ولكن، تضيف تشونغ، "لسوء الحظ، يستعيد ٩٠ في المئة ممن مارسوا الحمية معظم ما فقدوه من كيلوغرامات في غضون سنة واحدة."

مع ذلك، في استطاعتكم أنتم تحسين قوامكم هذا الصيف وبعده. ففي رأي كيلي برونل، أستاذة علم النفس وواضعة برنامج "تعلّم" لضبط الوزن، ثمة كثيرون من متبعي الحمية يعتمدون برنامجا ذاتيا لخفض الوزن. وتضيف برونل: "إن تصميمكم على خفض وزنكم بأنفسكم يمنحكم التزاما قويا وينمي ثقتكم بأنفسكم ويظهر لكم قدرتكم على تحقيق ما تنشدون."

فكل ما يلزم هو تخطيط صائب وحسن إدراك ومثابرة. وإليكم طرائق ناجعة تمكنكم من اكتساب الرشاقة وتحول نجاحكم الموقت نمط حياة:

ضعوا نصب عيونكم اهدافا واقعية.

يرى جوزف بسكاتلا الاختصاصي بالفيزيولوجيا[1] الرياضية ومؤلف كتاب "خيارات لقلب سليم"[2] أن كثيرين من الناس يؤمنون بأوزان "وهمية" فيحلمون بانقاص وزنهم ثمانية كيلوغرامات أو تسعة خلال شهر واحد أو بالوصول الى نحافة عارضات الازياء. ولكن من المعقول أن تنقصوا وزنكم نصف كيلوغرام في الأسبوع. وقد تتمكنون من خفضه ستة كيلوغرامات في ثلاثة أشهر وربما ١٨ كيلوغراما في تسعة أشهر.

وعليكم أن تأخذوا سجلّ عائلتكم في الاعتبار. يقول الدكتور ألبرت ستنكارد: "اذا كان والداك كلاهما بدينين، فالاحتمال هو ٨٠ في المئة أن تكون أنت بدينا." فهل يعني ذلك أن وارث البدانة لن يتمكن أبداً من إزالة الوزن الزائد؟

يجيب ستنكارد: "لا، لكن إنقاص الوزن يكون أكثر صعوبة." وتقترح كيلي برونل أن يسعى المرء الى إنقاص وزنه الى معدل مقبول يرتاح اليه، لا الى المستوى المثالي في لوائح الوزن.

تجنبوا وعوداً مثل: "لن أعود الى أكل

---

(١) الفيزيولوجيا علم وظائف الاعضاء.

(٢) Choices for a Healthy Heart

الحلوى أبدا." فهي تشعركم بالذنب والخيبة إن استسلمتم للاغراء وأخفقتم في احترامها. ركزوا على التغييرات الايجابية التي تحققونها.

ركزوا على برنامج طويل الأجل.

يتذكر مدير إحدى الشركات مسلسل "البدانة فالرشاقة فالبدانة" الذي كان يختبره كل سنة. كان في الصيف يمارس أنواع الرياضة، ثم يحل الخريف وتكثر الاحتفالات والاعياد وهي مناسبات للاكثار من أكل الحلوى، وما ينتصف الشتاء حتى يرتفع وزنه الى ٨٩ كيلوغراما. ويتتابع المسلسل، فيعود صاحبنا الى الرياضة صيفا فيهبط وزنه الى ٧٩ كيلوغراما، وهكذا دواليك في حلقة مفرغة.

إن حمية "اليويو" (أي تناوب الهبوط والارتفاع باستمرار) هي ممارسة خطرة ومقلقة. فخلال الهبوط يخسر المرء الدهن والعضل معاً. وعندما يستعيد وزنه يكون معظم ما يستعيده دهناً. وكلما انخفض وزنه ثم استعاد ما فقده ازدادت نسبة الدهن في جسمه. وأولئك الذين يتكرر لديهم مسلسل الهبوط والارتفاع هم أكثر تعرضا للاصابة بمرض القلب من البُدُن الذين لم ينقصوا وزنهم قط.

كلوا ببساطة وحكمة.

البطون المنتفخة والأفخاذ المكتنزة والدهن الكثيف الذي يلف الخصر ما هي إلا نتيجة استهلاك مقادير مفرطة من الوحدات الحرارية (الكالوري). فكل فائض من إحدى مجموعات الاغذية الثلاث - الدهن والكربوهيدرات والبروتيين - يتحول دهناً في الجسم. لكن الدهن يُختزن بسهولة أكبر. فالجسم يستهلك سبعة في المئة فقط من كل غرام من الدهن لاختزانه، فيما يستهلك ٢٥ في المئة لتحويل البروتيين والكربوهيدرات واختزانهما. وفي كل غرام من الدهن طاقة من خمس وحدات حرارية، أي أكثر من ضعفي الوحدات الكامنة في غرام من البروتيين أو الكربوهيدرات.

فاذا قصرتم الوحدات الحرارية التي تستمدونها من الدهن على ٣٠ في المئة، وقرنتم ذلك بالرياضة، فقد تنقصون السمنة الزائدة تدريجاً. ولكي تحسبوا بالغرامات الحد الاقصى الموصوف لكم من الدهن، اضربوا عدد الوحدات الحرارية في نظام الحمية في ٠،٣ واقسموا الحاصل على تسعة. فاذا أخذنا امرأة حُدّد استهلاكها بمقدار ١٢٠٠ وحدة حرارية يومياً، فيكون استهلاكها الاقصى من الدهن ٤٠ غراماً في اليوم.

ابدأوا بالامتناع عن الاكل بين الوجبات الرئيسية، وحاذروا الاطعمة السريعة المطهوَّة بالدهن. آثروا السمك والدجاج المسلوخ، وتجنبوا الاكثار من اللحم المدهن. اشربوا الحليب الخالي من الدسم أو القليل الدسم بدلا من الحليب الكامل الدسم. وامتنعوا عن الحلوى بعد الطعام. ركّزوا على البطاطا واللبن المقشود بدلا من الزبدة أو

القشدة، وعلى المعكرونة الخالية من المرق الدسم. واذا كنتم تجهلون مقدار الدهن في أطعمتكم، فتعوَّدوا قراءة المحتويات الملصقة على أوعية المواد الغذائية. وفي غياب الملصقات، اشتروا دليلاً غذائياً. أحصوا الوحدات الحرارية اذا أردتم. إن إحجامكم عن تناول ٣٥٠٠ وحدة حرارية تتناولونها عادة ينقص وزنكم نحو نصف كيلوغرام.

ولستم مضطرين الى التنازل كلياً عن مآكلكم المفضلة. راندي أكرسن صاحب مطعم لم يمنعه اتباع الحمية من طهو أطايب يسيل لها لعابه.

الرياضة! الرياضة!

لا يتعين عليكم الركض كما في سباق. فالتمرين العادي المنتظم يكفي. المشي السريع يحرق نحو ست وحدات حرارية في الدقيقة. واذا مشيتم نصف ساعة يومياً فانكم تحرقون بحلول نهاية السنة وحدات تعادل تسعة كيلوغرامات من الدهن.

يقول الخبير في الوقاية من الامراض بيتر وود إن للمشي الفاعلية ذاتها التي للهرولة. وتبين الدراسات أن الشخص الذي يمشي ستة كيلومترات يوميا يخسر من وزنه نحو ما يخسره ذلك الذي يركض ستة كيلومترات. ويضيف وود: "المهم هو أن تمارسوا النشاط الذي يلائمكم."

وثمة مكافأة اضافية للرياضة. فبعد التمرين الجسماني المنتظم (هرولة أو ركضاً) يظل المعدل الايضي الهجوعي[٣] للجسم خلال فترة الراحة مرتفعا لفترة تراوح بين ٢٠ و٣٠ دقيقة، محرقاً طاقة اكثر من المعتاد. ومع تمارين تنمية العضلات يزداد المعدل الايضي الهجوعي تدريجا مع الوقت، لأن هذه التمارين تقوّي العضل، والعضلات هي محركات الجسم التي تحرق الطاقة. يقول واين وستكوت المستشار في تنمية القوة البدنية: "كلما ازداد عضلك ازدادت الحاجة الى الطاقة التي تغذيه."

تكيَّفوا ذهنياً.

كثيراً ما نأكل من غير وعي تقريباً، خصوصا لدى جلوسنا أمام التلفزيون. ابدأوا ضبط وزنكم بتسجيل كل لقمة تأكلونها: كيف حُضِّر الطعام، وأين أكلتموه، ومع من، وكيف كان مزاجكم. ولا تنسوا الزبدة التي تمدّونها على الخبز والصلصة الدسمة التي تغمسون فيها. فالقائمة التي تدونونها قد تفتح عيونكم على مواقع العلّة فتكتشفون أنكم، حين تشعرون بالكآبة والاحباط، تقصدون علبة الحلوى أو الشوكولاتة، وحين يأتيكم ضيوف أعزاء تأكلون أكثر.

اعتمدوا قواعد جديدة لكبح هذه العادات الضارة. التزموا تناول الطعام في مكان واحد، الى الطاولة ذاتها، وبشوكة وسكين وملعقة. اسكبوا الطعام في صحون صغيرة كي تبدو الحصة أكبر. امضغوا جيداً وبتأنٍّ. لا تشتروا أطعمة مغرية.

---

(٣) Resting metabolic rate

التزموا هذا البرنامج، لأن شبح الأكل يظهر لكم مراراً كل يوم ويغريكم بالارتخاء. حصِّنوا أنفسكم ضد تلك اللحظات. تجنبوا المرور أمام الفرن في طريقكم الى المنزل. وخطِّطوا لما يجدر تناوله من طعام وشراب خلال الحفلة التي دعيتم اليها.

واذا استسلمتم للاغراء وتناولتم بعض الجيلاتي (أيس كريم) فلا بأس. فذلك لا يفسد كل شيء. يعتقد كثيرون بوجوب التزام الحمية تماماً أو عدم التزامها على الاطلاق. فاذا تناولوا قطعة حلوى قالوا لأنفسهم: "لقد أفسدت برنامج حميتي، فلا عليّ اذا تابعت الاكل وأشبعت نهمي." أما أنتم فأحجموا عن تناول مزيد من الحلوى وتابعوا برنامج الحمية في اليوم التالي. فان زلة واحدة لا تعني الفشل الكامل.

تذكروا تمضية فصل الصيف المقبل على الشاطىء. ولا تهملوا أجسامكم بحيث تعود مطلع الخريف الى الارتخاء والترهل. نظموا برنامج الحفاظ على وزنكم والتزموه طوال السنة. بهذه الطريقة تحتفظون برشاقتكم ليس في فصل الصيف هذا فحسب وانما في كل صيف وخريف وشتاء وربيع آتية.

ادوين كيستر جونيور
وسالي فالنتي كيستر ■



آباء وأبناء

كنت ماراً قرب مدرسة ابني ساعة الانصراف، فانتظرته لأقلَّه معي الى البيت. مرت دقائق صمت ونحن في السيارة حاولت بعدها أن أفتح معه حديثاً، فسألته: "هل أمضيت نهاراً جيداً في المدرسة؟"

- نعم.

"ألديك فروض منزلية؟"

- كلا.

"يبدو انك قصصت شعرك."

- نعم.

"هذه محادثة أحادية الكلمات، أليس كذلك."

- بلى.

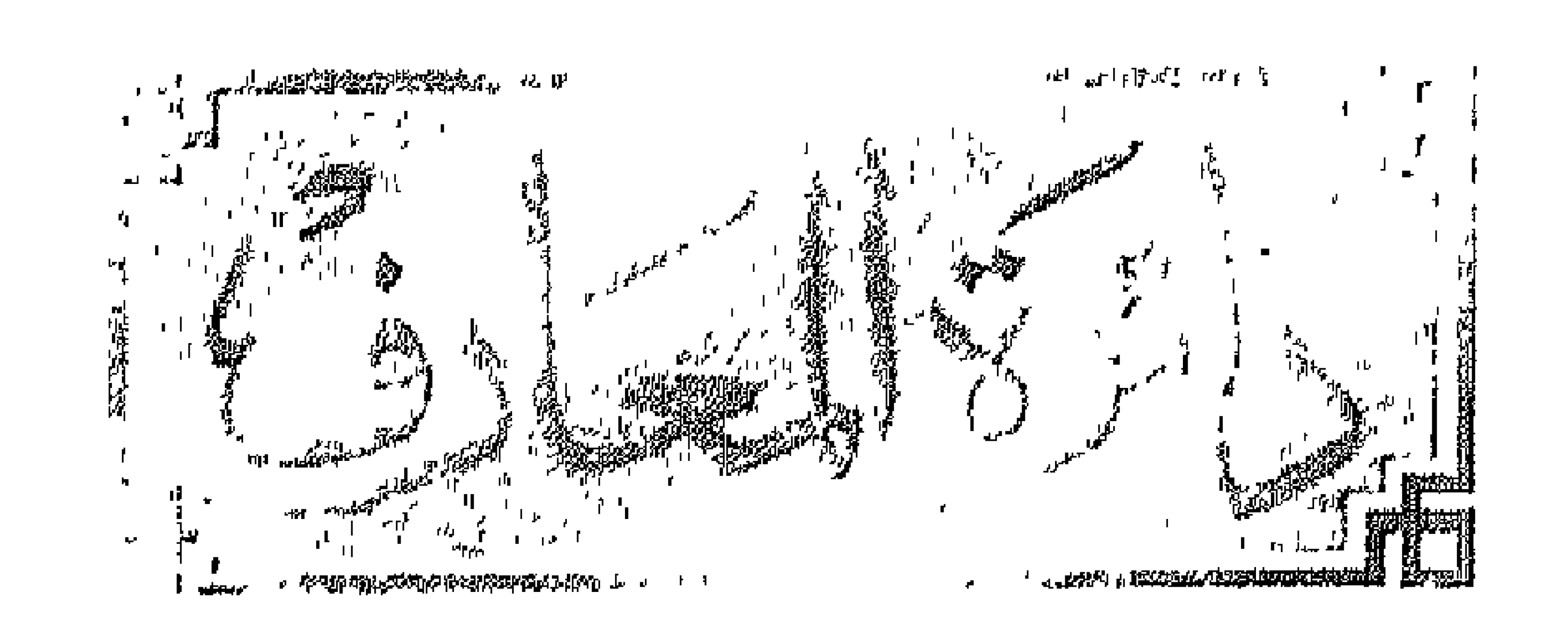
"هل تعرف معنى أحادية؟"

- نعم.

"أخبرني اذاً ما معناها." وضحكت في سري وأنا أفكر: عليه الآن أن يعطيني تفسيراً قاموسياً.

لكنه أجابني بابتسامة خبيثة: "واحد."

ف.ف.



انعم العرب النظر في خصائص الحيوان وتعمقوا في خصال البشر وخرجوا بتشبيهات واستعارات صائبة ضربوا بها المثل.
هنا بعض ما تناقلوه.

كتمان الأرْض. يُضرَب به المثل، كما قال ابن المعتزّ في الفصول القِصار: لا تَذكر الميتَ بسُوء فتكونُ الأرض أكتمَ عليه منك.

إطراق الشجاع. من أمثال العرب: أطرق اطراق الشجاع، اذا سكن وسكت. قال المتلمِّس:

فأطرقَ إطراقَ الشجاعِ ولو يرى
مساغاً لنابَيهِ الشجاعُ لَصَمّما

ريّ الضب. يُضرَب به المثل، فيقال: أروَى من الضبّ، لأنه لا يشرب الماء أصلاً. وذلك أنه إذا عطش استقبل الريحَ فاتحاً فاهُ، فيكون ذلك ريّه. والعرب تقول في الشيء الممتنع: لا يكون ذلك حتى يَرِدَ الضَب، وفي تبعيد ما بين الجنسين: حتى يؤلَّفَ بين الضبّ والنون.

ويُضرب المثل أيضاً بعقوق الضبّ. ومن عقوقها أنها تأكل أولادها، وذلك أن الضبّة إذا باضت حرَستْ بيضها، فإذا أخرجتْ اولادها ظنّتْها شيئاً يريد بيضها، فوثبت عليها فقتلتها وأكلتها.

صَيد ابن آوى. يُضرب مثلا لما يشقّ طلبُه ويصعب الظفَر به، فإذا وُجد لم يكن له طائل. قال الشاعر:

كان ابن آوى وهو صعب فإذا
ما صِيدَ يوما لا يُساوي خَرْدَله

بخل الكلب. يُضرَب مثلاً للبخيل، لأن الكلب إذا نال شيئاً لم يطعم منه، وإن رامَ انسانٌ انتزاعَ شيء من يده هرّشه.

ظلم الحيّة. العرب تقول ليس شيء أظلمَ من الحية، لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتا، وكلّ بيت قصدتْ نحوَه هرب منه أهله وخلّوه لها فدخلته، واثقةً أن ذلك الساكن بين أمرَين: فإما أقام فصارَ طعاماً لها، وإما هرَب فصار البيتُ لها، فأقامت فيه ساعةً أو ليلةً.

ويُضرب المثل أيضا بلسان الحية تُشبَّه به القَدَم اللطيفة، كما قال بعض البُلغاء في وصف امرأة حسناء: لها صُدغ كالعقرب، وعُنُق كالابريق الفضة، وسُرة كمدْهُن العاج، وقَدَم كلسان الحية.

عضّ النملة. قال بعض الحلماء وهو يضرب المثل بما يُستهانُ ولا يُبالى به: ما عسى أن يكون عض النملة، وقرْص القَمْلة، ولَسْع النحلة، ووُقوع البقّة على النخلة، ونُباح الكلاب على السحاب! ومَا موقع الذُباب مِن ذي ناب!

ويُضرب المثل أيضا بقوة النمل، لأن النملة تجرّ نواة التمرة وهي أضعافها وَزْنا.

ودعا رجل لبعض الملوك فقال: جعل الله جُرأتك جرأة ذُباب، وقوّتك قوةَ نملة، وكَيدَك كيدَ امرأة. فَغضب الملك من قوله، فقال له. على رِسْلِك أيها الملك، إنه يَبلغ من جُرأة الذبابَ أن يقع على أنف الملك، ويَبلغ من قوة النملة أن تحمِل أضعافَ وَزنها، والفيلُ لا يستقل ببعض ذلك، ويبلُغ من كيد المرأة ما لا يبلغه دُهاةُ الرجال.

حُمق جَهيزة. من أمثالهم: أحمق من جَهيزة، وهي عِرْس الذئب، أي أليفته. ومن حُمقها أنها تَدَع ولدها وتُرضع ولدَ الضبع، كفعل النعامة ببيض غيرها.

قالوا: ويَشهد لما بين الضَبع والذئب من الألفة أن الضبع إذا صيدت أو قُتلت فإن الذئب يتكفّل بأولادها ويأتيها باللحم

جرأة الأسد. يتمثل بها حتى النساء والصبيان، لأن الأسد سيد السباع، كما أن العُقاب سيّد الطيور، والفرس سيّد الدواب، كما قال ابو الحسن المدائني: قال نصر بن سيار: كان عظماء الترك يقولون: ينبغي أن يكون في القائد العظيم القيادة عشر خصال من أخلاق الحيوان: جُرأة الأسد، وخَتْل الذئب، ورَوَغان الثعلب، وحملة الخنزير، وصبر الكلب على الجراحة، وتَحَنّن الدجاجة، وسخاء الديك، وحذَر الغراب، وحراسة الكُركي، وهداية الحمام.

مرآة الغريبة. يضرب بها المثل، فيقال: أنْقَى من مرآة الغريبة، لأن المرأة الغريبة تتعهد مرآتها من الجلاء بما لا يتعهّد غيرها، وتتفقد من محاسن وجهها ما لا يتفقده سواها، فمرآتها أبداً مجلوة نقية.

جمل السِّقاية. يُضرَب مثلا في الامتهان، فيقال: ما هو إلا جَمَل السُّقْيا، وحمارُ الحوائج.

ولد الحمار. من أمثال العرب: أخلف من ولد الحمار، يريدون به البغل، لأنه لا يشبه أبَاه ولا أمه.

ويُضرب المثل أيضاً بصوف الحمار في العُسْرة والنكد، فيقال: أنْكَد من صوف الحمار. كما يُذكر صوف الكلب في القلة والعسرة، فيقال: أعسر من صوف الكلب.

جِلْد النَّمر. من أمثال العرب في المكاشَفة وإبراز صفحة العداوة قولهم. لبِس لهم جِلدَ النَّمر.

داء الظّبْي. من امثال العرب عن أبي عمرو الشيباني في صحة الجسم قولُهم: داء الظّبْي. قال: ومعناه ليس به داء كما أنّه لا داء بالظبي.

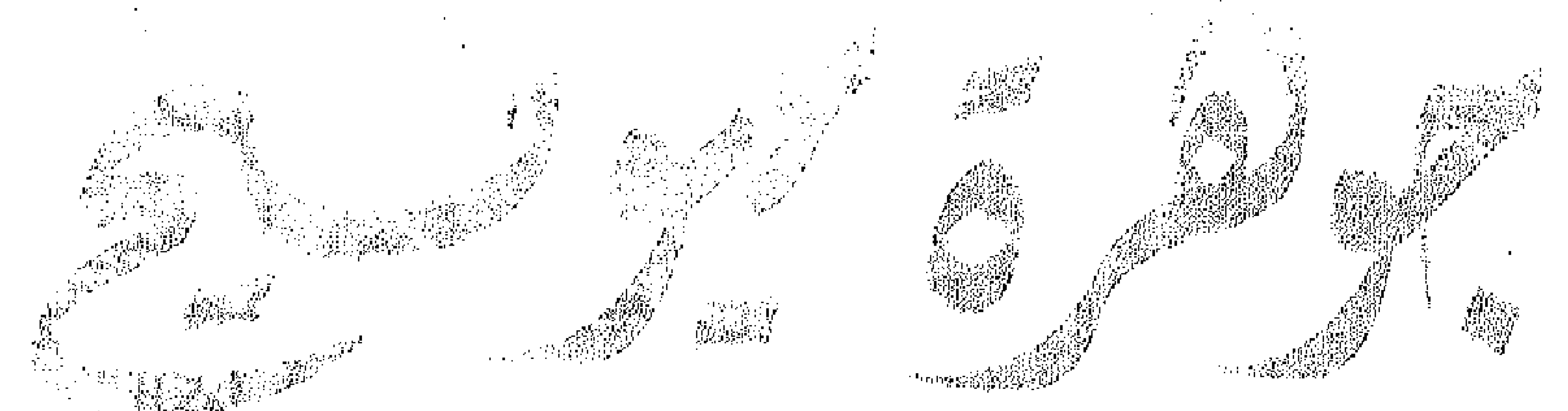
مِشْية السَّرَطان. يُضرَب بها المثل في الإدبار ورجوع القَهْقَرى. وكان الخوارزمي إذا وصف راجعا إلى وراء قال: مِشْية السَّرطان، وكبَوْل الجمل إذْ يَرجِع الى خَلْف.

صحبة السَّفينة. تُضرب مثلا في الصُحبة التي لا صداقة معها، وذلك أن الناس ربما تَصاحَبوا في السفينة ثم لا يتصادقون بعدَها. قال الشاعر:

من غاب عنكم نَسِيتموه
ورُوحُه عندكم رَهينَه
أظُنُّكم في الوَفاء ممَّن
صحبتُه صحبة السَّفينَه

سِرّ الزّجاجة. يُضرَب مَثَلا لما لا يُكتمُ من الأسرار، لأن الزجاجة جوهر لا يُكتم فيه شيء لما في جِرْمه من الضياء.

وكَتَب ابنُ المعتز الى صديق له: أقلِل من فلان نَصيبَك، فإنه أنمُّ مِن زجاجة على ما فيها.



الحديقة الانكليزية ينبوع بهجة في قلب العاصمة البافارية

تستقبل الحديقة الانكليزية في ميونيخ نحو عشرة ملايين شخص سنوياً يؤمونها من أنحاء العالم. وتمتد هذه الارض الفسيحة الخضراء في موازاة الضفة اليسرى لنهر ايزار – من وسط المدينة الى حدودها الشمالية – مسافة خمسة كيلومترات طولا و٨٠٠ متر عرضا. وهي تعتبر إحدى الحدائق العامة الأوسع والاقدم في العالم، إذ تضم مروجا تمتد على مساحة ٣٧٣ هكتاراً، وأودية صغيرة مشجرة وبحيرات وجداول، و٧٣ كيلومتراً من الممرات ودروب الخيل. ويقول عمدة ميونيخ جورج كرونافيتر: "أصبحت المناطق الخضراء المفتوحة عنصراً حيوياً في محيط مدينة كبيرة غزاها الاسمنت. الحديقة الانكليزية واحة طبيعية."

وهي أيضا منطقة استجمام لكل الاجيال ويمكن المرء السير في أنحائها أو الهرولة أو ركوب الدراجة أو استئجار

PHOTO: © OSSI BAUMEISTER / AGENTUR ANNE HAMANN

قارب تجذيف عند بحيرة كلينهيسيلوهر أو الاستراحة على أحد المقاعد الكثيرة.

وتتحول الحديقة شتاء أرض عجائب لهواة التزحلق على الجليد وممارسي رياضة التزلج. وتستقبل صيفا محبي "حمامات" الشمس الذين يحتلون مقاعدها المطلة على جدول شفابنغر.

وفي الحديقة ستة ملاعب للأولاد مجهزة بهياكل معدنية للتسلق وبأراجيح ومزالق ودوامة خيل[1] ذاع صيتها منذ العام ١٨٢٣. والدوامة الحالية ذات السقف الخشبي نسخة حديثة عن الأصلية بنيت قبل ٧٧ سنة، وهي فريدة لا لصناعتها الحرفية فحسب بل لتنوع مطاياها، من أيائل وجمال وزرافات وطيور نحام (فلامنغو) ومزالج وعربات مزخرفة، يركبها الأطفال في مقابل مارك واحد للرحلة.

وتمتد فوق جداول "شفابنغر" و"الجليد" و"الكولونيل ياغرمايستر" جسور كثيرة صنعت من الحجر والحديد والخشب يخالها المرء خيوطاً فضية منسابة في الحديقة المزدانة بنصب تذكارية متنوعة، من أشهرها هيكل مونوبتيروس الصغير بأعمدته العشرة الذي أنجز عام ١٨٣٧ ويعتبر جوهرة للهندسة المعمارية الكلاسيكية.

وفي القسم الشمالي من الحديقة مدرج طوله ٤٠ متراً وعرضه ٢٥ هو ثمرة مبادرة من مواطني ميونيخ. ففي أوائل الثمانينات قرر أعضاء نادٍ للممثلين الهواة بناء مدرج مطابق لذلك الذي كان قبلة أنظار رواد الحديقة قبل ٢٠٠ سنة. فجمعوا نحو مئة ألف مارك (نحو ٦٢ ألف دولار) وقدموا المسرح الجديد عام ١٩٨٥ هدية الى مقاطعة بافاريا. ويقول الممثل ستيفان تروبرغ أحد أفراد المجموعة: "قدمت فرقتنا المسرحية أعمالا مختلفة في المدرَّج، ولاقت نجاحا كبيراً. واستخدمته المدارس والفرق الموسيقية لنشاطاتها أيضاً."

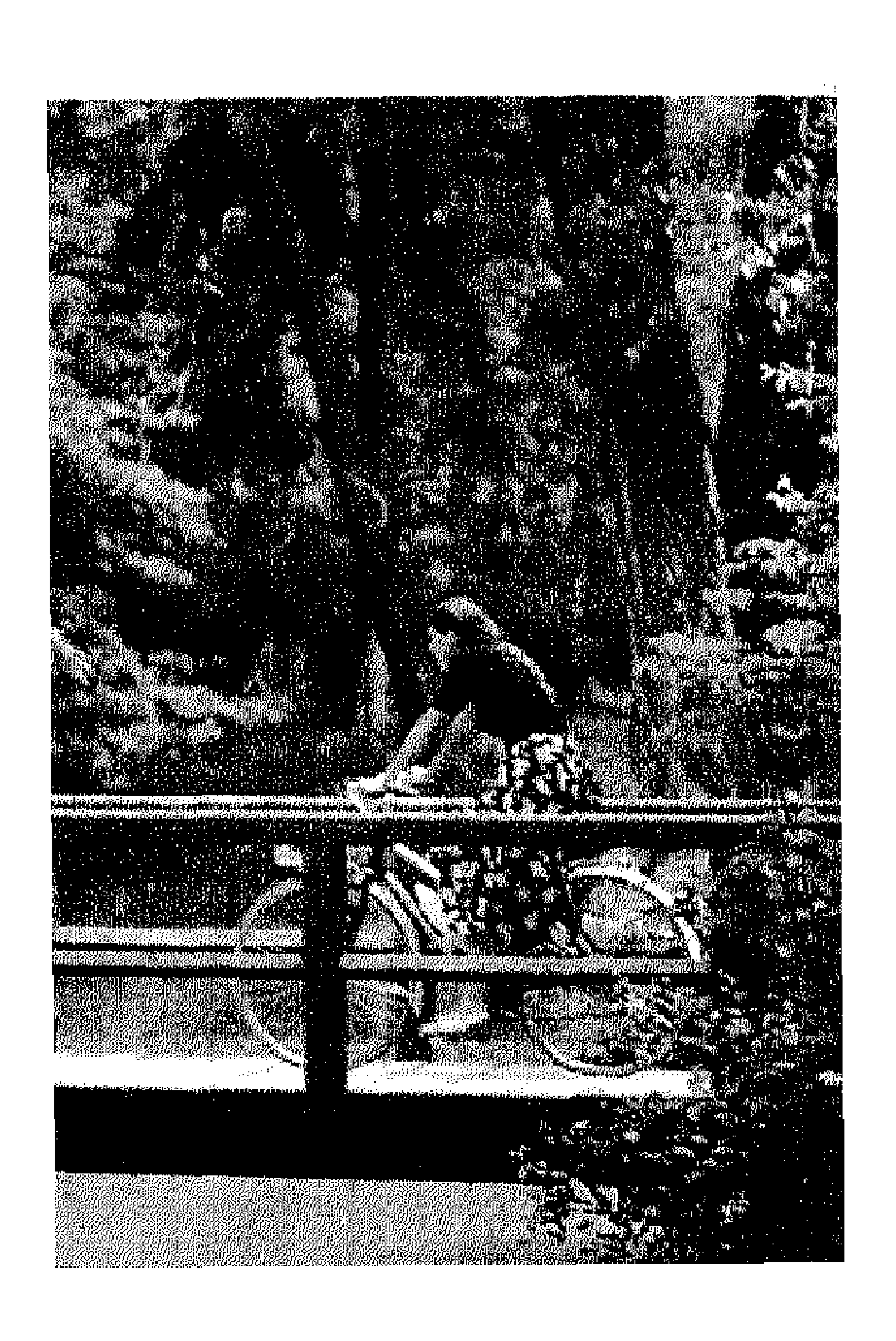
انكليزية في ألمانيا. يتجلى جمال الحديقة الأخاذ في كل أنحائها، ولكن يبقى مكاني المفضل في وسط الجزء الجنوبي منها، حيث ترتفع الباغودا الصينية ببرجها الخشبي ذي الطبقات الأربع وأجراسها التي تزين سقوفها العلوية. وقد تأثر مهندسها المعماري جوزف فراي بباغودا حدائق كيو في لندن المؤلفة من تسع طبقات. وعندما أحترق المبنى عام ١٩٤٤ في غارة جوية إبان الحرب العالمية الثانية، اعترى سكان ميونيخ أسى شديد حداهم على تأسيس جمعية لاعادة بنائه. وتحققت أمنيتهم عام ١٩٥٢.

ويحيط بالباغودا أشهر "بستان شراب" في المانيا وهو أحد أربعة تضمها الحديقة. ومع أنه يتسع لنحو ٧٢٠٠ شخص، فقد يتعذر العثور على مقعد واحد خال في أمسيات الصيف الحارة. وتحت ظلال أشجار الكستناء تتجمع حشود مختلطة من طلاب الجامعة

(١) Carousel



(فوق) مرح في "بستان الشراب."
(تحت) أحد الجسور الرومنطيقية في الحديقة.



المجاورة ومثقفي "الحي اللاتيني" في ميونيخ وبافاريين أصليين في ملابس تقليدية. هنا يلتقي الاصدقاء القدامى وتنشأ صداقات جديدة. وهنا تحيي فرقة موسيقية ثلاث حفلات أسبوعيا.

وتتوافر القهوة والمرطبات في البستان، كذلك تشكيلة غنية من المأكولات. لكن كثيرين يحضرون طعامهم معهم.

وصالة الشاي هي المكان المناسب للذين ينشدون مكانا هادئا بعيدا عن الضوضاء. وهي تقدمة من اليابان لمناسبة دورة الالعاب الاولمبية التي أقيمت في ميونيخ عام ١٩٧٢، وترمز الى السلام والتفاهم الدولي. وقد أقيمت عند طرف بركة وتعتبر نموذجا للهندسة

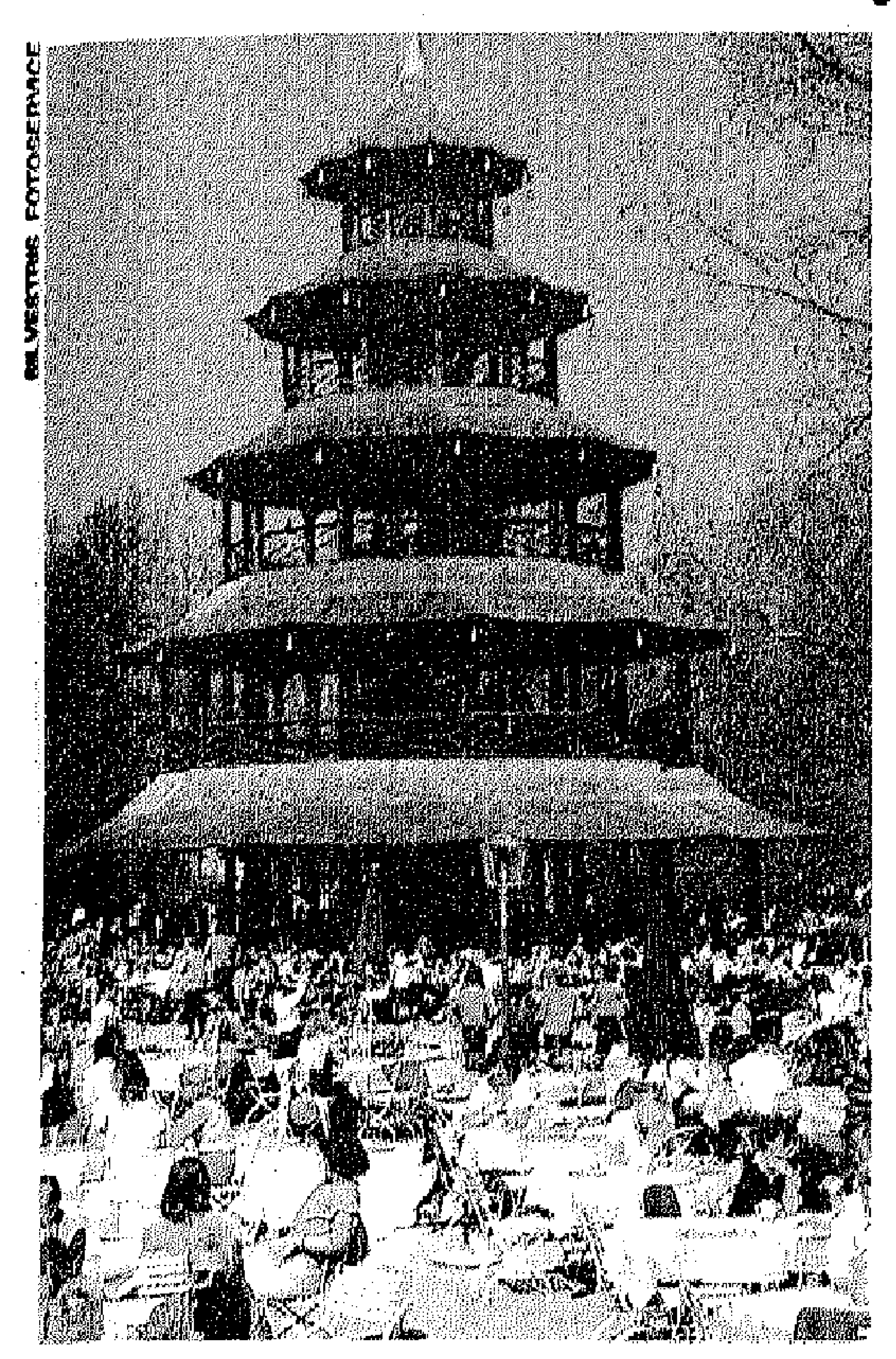
المعمارية اليابانية. و"حفلة الشاي" طقس قد يستغرق أربع ساعات، هدفه تدريب المشاركين على فضائل "التآلف والاحترام والطهارة والسكون."

ما هو التفسير المعقول لهذا المنظر الانكليزي و"صندوق العجائب" في قلب ميونيخ؟

لجلاء الأمر، اقصدوا الناحية الجنوبية – الشرقية من الحديقة حيث يرتفع نصب حجري يحمل تمثالا نصفيا من المرمر. وستعجبون أكثر، لأن مؤسس الحديقة أمريكي يدعى بنجامين طومسون أصبح لاحقا الكونت رامفورد.

جيش عامل. ولد طومسون عام ١٧٥٣ في وبرن من ولاية مساتشوستس الامريكية. وكان والده مزارعاً. تابع محاضرات في الفيزياء والطب في جامعة هارفرد. وعاش مع زوجته سارة في كونكورد من ولاية نيوهامشير. وفي سنوات الثورة الامريكية كان طومسون موالياً للملكية وعمل لحساب الاستخبارات البريطانية. وفي العام ١٧٨٤، وكان في الثلاثين من عمره، منحه الملك جورج الثالث لقب "فارس" جزاء لخدماته. وتقاعد برتبة كولونيل وخصص له نصف راتب مدى الحياة. لكن طموحه الجامح أبى عليه الاكتفاء بالعيش متقاعداً ميسوراً، فسافر الى المانيا وحصل على وظيفة في الجيش البافاري.

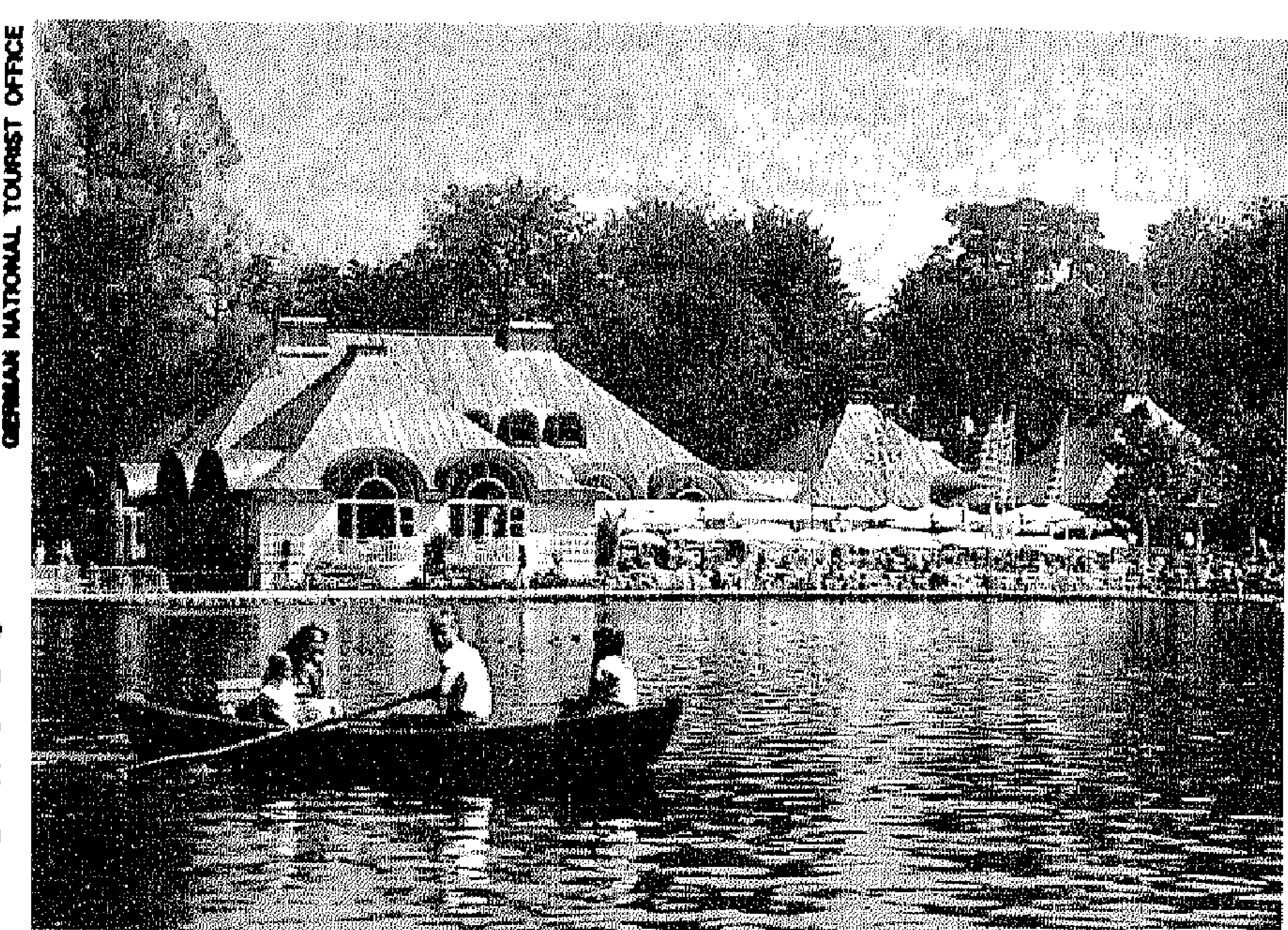
أكب طومسون على دراسة اللغة طوال السنوات الأربع التالية. ولمس التخلف



الباغودا الصينية التي أعيد بناؤها عام ١٩٥٢.

الذي تتخبط فيه بافاريا ومدى انغماس اقطاعييها وعسكرييها وادارتها المدنية في الانحطاط والكسل والفساد. واقترح في تقرير مفصل أعده عام ١٧٨٨ إجراء إصلاحات شاملة، خصوصاً في مؤسسة الجيش. وقد ترك هذا التقرير انطباعاً قوياً لدى كارل تيودور أمير بافاريا، فعين طومسون وزيراً للحرب والشرطة.

أقام طومسون حاميات عسكرية دائمة وأنشأ مدارس للجنود وعائلاتهم، وجعل قواته تعمل في شق الطرق واستصلاح الاراضي وزرع البطاطا. وسرعان ما درّت الصناعات العسكرية المتنوعة ايرادات كافية لدفع ثمن كل تجهيزات الجيش،



رحلة في زورق في بحيرة كلينهيسيلوهر، ويبدو "بيت البحيرة."

بدءاً بالثكن والبزات الجديدة وصولا الى رفع رواتب الجنود.

في فبراير (شباط) ١٧٨٩ وافق كارل تيودور على فكرة طومسون انشاء حديقة عسكرية واسعة. وشملت خططه منطقة زراعية فيها حدائق خضر وحقل تدريب لطلاب المدرسة الحربية ومنشآت أخرى. ووقع اختياره على مرج مستنقعي على الضفة اليسرى لنهر ايزار. وأيد كارل تيودور الاختيار بحماسة، وجنّد طومسون فيلقا كاملا من الجيش لزرع التربة المستنقعية.

كونت رامفورد. ليس معلوما متى بدل طومسون رأيه وآثر انشاء حديقة عامة. لكن الفكرة صارت ملحة مع اندلاع الثورة الفرنسية واقتحام سجن الباستيل في ١٤ يوليو (تموز)، ذلك لأن طومسون أيقن أن الثورة لن تراود ذهن شعب حر في التنزه والترويح عن نفسه.

عُين مهندس البلاط فريدريك لودفيك فون سكيل مساعداً لطومسون. وكان فون سكيل زار بريطانيا في سبعينات القرن الثامن عشر حيث اطلع على المفهوم الحديث لهندسة المناظر هناك، الذي يستحسن ترك النباتات تنمو طبيعياً عوض تطويعها لرغبة الانسان، كما تعرّف الى فكرة تزيين الحدائق بهياكل وشلالات وجسور صغيرة.

في ٢٥ مايو (أيار) ١٧٩٠ دعا طومسون الامير كارل تيودور الى لقاء نظرة تمهيدية على الحديقة. فاذا بهما يتجولان في أرجائها طوال ثلاث ساعات. وما رآه الامير كان تحولا هو أقرب الى المعجزة. فقد زرعت الأراضي المستنقعية بالبرسيم والعشب والوف

الاشجار. وشُقت فيها الطرق والممرات وعلت جداولها جسور مزخرفة جميلة. وجهزت مدرسة للطب البيطري لاستقبال ٣٢ طالبا. وكانت ورشة العمل على وشك الانتهاء في نادي الضباط الذي صار اليوم "قاعة رامفورد" وتستعمل حضانة للأطفال. وجاء في تقرير لصحيفة "بافاريا" ذلك الأسبوع أن المحطة الأهم في الزيارة كانت الباغودا الصينية. فقد اصطحب طومسون الامير الى الطبقة العليا لمشاهدة "منظر حر فوق كل الاشجار."

وانقضت سنتان أخريان قبل افتتاح الحديقة الانكليزية رسميا للجمهور. وهي لاقت للحال اقبالا كبيرا لسكان المدينة، كما حصدت اطراء وافرا من زوارها الأجانب. ومنح الامير كارل تيودور طومسون لقب "كونت رامفورد" عربون تقدير وامتنان، ورامفورد هو الاسم السابق لمدينة كونكورد الامريكية حيث عاش طومسون قبل مجيئه الى بافاريا.

حديقة "خاصة." فتنت الحديقة الانكليزية الناس طوال قرنين، ووسعت وازدادت رونقا. ويعجب زوارها اليوم بالحياة النباتية النادرة فيها التي تضم شقائق النعمان والسحلبيات (الاوركيديا) وفصائل كثيرة من الجنبات والاشجار. وتعيش في الحديقة أنواع مختلفة من العصافير والطيور المائية والسناجيب وأعداد لا تحصى من المناجذ[٢] التي تفضح أكوام التراب الكثيرة حضورها.

يقول الكاتب سبغي سومر وهو من ميونيخ: "اننا نحب حديقتنا ونحميها كما تحمي اللبؤة البافارية شبلها." والحقيقة أن كثيرين ينظرون اليها كأنها الحديقة الخاصة بمنازلهم. وكلما قطع الحرّاجون شجرة مريضة أو شذبوا بضعة أغصان انهالت الشكاوى على مكاتب الصحف المحلية والمراكز البلدية.

في صيف ١٩٨٩ دعت مدينة ميونيخ مواطنيها الى الاحتفال بالذكرى المئوية الثانية لانشاء الحديقة في "عيد ميلاد" يستمر سبعة عشر يوما. وافتتح المهرجان بموكب وعرض لمركبات تاريخية وبعزف سمفونية "الفصول" لهايدن. واقيمت احتفالات موسيقية وأدبية ورياضية وبرامج كثيرة للأطفال ومعارض فنية. وقدمت مقاطع مسرحية تناولت تاريخ الحديقة. وقدم عرض للألعاب النارية.

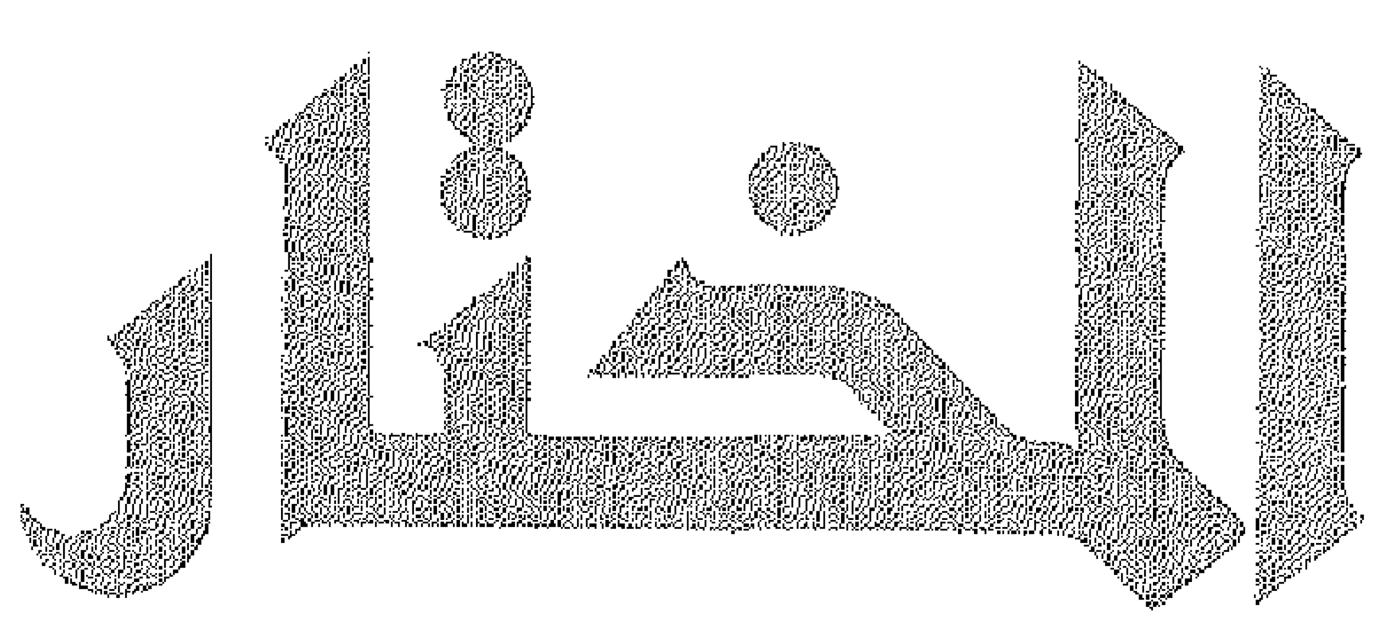
يقول العمدة كرونافيتر: "لا تزال الحديقة الانكليزية تجسد كل ما تصوره مؤسسها وأراد تحقيقه: حديقة لمتعة الجميع ومعلما وأثرا ثقافيا عظيما."

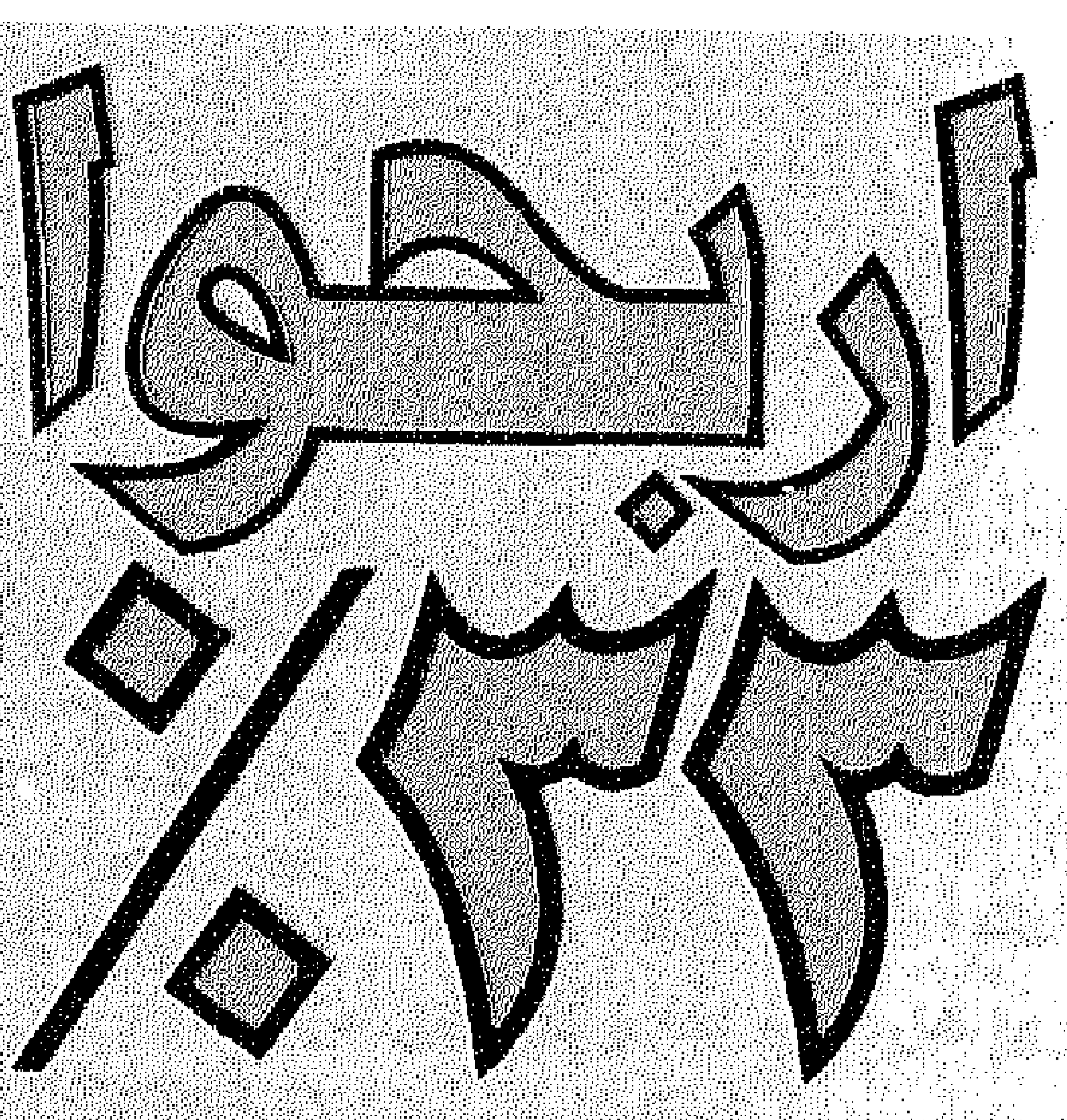
جون دورنبرغ ■

(٢) مناجذ جمع "جُلَذ" من غير لفظه وهو حيوان اعمى يعرف بالخلد.

قال الطبيب للمريض مغتاظاً: "أخبرتك مئة مرة انني لا أعالج حالات فقدان الذاكرة!"

ك.ف.





اذا اردتم ان تصلكم "المختار"
الى عنوانكم،
بادروا الى ملء
هذه القسيمة وارسلوها
مرفقة بشيك مسحوب
على مصرف في نيويورك
باسم "المختار من ريدرز دايجست"
بقيمة ٣٠ دولارا امريكيا،
وارسلوا القسيمة والشيك
بالبريد المضمون (المسجل)
الى احد العناوين المذكورة
خلف هذه القسيمة.

الاسم ______________________

____

العنوان ______________________

____

التاريخ ______________________

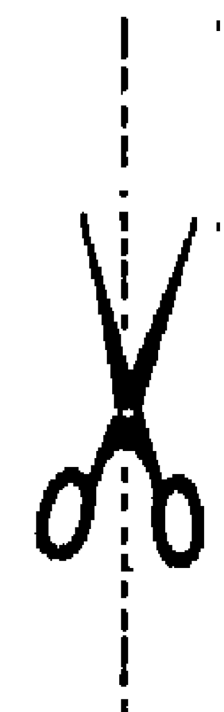
التوقيع ______________________

الـرجاء ارسـال القسيمـة والشيـك بـالبـريـد المسجـل (المضمـون)
الى احد العناوين الآتية.

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut-Lebanon
(Telex 43321 ALBANK)

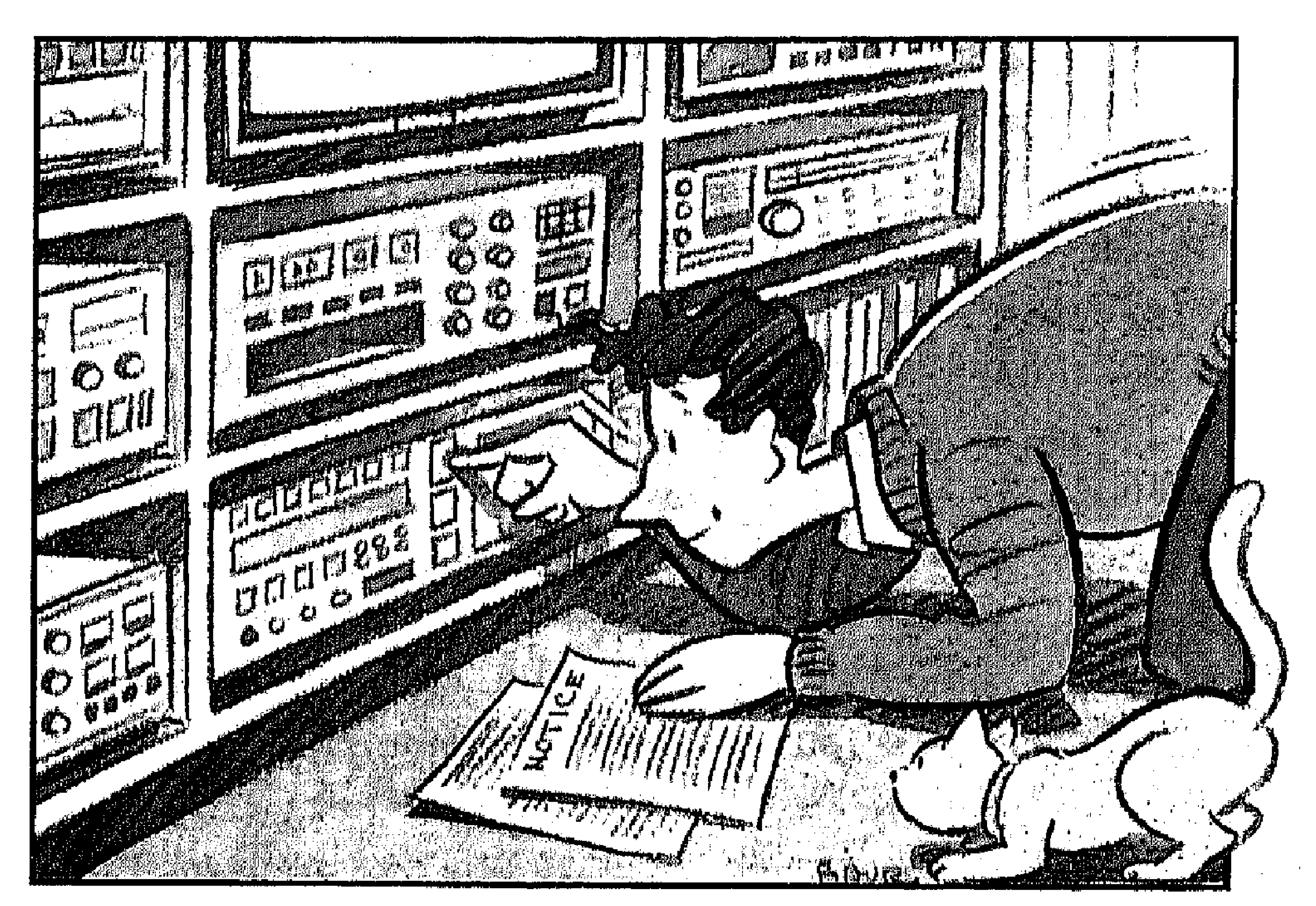
AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex International Courier
P.O.Box 3841, Deira-United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar, B.P. 819
94549 Orly Aerogare-France



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار"

هوس التكنولوجيا



لا بد من أن لهذا المفتاح اللعين وظيفة ما!

"عفواً، ماذا قلت؟"

ترى هل هذه لغة بائدة من عهد ثمود أم صينية من زمن كونفوشيوس؟ ام انها لاتينية قديمة؟

تابع الخبير باصرار: "تخلص أولاً من هذا التلفزيون القديم واشتر جهازاً حقيقياً يتضمن أنظمة استقبال "في إتش إف / يو إتش إف"، وأنظمة ألوان "بال / سيكام" و"إن تي إس سي"، و"إن فيديو" و"فيا بيريتيل."[1] زوِّده مؤشر ذبذبات داخلياً[2] لاستقبال بث الأقمار الاصطناعية عبر هوائي قطعي مكافىء.[3] إخزن نحو ٥٠ قناة في ذاكرته. ولا تنسَ شراء أشرطة بيريتيل المتعددة الرؤوس، واستخدم واحداً منها لاستقبال برامج "إس فيديو واي سي"[4] من الكاميرا المسجلة، وواحداً لكل من الـ"إس – في إتش إس في سي آر" والـ"إتش ١٨."[5] بعد ذلك..."

---

(١) VHF / UHF, Pal / Secam, NTSC, in video, via Pertiel

(٢) Interband tuner

(٣) Parabolic antenna

(٤) S Video (Y / C)

(٥) S-VHS VCR, H18

مهلاً، مهلاً! أين تضع قابس محمصة الخبز الكهربائية؟

لقد صرنا نوظف أموالنا في ما يعصى على فهمنا وما لا نستعمله أبداً أو نستعمله جزئيا!

خلال مباريات دوري أوروبا في كرة القدم، رأيت ذات ليلة نفوساً متعطشة لمشاهدة كل المباريات، ومستعدة لتسجيل إحداها نقلاً عن القناة الاولى فيما تتابع مباراة أخرى على القناة الثانية وتحاول ربط القناتين بجهاز صوت "هاي فاي." فماذا ظهر على الشاشة؟ صور البث التجريبي ليس إلّا. حتى القنوات الثالثة والخامسة والسادسة خذلت الحضور. ولن أنسى في حياتي ذلك المشهد الرهيب لمجموعة من الرجال المحبطين الذين كُتب عليهم أن يتابعوا المباراة عبر المذياع.

ويوماً بعد يوم، تُذكرنا تساؤلاتنا وهلعنا بأن الشيطان موجود:

"لا بدّ من أن لذلك المفتاح اللعين وظيفة ما!"

"إنتبه، لا تعبث بهذا الزر، إنه مخصص للمحترفين."

"توقف، أرجوك، سوف تضيّع علينا مسلسل السيارة العجيبة!"

"اللعنة، للمرة الألف يمحو الفيديو البرنامج المسجل على الشريط!"

ألم أقل لك؟"

وفي الفراش مساء، قد يؤدي العبث بجهاز التحكم عن بُعد الى اطلاق شرارة كارثة. يهرع المتهورون حفاة الى كتيب التعليمات لمراجعة الشروح: "حدّد الرقم على مؤشر الأرقام (من ١ الى ٩٩) خلال عشر ثوان مستخدماً الزر المرقّم." فما النتيجة التي تتوقعها؟ انفجار الصمامات الكهربائية (الفيوز) وانقطاع التيار!

كيف تعمل هذه الأجهزة؟ كيف تصل الهاتف بجهاز الاجابة الآلية المسجِّلة الذي يعمل بالتحكم عن بعد؟ كيف تلغي وصله؟ كيف تعمل عصّارة الكيوي الرائعة تلك؟ يا الهي! وكيف نشغل كاميرا الفيديو الجديدة؟

أمامك عشرة أيام للانتقاء من بين خيارات أحلاها مرّ: أتبدل مكبرات الصوت في المسجلة ام تبدل الجهاز كلّه أم تبدل شقتك؟

وفي مواجهة ٢٣ برنامجا في الغسالة الآلية، تتهرب أمهاتنا من مواجهة الواقع. تقول احداهن: "انني أستخدم البرنامجين الأول والثاني، ولا أمس البرامج الأخرى. فأنا لا أعرف شيئاً عنها، ولا أريد أن أعرف."

أعرف زوجين أنفقا بلا حساب في العام ١٩٨٠ لشراء أفضل غسالة آلية، ملكة بنات جنسها. ولكن بعدما استعانا بست خادمات وباثني عشر خبيراً في تشغيل الغسالات، وبعد إغراق المنزل غير مرة بالماء والصابون، رفعا العلم الأبيض مستسلمين. وتقول الزوجة: "إننا نستخدمها الآن كقطعة أثاث."

هذان الزوجان ينتميان الى فئة من الناس أقرّت بالهزيمة وبقصورها عن فهم هذه الاختراعات.

ثم، هناك الراضون بالحد الأدنى، وهم الفئة الاكثر عدداً. يعرف الواحد منهم حدوده فيتفادى مشاكل فونوغراف الاسطوانات المدمّجة (كومباكت ديسك). فهل سبق له أن سمع بالتسجيل المبرمج على الكمبيوتر؟ تطرف عيناه دهشة. ماذا عن الدارات الكهربائية المتوازية لتحويل القطاعات؟ كأن هذا الكلام ينزل عليه من الفضاء الخارجي! وقد شلّ معظم الأزرار الغامضة بواسطة شريط لاصق، فارتاح. حدِّثه عن برمجة موازنته أو مصاريف زوجته فيُغمى عليه. وماذا عن جهازه الـ"مينيتل فيديوتكس"؟[٦] انه رائع للحصول على عنوان. هذا كل شيء... نقطة على السطر! وهو مستعد للموت قبل أن يستخدمه لحجز مقعدين في القطار السريع.

بكلام آخر، يستخدم هؤلاء الناس ١٠ في المئة – حسناً، ١٥ في المئة – من أداء جهاز دفعوا ثمنه كاملا.

العيّنة الأخيرة: المهووس. شخص يريد أن يفهم. وهو مستعدّ للتضحية بصحته وصحة كل من حوله لهذه الغاية. إنه، لنُسمِّ الاشياء بأسمائها، شخص مخبول.

سوف أعرض في هذا السياق لآخر إنجازات العقل البشري: المغاسل الجديدة التي استُخدمت للمرة الاولى في حمامات مطار أورلي. أين الحنفيات؟ لا حنفيات. الأزرار؟ عمَّ تتكلم! حسناً، الدواسات؟ جرّب ثانية!

وتنظر حولك باحثا عن عدسات تصوير لاعتقادك أنك وقعت في فخ "الكاميرا الخفية." لا كاميرات! عندئذٍ يهزّ الراضي بالحد الادنى رأسه ويخرج محبط العزيمة. أما المهووس فيثابر. يأخذ وقته. يتلمّس الابتكار. يتراجع الى الوراء. يعود الى المغسلة. يتردّد. يفكّر. وأخيراً، وجدتها! خلية كهرضوئية[٧] داخل فوهة الانبوب تفتح مجرى الماء.

يتّقد صاحبنا زهواً، وتضيء وجهه ابتسامة تواضع. إنه الذكي الأريب. وقد فاته موعد إقلاع الطائرة!

إيف ستافريدس ■

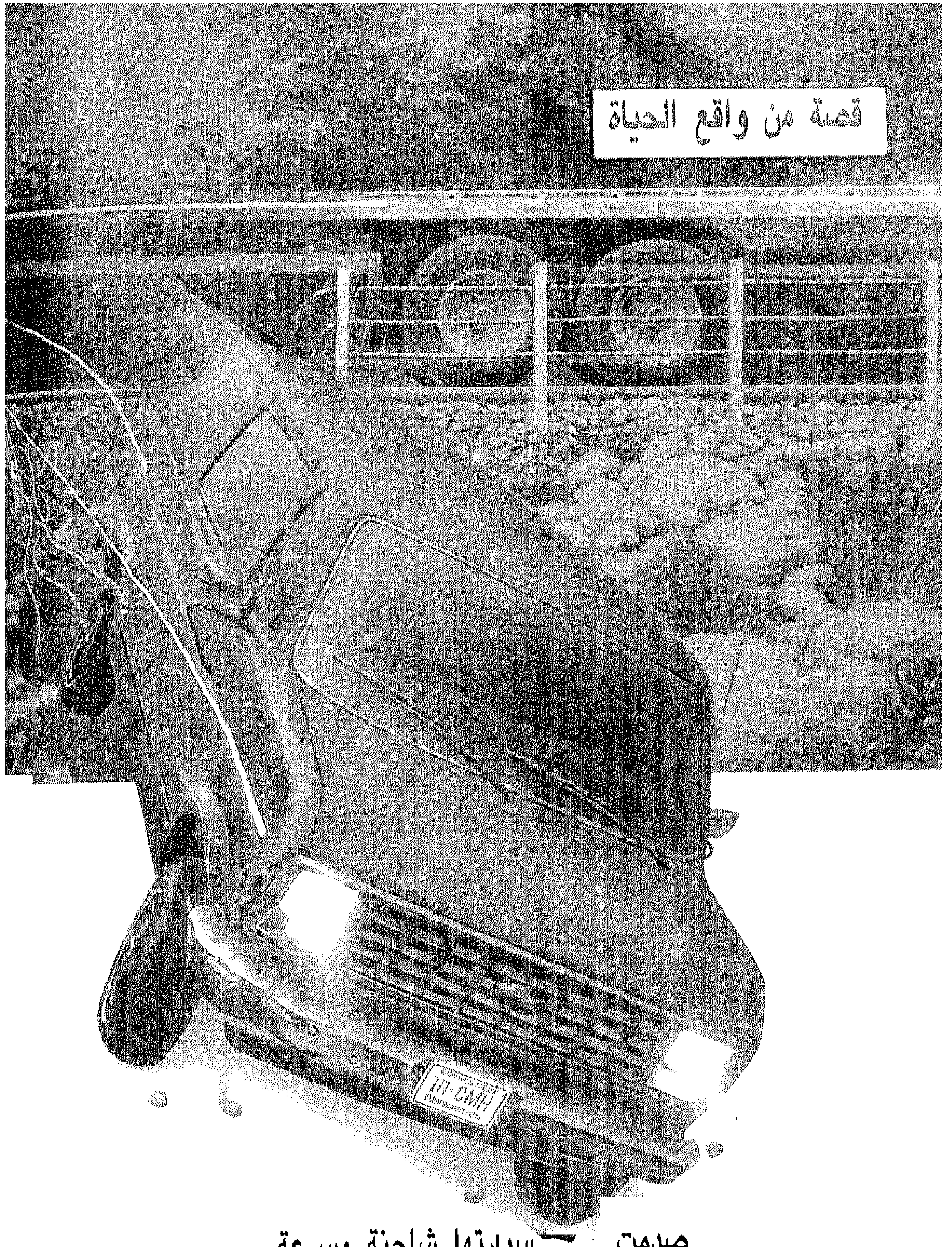
(٦) Minitel videotex
(٧) Photoelectric cell

أجمل فتاة

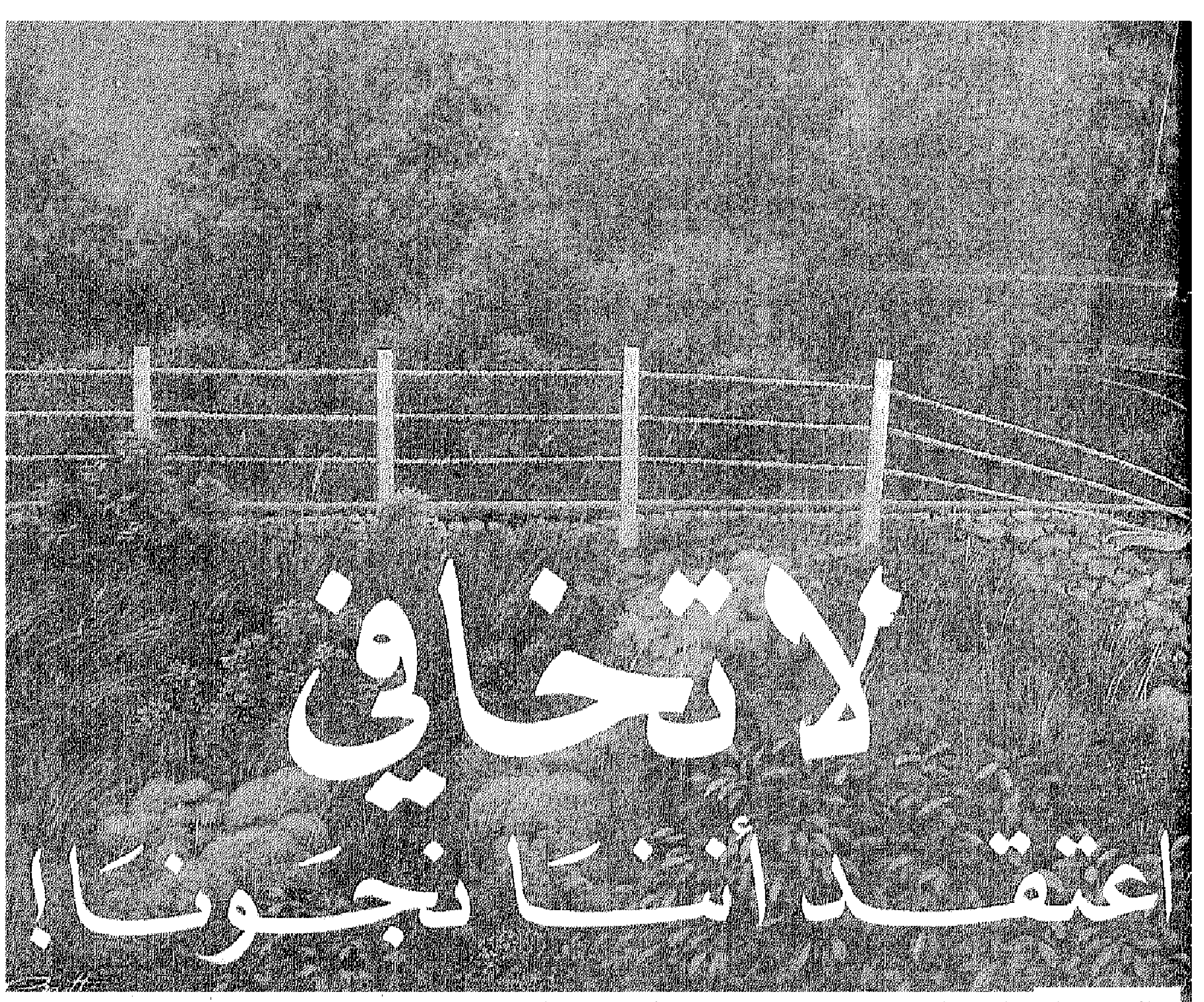
كنت أعدّ لحفلة غنائية في أحد دور العجزة. فهرع عدد منهم للترحيب بي، وخصني أحدهم باهتمام مميز وقادني الى قاعة النشاطات، ثم قال لي ونحن نسير في أحد الممرات. "انني سعيد حقاً لانك أتيت. انك أجمل فتاة مرت بنا في هذا المكان منذ زمان طويل." فشعرت بحرارة وزهو.

وقبيل بدء العرض رحت أوزع نصوص الاغاني على الحضور. واقتربت من المعجب بي لاعطيه نسخة، لكن جاره نصحني قائلا: "لا لزوم لذلك، انه أعمى."

ل ل.



صدمت سيارتها شاحنة مسرعة
فانقلبت الى الوادي حيث لا يمكن أن يراها أي سائق عابر



لاتخافي اعتقد أننا نجونا!

انطلقت ليندا مايرز في الطريق الرئيسية المؤدية إلى كونتيكت. كانت عائدة إلى منزلها بعد نزهة مع أصدقاء في ١٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٩١. وفي الثانية بعد منتصف الليل أوقفت سيارتها الكبيرة المقفلة (ڤان) كي تتصل بخطيبها دونالد غور بواسطة هاتف السيارة لتعلمه أنها في طريق العودة.

ليندا في الاربعين من عمرها، وتعاني قصوراً يعجزها عن استخدام الهاتف في أثناء القيادة. فهي مصابة منذ طفولتها بسوء التغذية العضلي* وهذا مرض يضعف عضلات الجسم تدريجاً، لذا كان يتعين عليها أن تستجمع قوتها وتركيزها لتتناول الهاتف من موضعه تحت المقعد بجانبها. لكنها لم تكن تدع عجزها الجسدي يحول دون استمتاعها بالحياة.

قالت ليندا لكلبتها هوني التي كانت هاجعة ناعسة على المقعد بقربها: "سنصل الى البيت خلال خمس عشرة دقيقة." ثم أدارت جهاز الراديو وانطلقت في الطريق الرئيسية.

فجأة لمعت أضواء ساطعة في المرآة الجانبية، ودنت من مؤخر سيارة ليندا شاحنة كبيرة مسرعة تجرّ قطيرة مكشوفة. وعندما حاول السائق أن يتجاوز ليندا اصطدمت قطيرته بجانب سيارتها

(*) Muscular dystrophy

ILLUSTRATION: TRACY BRITT

دافعةً إيّاها نحو حاجز السلامة على جانب الطريق، فارتطمت به واخترقته. فصاحت ليندا: "هوني، إننا هالكتان،" فيما سيارتها تنزلق على المنحدر وتنقلب.

كانت ليندا أغفلت ربط حزام الأمان، فقُذِفت من مقعدها كأنها دمية من قماش. واصطدمت بالفاصل بين المقعدين، فشعرت بألم حاد في أسفل بطنها. ثم ضرب رأسها الزجاج الأمامي فحطمه وفقدت هي وعيها.

حين أفاقت كان العالم حولها غريباً يخيم عليه سكون مطبق. السيارة مستقرة على جنبها الايمن، وهي جالسة على النافذة اليمنى، والكلبة في حضنها تحدق اليها بعينين واسعتين، وإلى يسارها المقعد الجانبي الذي اقتُلع من مكانه. وقد علق كرسيها الكهربائي المدوْلب بين المقعد المقتلع وأرض السيارة التي أصبحت في وضع عمودي. كانت أنوار مصابيحها الامامية ضعيفة، ولاحت أمام ليندا مساحة كثيفة من الاشجار. وأشارت ساعة السيارة الى الثانية والثلث.

وكان غطاء فتحة السقف انزلق قليلاً، فتسرّب منها هواء قارس جعل ليندا ترتجف. ذلك لأنها لم تكن ترتدي سوى سترة خفيفة وقميص صيفي وسروال من القطن.

شعرت ليندا كأنها تلقّت ضربة عصا. تحسست جنبها لتحدد موضع الألم الذي كان ينخر أضلاعها. وفكرت: "هناك كسر." وأرعبتها الفكرة. كان فتات زجاج عالقا في شعرها.

"أين نحن؟" حاولت استرجاع ما حدث، فتذكرت أنها انحرفت عن الطريق الرئيسية بعد مرورها بالمفترق الرقم ١٠ جنوب شرق مدينة هارتفورد. كانت تسمع هدير سيارة عابرة من وقت الى آخر، ولكن لم تكن لديها فكرة عن مدى بعدها عن الطريق الرئيسية.

ثم تذكرت الشاحنة والقطيرة المكشوفة وفكّرت: "لا بد أن السائق أدرك أنه صدمني. ولا بد أن يتوقف أو يتصل بالشرطة على الأقل." ولكن مع تقدم الوقت لم تعد ليندا تسمع سوى موسيقى خافتة منبعثة من الراديو وأزيز صراري الليل وخرير مياه منسابة على مقربة منها.

عندما يطلع الفجر. تذكرت ليندا هاتف السيارة. فوجدته عالقاً تحت دوّاستي الوقود والكابح فوق رأسها. سندت يدها اليمنى الضعيفة بيدها اليسرى والتقطت سماعة الهاتف ثم طلبت الرقم ٩١١. الخط مشغول. وهذا مستغرب. فقد سبق أن عملت في قسم الاتصالات في دائرة الشرطة، وكانت تعلم أن خطوط الطوارىء لا يجوز أن تكون مشغولة. فاتصلت بخطيبها لتجد خطه أيضاً مشغولا.

والواقع أن ليندا أصبحت خارج مدى التقاط هوائيّ هاتفها. عندئذ لجأت إلى وسيلة أخرى. فقد كان دونالد ركّب في سيارتها جهازاً لاسلكياً مدنياً. أدارته، وكان مضبوطا على الموجة ١٩ التي

PHOTO: © RICK TANGO

يستعملها سائقو الشاحنات. لم تسمع سوى أصوات متداخلة ومشوّشة. فنادت عبر الجهاز: "هنا واحد تسعة. إنني في وضع عشرة، ثلاثة وثلاثين." وهذا رمز حالة طارئة.

لم يبدُ أن أحداً سمع نداءها. فكرّرت: "هنا واحد تسعة..." ردّدتها ثلاث مرات ولم تلق جواباً. بعد ذلك تلاشت أنوار مصابيح سيارتها الأمامية وانقطع الاتصال بالجهاز. لقد فرغت بطارية السيارة، ففقد الهاتف والجهاز اللاسلكي مصدر طاقتهما.

اجتاحت ليندا موجة من اليأس. لكنها صممت على المقاومة، فهي كانت دائماً ممن يتقنون صراع البقاء. وكان الأطباء قدروا أنها لن تعيش أكثر من ستة عشر عاماً، وها هي الآن أكبر من ذلك كثيراً. وقد سعت دائماً الى أن تكون حياتها مليئة بالنشاط والامل والاصدقاء.

قالت في نفسها: "عندما يطلع الفجر، لا بدّ أن يشاهدنا أحدهم."

شدّت عزيمتها لتتحرر من جلستها المزعجة على النافذة. لكنها لم تقوَ على الحراك سنتيمتراً واحداً. فقد جعلها المرض حساسة للبرد. فنشدت الدفء لدى كلبتها هوني. ولكن ما إن حنت جسدها لتحتضن الكلبة حتى شعرت بألم يطعن قفصها الصدري. فأخذت تدعو بصوت مرتفع: "يا رب، دع أحدهم يعثر علي." ثم شرعت تغني لتطرد عنها الذعر. وهي ظلت بين صلاة وغناء حتى لاحت لها خيوط الفجر الأولى من بين الاشجار.

فكّرت: "قريباً تنشط حركة السير. أيعقل الا يرانا أحد؟"

قواعد الكهرباء. عندما انبلج نور الصباح أدركت ليندا أن أي حملة انقاذ لن تحصل ما لم تطلبها هي. فعقدت العزم في قرارة نفسها: "عليّ أن أجد سبيلا للخلاص من هنا، الآن!"

ونظرت مجدداً إلى الهاتف وجهاز اللاسلكي. "كل هذه التجهيزات وما من طاقة لتشغيلها!"

ثم تذكرت بطاريتين بقوة ١٢ فولتاً في علبة بلاستيكية تحت مقعد كرسيها الكهربائي. لم تكن ليندا تعرف شيئاً عن التوصيل الكهربائي، لكنها تصوّرت أن المطلوب لتشغيل أي أداة كهربائية هو وصل صحيح بمصدر الطاقة.

فسحبت سكيناً صغيرة من علاقة مفاتيحها، وانتزعت سلك الهاتف الذي كان مثبتاً في موضع ولاعة السجائر في السيارة. وبعدما قطعت منه القابس قشرت الغلاف البلاستيكي عن طرفي السلكين النحاسيين. لكنها كانت تحتاج إلى شريط لوصلهما بالبطاريتين.

مدّت ذراعها إلى أبعد مسافة ممكنة، وقصّت قطعة طولها ٦٠ سنتيمتراً من السلك الذي يصل جهاز اللاسلكي بمذياعه خلف مقعد السائق. ثم فصلت هذا السلك المزدوج خطين ووصلتهما بسلكَي الهاتف. وراحت تبحث عن علبة البطاريات. لقد سقطت من مكانها في الكرسي وعلقت بين ظهر الكرسي

ودواليبه. وكانت العلبة محكمة الاغلاق بواسطة شريط نايلون.

حنت ليندا جسمها بصعوبة وألم وأدخلت سكينها بين قضبان دولاب محاولة قطع الشريط. استغرقت العملية عشرين دقيقة. وحين انقطع الشريط نزعت الغطاء، فبانت لها البطاريتان. عندئذ استقامت في جلستها لتريح ساعدها وأضلاعها وهي تتمتم: "لم أعد أحتمل." كان الألم والظمأ يعذّبانها. لكنها أمرت نفسها: "هيا، تابعي العمل، فقد شارفت الانتهاء."

ثم انحنت ثانية ووصلت طرف أحد السلكين بأحد قطبي بطارية وثبتته. غير أنها لم تفلح في تثبيت السلك الثاني، فاضطرت الى البقاء ممسكة به بيدها اليسرى. ثم رفعت سمّاعة الهاتف الى أذنها بيدها اليمنى. لكنها لم تسمع هسيس حرارة. فحررت السلكين وعكست وصلهما وابتسمت حين سمعت هسيساً ضعيفاً في السماعة. فقالت لكلبتها هوني باعتزاز: "سوف ننجح."

ولكن عندما طلبت أرقاماً مختلفة لم تسمع سوى "توت توت" لخطوط مشغولة. فتملّكها الرعب، وعادت إلى الجهاز اللاسلكي قائلة: "إنه أملي الأخير!" وفي دقائق وصلته بالبطارية فبدأ يعمل. حينئذ أطلقت نداء استغاثة جديداً، فأتاها صوت رجل: "تابعي!"

فتابعت: "هنا ليندا. أحتاج إلى مساعدة. لقد انحرفت سيارتي عن الطريق الرئيسية. أنا الآن عالقة في



ليندا مايرز وكلبتها هوني.

أسفل الغابة على مقربة من المفترق الرقم ١٠. أنا وكلبتي مصابتان إصابات بالغة. الرجاء إحضار سيارة إسعاف. سنموت هنا."

وقبل أن يطفىء الرجل جهازه اللاسلكي سمعته ليندا يقول: "أشك في أمرها."

فقالت في سرّها: "انه لم يصدقني."

فأحياناً يُطلق أشخاص نداءات استغاثة كاذبة عبر الجهاز اللاسلكي فيستدرجون السائقين إلى منطقة منعزلة حيث يسلبونهم. لقد استمع إلى نداءات استغاثتها ستة سائقين من دون أن تلقى تجاوباً. ثم عاد إليها الأمل عندما سمعت الردّ السابع من امرأة. فنادتها متوسّلة: "إنني في حاجة إلى مساعدة. أنا أعاني ضعفاً في العضلات. وقد صُدِمت سيارتي الليلة الماضية وانحرفت عن الطريق الرئيسية. إني مصابة. أرجوكِ،

ساعديني." وبعدما أنهت كلامها سمعت المرأة تقول لشخص قربها: "تبدو تلك الفتاة كأنها حقاً في ورطة." لكنها، هي أيضاً، قطعت الاتصال.

فصاحت ليندا محاولة حبس دموعها: "لا يمكنني أن أصدّق ما يحدث." لقد سمع عدة أشخاص نداءاتها وظنوا أنها تكذب.

"هل أنتِ بخير؟" كان أرني باراديس البالغ من العمر ٣٦ عاماً ينقل في شاحنته الضخمة حمولة من خردة الفولاذ، من هارتفورد إلى بروفيدانس. هو أيضاً سمع نداءات ليندا بشيء من الريبة ظاناً أنها من قبيل المزاح أو من صنع شخص أرعن. لكنه أطرق لبرهة، فبدت له المرأة يائسة حقاً، كأنها تحاول حبس دموعها.

أوقف باراديس شاحنته وعاد بها قليلاً إلى الوراء. فلاحظ أن جزءاً من حاجز السلامة على جانب الطريق قد تحطّم. فنظر إلى قعر الوادي ولم ير سوى أشجار وصخور. ثم نزل مسافة ٢٠٠ متر فلمح شيئاً يلمع في عمق الهوة وسط الأشجار. فتساءل: "ما هذا هناك؟"

عندما توقف باراديس عن التكلم مع ليندا عبر الجهاز، أفلتت هي السلك من يدها ظناً منها أنه سائق آخر يتخلى عنها. ثم سمعت صوت رجل يناديها من مكان ما: "يا سيّدة، هل أنتِ بخير؟"

شعرت ليندا بالسيارة تهتز. وانفتح باب السائق فوق رأسها، فرأت رجلاً ذا شاربين يعتمر قبعة رياضية ويضع نظارات شمسية. خاطبها مطمئناً: "سيكون كل شيء على ما يرام."

فهمست لكلبتها غير مصدقة: "أعتقد أننا نجونا."

بعد دقائق وصلت سيارة شرطة وسيارة اسعاف. واستغرقت عملية اخراج ليندا من سيارتها ورفعها الى أعلى المنحدر نحو ساعتين. ثم أقلّتها طوافة الى مستشفى في هارتفورد.

وعندما حضر خطيبها وجدها ممدَّدة على نقّالة في غرفة الطوارىء وقد وُضع طوق حول رقبتها. أما وجهها فكان أصفر شاحباً كبشرة ميتة، وقد تخدشت يداها وغطت الرضوض جسدها. ولمّا التقت عيونهما أجهشت ليندا بالبكاء، فحاول دونالد تهدئتها قائلاً: "لا تتكلمي." ثم انحنى وعانقها طويلاً.

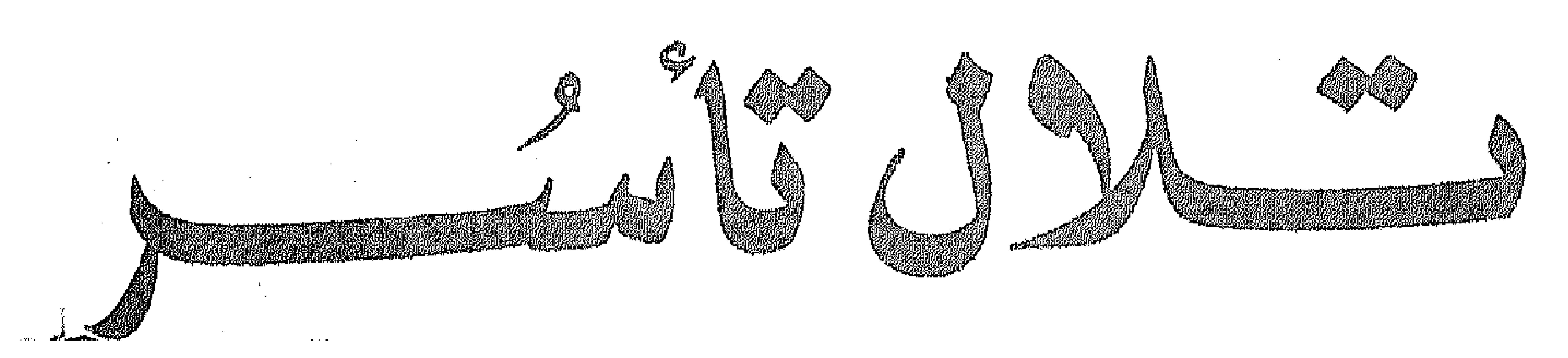
طالت معاناة ليندا بضعة أسابيع. كانت احدى أضلاعها مكسورة، وقد أصيبت بالتهاب في أذنيها ومثانتها نتيجة تعرضها للبرد.

في نهاية أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩١ أبدلت ليندا سيارتها بتبرعات قدّمها اليها أشخاص سمعوا بمعاناتها. وهي الآن تدخر المال لتبتاع كرسياً كهربائياً متطوراً للمقعدين يبلغ ثمنه عشرة آلاف دولار.

ولم تتمكن الشرطة من تحديد هوية سائق الشاحنة الذي صدم ليندا.

ماري موراي ■

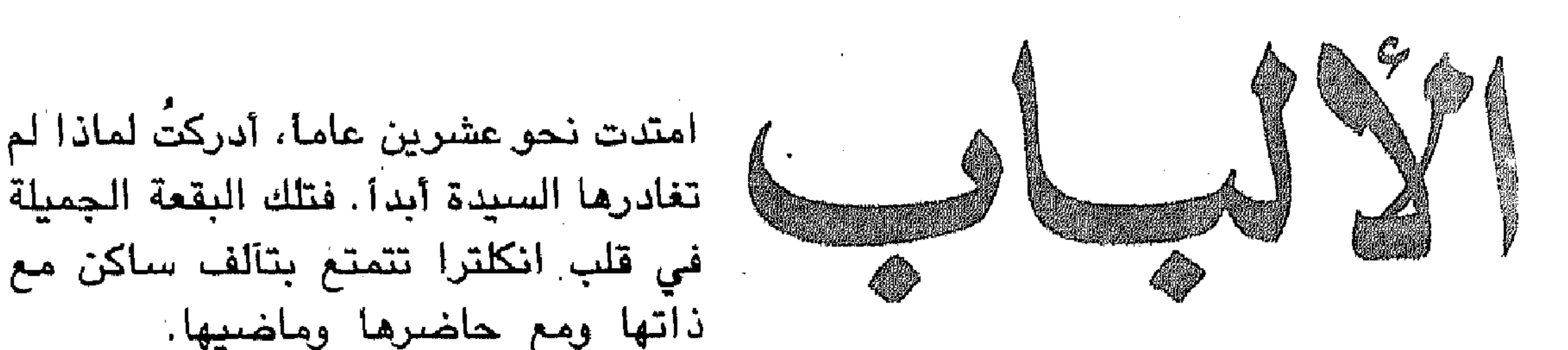
ترجمة د. نجوى نصر

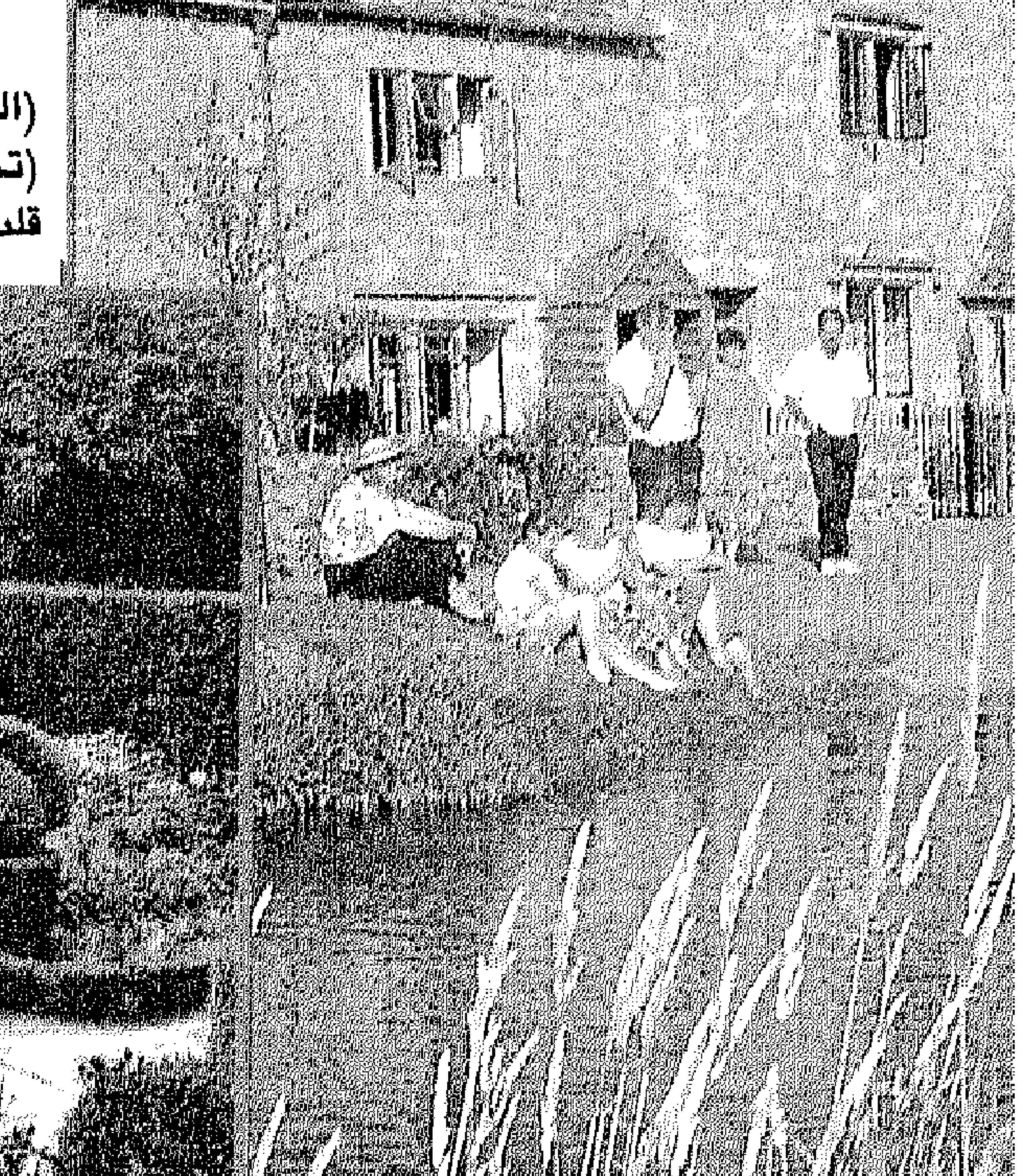


تلال تأسر

مناظر خلابة في قلب بريطانيا حيث قلاع تاريخية وقصور وأناس طيبون

لم أعرف أبداً اسم تلك السيدة. كانت تعمل في فندق صغير مشيّد بحجر الكوتسوالد العسلي ويقع في واد أخضر خصب تعبره مياه نهر الكولن الصافية. كانت في منتصف الاربعينات من عمرها، وأخبزتني أنها لم تبتعد في حياتها عن





تلك القرية حيث ولدت، بل إنها لم تشعر قط برغبة في ذلك.

بدا هذا الامر غير معقول بالنسبة الى زائر ضجر مثلي لا يعرف الهدوء والاستقرار. ولكن بعدما اكتشفتُ معالم المنطقة الريفية على فترات متقطعة امتدت نحو عشرين عاماً، أدركتُ لماذا لم تغادرها السيدة أبداً. فتلك البقعة الجميلة في قلب انكلترا تتمتع بتآلف ساكن مع ذاتها ومع حاضرها وماضيها.

تكوّنت تلك المنطقة في عصور غابرة بفعل زلازل عنيفة رفعت قاع بحر قديم وحولته جرفاً ضخماً من الكلس. وتترامى تلال كوتسوالد[1] على مسافة مئة كيلومتر في محاذاة غلوسترشاير، ثم تنبسط في أربع مقاطعات انكليزية أخرى. لقد أسبغ الحجر الكلسي الأوليتي[2] على هذه التلال طابعاً مميزاً. فالطبقة الصخرية السفلى شكّلت وهاداً واسعة مقفرة وتلالاً محدودبة متموّجة تختبىء على سفوحها

(الى اليمين) سكينة رعوية في قرية سلوتر.
(تحت) حديقة هيدكوت الريفية في غلوسترشاير قلب منطقة كوتسوالد.

© WOODMANSTERNE

(١) Cotswold hills
(٢) Oolitic Limestone

قرى لم يطرأ على بعضها غير قليل من التغيير منذ العصور الوسطى. غياض من شجر الدردار والسنديان والدلب تنتشر في تلك الاراضي. وعلى مشارف التلال القديمة صفوف من شجر الزان تذكر بجحافل الرومان التي اجتاحت انكلترا سنة ٤٣ ميلادية. وقد نبتت في الحقول أزهار برّية من كل الانواع.

"أسود كوتسوالد." الكوتسوالد الكلسي حجر مثالي للبناء. فهو متوافر في طبقة ضحلة قريبة من سطح الأرض، ليّن وسهل الاستعمال، لكنه يصبح صلبا لدى تعرّضه لتغيرات الطقس كما ثبت على مرّ العصور. وقد تركت أجيال من البنائين بصماتها فوق تلك الأراضي. فهناك القلاع التي تعود إلى العصر الحجري الحديث،[٣] والدارات الرومانية الفخمة، وكنائس القرون الوسطى، وكليات أوكسفورد، وأكواخ الرعاة وحظائر الماشية، وكلها بُنيَت بالحجر ذاته. ويبدو أن لون هذا الحجر يتغيّر بفعل تغيرات الضوء وتقلبات الأحوال الجوّية، متفاوتا بين الذهبي والعسلي والأصفر الشاحب والأصفر النقي والأصفر البرتقالي والبني الرملي والرمادي الضبابي. السطوح كلها من بلاط مشطور. وعلى مر السنين تكونت فوق البلاط طبقة من الطحلب الذهبي الذي يتلألأ تحت أشعة الشمس فيبدو كالبلّور.

لفظة "كوتسوالد" مشتقة من كلمتين أنكلو – سكسونيتين هما "كوت" بمعنى جظيرة من القصب لحفظ الأغنام في الشتاء و"والد" بمعنى تلال فسيحة متموّجة. فالكلمة اذاً تعني "تلال حظائر الأغنام."

عرفت المنطقة ذروة ازدهارها في القرون الوسطى. حينذاك أثرى تجار الصوف المحليون من خلال التجارة بجلود أغنام ضخمة كانت تسمى "أسود كوتسوالد" وهي متحدرة من أغنام "لونغ وول" (الطويلة الصوف) التي جلبها الرومان بغية تأمين الألبسة الدافئة لجنودهم خلال فصل الشتاء القارس في بريطانيا. وما زالت الاغنام ترعى في هذه التلال، لكنها من نسل جديد يربى للحمه القليل الدهن لا لصوفه. غير أن "أسود كوتسوالد" تركت بصماتها في المنطقة إلى الأبد. فمن صوفها جنى اقطاعيو القرون الوسطى ثرواتهم الطائلة وبنوا القصور الفخمة و"كنائس الصوف" بالحجر الذهبي العسلي.

التاريخ في حجر. في أعالي تلة كريكلي ينقّب علماء الآثار عن بقايا قرية محصّنة تعود إلى العصر الحجري الحديث. عند المدخل ممرات متشابكة وأسوار عالية من الحجر والتراب. هنا عُثر على مئات من رؤوس السهام والمقاليع (النقافات) المنحوتة من حجار صوان. وهي شواهد على المعارك الرهيبة التي جرت في تلك القرية. واذ هبت ريح على التلة تهيّأ لي أنني أسمع صرخات

(٣) Neolithic Period

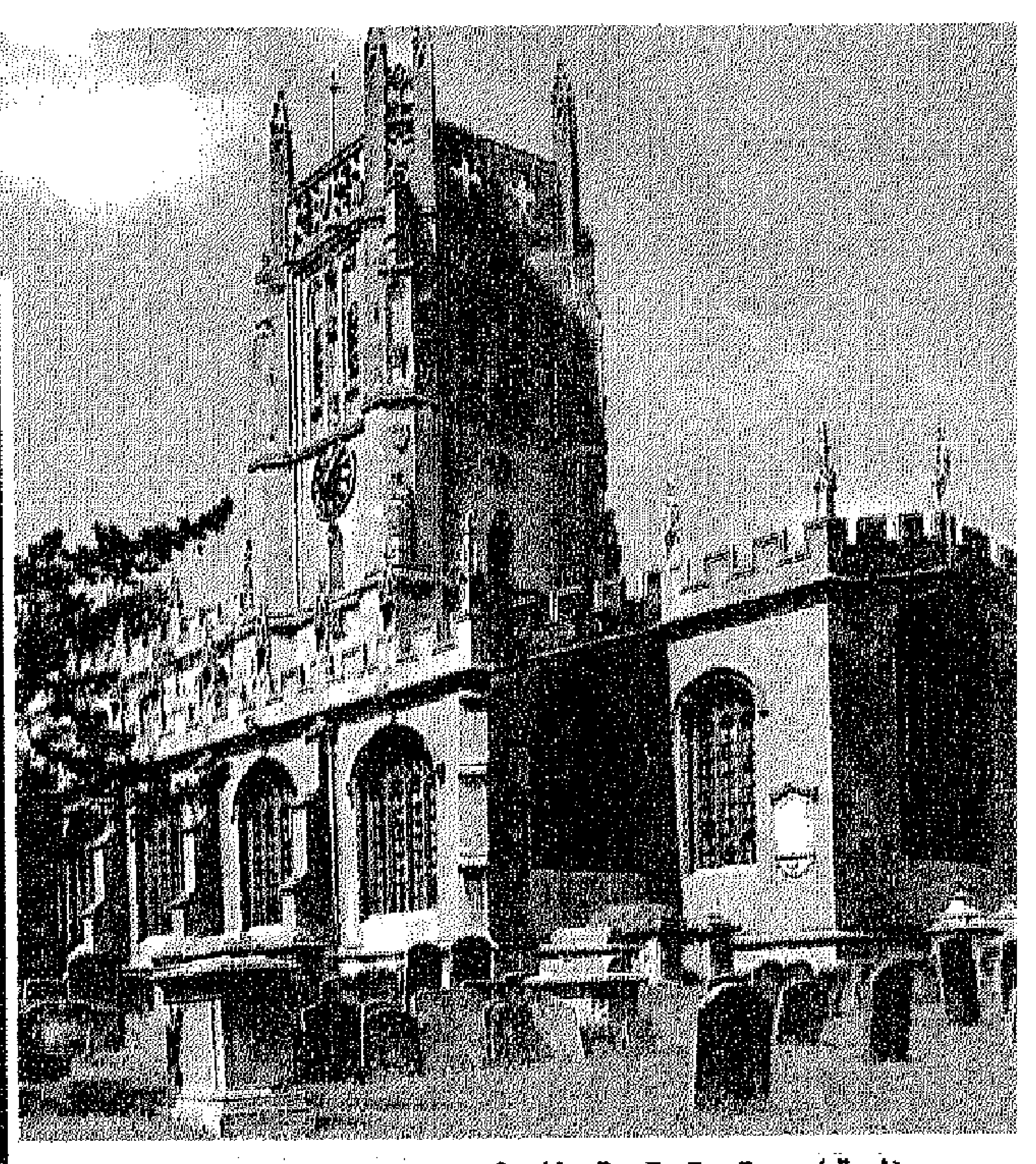
المحاربين المروّعة ونشيج الاولاد المتعلّقين بأهداب أمهاتهم في تلك المنازل الركيكة وهم يتعرضون لهجمات الغزاة المسلّحين بالأقواس القوية الذين اجتاحوا القرية وأضرموا فيها النار.

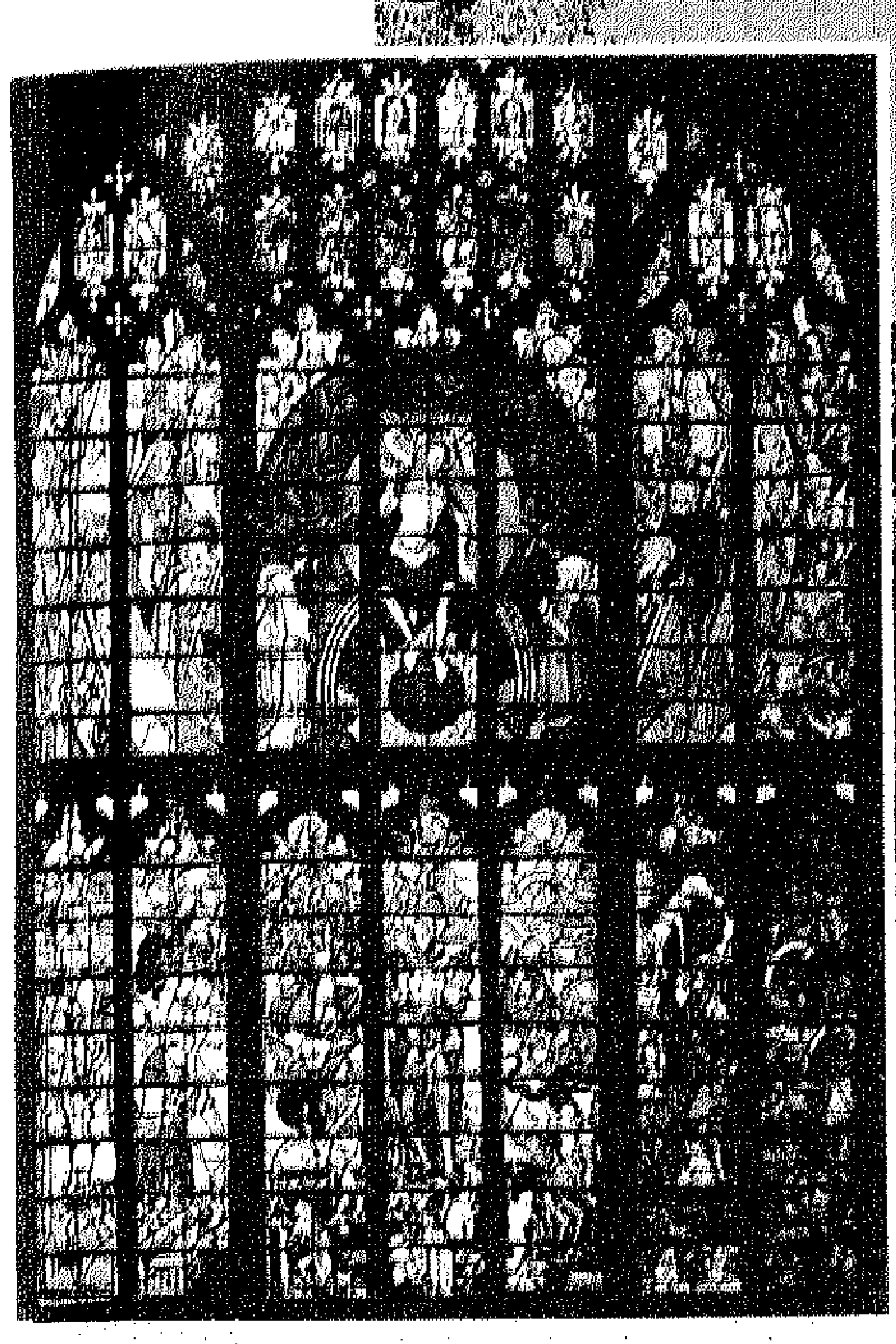
أما في قرية شيدوورث المجاورة فالآثار تذكّر بأشياء مفرحة. إنها أطلال قصر روماني بُني في منطقة حرجية رائعة. لقد عاش الرومان حياة مرفّهة. فكانوا يتّقون برد الشتاء بنظام تدفئة متطور أنشأوه تحت أرض الصرح لتوليد هواء ساخن. وكانت هناك غرف واسعة تحتوي على حمّامات تركية وحمّامات بخارية حيث يتصبب المستحمون عرقا قبل أن يغطسوا في مياه باردة. وهناك أيضا هيكل لحوريات الماء ونافورة تغذّيها مياه ينبوع. كما يضم القصر غرفة طعام فسيحة أرضها من الفسيفساء الغنية بالرسوم. أنصتوا، فلعلكم تسمعون أنغام المزامير والقيثارات.

فضلى الطرق للتعرف الى تلال كوتسوالد هي التجوال فيها على الأقدام. فهناك أكثر من ٢٥٠٠ كيلومتر من دروب الخيل وممرات المشاة المتشابكة التي ما زالت آثارها واضحة ("... إتبع الجدول حتى السنديانة التي ضربتها الصاعقة، حاذر الثور، وانحرف عبر المرعى حتى تصل الى بوابة القُبَل...") وللمتسلّق الشجاع هناك ١٥٠ كيلومترا في "طريق كوتسوالد" تقوده شمالاً من بلدة باث الرومانية والجورجية الرائعة على الجرف الى أعلى نقطة هناك، وهي قمة تلة كليف التي تعلو ٣٣٠ متراً، وتنتهي الى قاعة السوق اليعقوبية في تشيبينغ كامدن، بلدة تجارة الصوف القديمة وشعارها "التاريخ في حجر."

أما المتسلقون الذين لم تنقطع أنفاسهم فقد يتمكنون من الوصول إلى مقربة من تلة دوفر والاشتراك في "ألعاب كوتسوالد الاولمبية" الفريدة التي أسسها روبرت دوفر والتي تجرى في أسبوع العنصرة. بدأ هذا التقليد قرابة العام ١٦٠٠ ويتضمن المصارعة ورمي الرماح والمبارزة بالنبابيت والمبارزة بالركل حيث ينتعل المتنافسون أحذية ذات رؤوس معدنية حادة. وإذا استهجن الزائر مبارزة الركل هذه فما عليه سوى التوجه إلى تلة كوبر ومشاهدة احدى المباريات هناك حيث يدحْرَج قالبا جبن عملاقان، ويخاطر مواطنون أقوياء بحياتهم وبأطرافهم في محاولات يائسة لوقفهما. ويظل رجال الأسعاف متأهبين خلال هذه التسلية الشهيرة.

لقاءات مثيرة. أحب أن أتمشى في الممرات الخلفية كلما وددت مشاهدة الطبيعة الخلاّبة لتلال كوتسوالد في أبهى مناظرها. وأفضل أحياناً أن استكشف معالمها بالسيارة، فهي حافلة بالمفاجآت. ذات مرة، بينما كنت أقود سيارتي في ممر جميل قرب حديقة كولزبورن العامة، وجدت الطريق مسدودة بسرب من الحجال يضم مئات من هذه الطيور. لم أكن في عجلة من أمري، ولا هي كذلك





(فوق) مقبرة قرية فايرفورد.
(الى اليسار) رسوم ملونة على زجاج نافذة.

حسبما بدا لي. فتوقفنا ورحنا نتأمل بعضنا بعضاً بدهشة الى أن توصلنا أخيراً إلى افتراق ودّي. ومرة أخرى شاهدت ثعلباً يخرج من خلف سياج شجري وقد أطبق فكّيه على فريسة صغيرة. وفاجأتُ كثيراً من الأرانب البرية التي كانت تقفز مذعورة عبر الحقول.

وخلال بحثي عن طريق خلفية قرب قرية كينتون الصغيرة، وصلت إلى مفترقٍ طرق حيث وجدت الى اليمين لافتة تحذِّر: "غير صالحة للسيّارات." فانعطفت يساراً نزولا في تلةٍ حرجية شديدة الانحدار. وكلما توغلتُ ضاقت الطريق وازدادت وعورة. وعند منعطف حاد بان لي نهر ويندراش عابراً الطريق. كانت تلك الوهاد الحرجية ساحرة هادئة تتسلل اليها خيوط الشمس من بين الاشجار.

قادتني الطرق الريفية إلى قرى كثيرة رائعة، منها قرية مايزردن المعروفة بمقهاها "ساعدا النجار."[٤] وقد أقيم موقف للسيارات حول شجرة جمّيز ضخمة على قارعة الطريق. وفي المتنزه الجميل الذي "يرحب بالمشاة الحذرين" شاهدت ستة جياد أصيلة تتدافع عبر المنحدرات.

وقادني معبر موحش آخر يطوِّق غابة هامبلبي إلى أحد أجمل المناظر الطبيعية في كوتسوالد. في ذلك الموقع تنتشر

(٤) The Carpenter's Pub

PHOTOS: WOODMANSTERNE

الحظائر فوق التلال المكلّلة بالغابات وتتداخل كتموّجات الحرير. رأيت أغناما ترعى في المروج الخضر، وحقلاً محروثة تلمع تحت أشعة الشمس، والريح تتلاعب على هواها بحقل ذرة. المكان هادىء، لكنه غير صامت. فالجو حيّ بتغريد الطيور وثغاء الخراف وحفيف الشجر. وتفوح رائحة عشب مجزوز. كم هو سعيد مزارع هذه التلال!

في المنطقة العليا تنحسر الغابات قليلاً. وفي قعر الوادي تستكين قرية وينشكومب السكسونية القديمة وفيها قصر سدلي ذو الجدران الصفراء الشاحبة وسط الحدائق الغنّاء حيث ترقد كاترين بار الزوجة السادسة للملك هنري الثامن.

خطيفة فالنتاين. لكل سائح في منطقة كوتسوالد قرية مفضلة. وإحدى القرى المفضّلة لدي سنوزهيل المعزولة في المرتفعات التي كانت تكسوها الثلوج في الزمان الغابر. هنا مجموعة من الأكواخ القديمة، بحدائقها الجميلة المسوَّرة، متشبثة بسفوح التلال. وتحتها مروج خلابة وحقول ذرة وغياض تشرف على وادي أفون. وعلى مدخل القرية قصر رومنسي من عهد أسرة تيودور دخلته عام ١٦٠٤ فتاة تُدعى آن بارسونز خطفها حبيبها من قلعة إلملي ليتزوجها سراً في منتصف ليلة عيد فالنتاين (عيد العشاق).

وفي العام ١٩١٩ اشترى قصر سنوزهيل مهندس معماري وشاعر وجامع تحف غريب الأطوار يدعى تشارلز ويد أراد أن يؤوي فيه مجموعته المدهشة الغريبة ومنها ساعات ودراجات قديمة ونماذج سفن وخزائن صينية تحوي أدراجا سرّية وبيوت دمى وعصي ومزامير ومصابيح فينيسيَّة وستة وعشرون محاربا يابانيا مرعبا في لباس الساموراي.[٥] وغصَّ القصر بكنز ضمّ نحو ١٥ الف قطعة.

عام ١٩٥١ تزوج ويد بعد حياة عازبة طويلة. لكن زوجته الفتيّة لم تكن مفتونة بمحاربي الساموراي، فما كان من زوجها إلا أن وهب قصره ومجموعته للمؤسسة الوطنية[٦] التي فتحت أبواب القصر للعموم.

أما المكان المفضل من القصر بالنسبة الى ويد – وإليّ أنا أيضا – فكان تلك العلّية الملأى بالألعاب التي احتفظ بمعظمها منذ طفولته. وهو يقول في كتاباته إن السماء السابعة (كما كان يدعو العلية) هي "فقط للأطفال قبل دخولهم المدرسة وقبل أن يقضي معلموهم على أثمن الكنوز قاطبة: المخيّلة."

كلما استكشفت معالم تلال كوتسوالد زادت قناعتي بأنني لن أتعرّف أبداً إلى جميع كنوزها. وكلما دغدغتني تلك الأفكار وجدتني منجذبا عائداً اليها مرة تلو أخرى.

انها لعمري علاقة حب يائس.

تشارلز و. سميث ■

---

(٥) الساموراي محارب اريستوقراطي ياباني.

(٦) National Trust



كنوز في كل بيت

انتبهوا! لعل هذه الخردة التي ترمونها تساوي ثروة!

هُددت أرملة عجوز بالطرد من شقتها لعجزها عن شرائها. وفيما كانت جارتها تساعدها على حزم أمتعتها، عثرت على ٢٣ حصّالة نقود قديمة كان زوجها حفظها في خزانة. فزفّت اليها البشرى قائلة: "أظن أنك لم تعودي مرغمة على إخلاء الشقة." وكانت الجارة محقة في تقديرها إذ بيعت الحصّالات الى أحد هواة الجمع بثمن فاق حاجة الأرملة بألوف الدولارات.

هذه ليست قصة غريبة. والواقع أني ارتكبت في الماضي غلطة ساقتني لاحقاً الى تعاطي تجارة التحف القديمة. فقد اشتريت ذات يوم في مزاد ريفي أقيم في الاربعينات، ستة كراسي قديمة مصنوعة من خشب الماهوغاني الفاخر بمبلغ ١٢ دولاراً. صففتها على شرفة منزلي، واذ هممت بطلائها توقفت أمام البيت سيارة تقودها سيدة صاحت بي: "لا تلمسيها!" واشترتها مني بمئة دولار.

خرجتُ من هذه الصفقة مفعمة بالرضى، الى أن عرفت أن هذه الكراسي هي من صنع المصمم البريطاني الشهير

طوماس شيبندال وترقى الى القرن الثامن عشر، وأن السيدة باعتها لاحقاً بألف دولار. فأكببت عندئذ على دراسة التحف.

في قاموس التجار، تصنَّف هذه الكراسي وتلك الحصّالات في خانة البضاعة المهملة التي لا تعتبر ذات قيمة. ويمكن العثور عليها أينما كان: في علب المجوهرات، وفي العلّيات والاقبية، وفي أسواق الخردة والسلع المستعملة، وحتى في متاجر الأثريات. ولعلكم أنتم تملكون بعضاً منها في منازلكم. فابحثوا عن:

المجوهرات. يمكن العثور عليها في أماكن غير متوقعة. تأكدوا من أنكم تفحصتم جيداً علب الخياطة والأدراج بحثاً عن قلائد مكسورة وفردات أقراط. وعاينوا الملابس القديمة. فقد امتلكتُ مرة حجراً كريماً عثرت عليه مشكولا في فستان قديم اشتريته بربع دولار.

اشترى رجل خاتماً مرصّعاً بحجر برّاق نبشه من بين حلى زائفة بخسة الثمن في متجر للخردة ودفع ثمنه دولارين. لكنه عرف من أحد الصاغة لاحقاً أن الحجر البراق هو زمردة لا يقل ثمنها عن ٣٥٠٠ دولار. ولعل التاجر خُدع بذهب الخاتم غير المدموغ، فالذهب القديم لم يكن يُدمغ أحياناً، وربما زالت عنه الدمغة مع الوقت.

كانت علب المجوهرات التي اشتريتها كتاجرة تحتوي غالباً على لآلىء، وكنت أخالها مزيّفة، الى أن جاءتني سيدة بريطانية أرادت شراء كل ما لدي منها. فتعلمت أخيراً كيف أتعرف الى اللآلىء الحقيقية: كنت أفرك الحجر بأسناني، فان أحسسته مبرغلا كالرمل اشتبهت في ان يكون حقيقيا، مما يوجب فحصه بالأشعة السينية (اكس). وهكذا عاينت كل اللآلىء التي كانت في حوزتي، وتبين لي أن كثيراً منها كان أصليا.

الأثاث. أثمن القطع هي تلك المصنوعة يدويا. فابحثوا في أثاثكم عن أوتاد خشبية ومسامير مطروقة باليد ومفاصل غير سوية وقواعد صلبة للأدراج ومزيج من الأخشاب في قطعة واحدة.

لا تتوقعوا أن يلفت التاجر انتباهكم الى قيمة تحفكم. فعندما عرضت امرأة قطع أثاث على أحد التجار، اشترى منها للحال أربعة كراس دفع ثمنها ٤٧٥ دولاراً. وقد شاهدت المرأة كراسيها لاحقاً معروضة للبيع ومعرّفاً عنها بأنها "أربعة كراس من طراز لويس السادس عشر، ثمنها ٣٥٠٠ دولار."

شعرت المرأة بأنها ضحية عملية غش واحتيال، لكن الصفقة كانت شريفة فعلا، إذ قدم التاجر عرضه ووافقت هي عليه. كان عليها أن تستفهم منه عن نوع الكراسي والى أي سنة ترقى وما قيمتها، وأن تأخذ عندئذ بمشورة ثانية.

الكتب والمجلات. باعت امرأة مقتنيات أمها الراحلة في مزاد، وبينها مجموعات كتب باعت كل خمسين منها بدولارين أو ثلاثة دولارات. وبعد أشهر

علمت أن مكتبة أمها كانت تحتوي على مطبوعات نادرة بينها كتاب يضم رسوماً للفنان الاسباني بابلو بيكاسو ويبلغ ثمنه ٢٥٠٠ دولار.

وليس من الضروري أن تكون الكتب قديمة لكي تكون قيّمة. فالطبعة الأولى من كتاب طُبعت منه نسخ محدودة ونفدت قد تساوي ١٥٠٠ دولار أو أكثر.

وغالباً ما يكون الطلب كبيراً للأعداد الأولى من المجلات. وقد شاهدت عروضاً بقيمة ألف دولار لعدد أكتوبر (تشرين الاول) ١٨٨٨ من مجلة "ناشونال جيوغرافيك." كما تباع النسخ القديمة من مجلة "لايف" و"ساترداي ايفننغ بوست" التي صمم نورمان روكويل غلافاتها بأسعار مرتفعة. وتتراوح أسعار الكتب الهزلية القديمة بين عشرة دولارات ومئة دولار، وهي ليست أسعاراً مستغربة. كذلك، تباع الطبعة الاولى من "الرجل الوطواط" بنحو عشرة آلاف دولار.

اللوحات والصور المطبوعة (عن كليشيه). علمت أن زوجين باعا معظم أثاث منزلهما لأنهما لم يشاءا دفع ٤٠٠٠ دولار لشركة نقل الاثاث. وهما طلبا ١٠٠ دولار ثمناً للوحة ذات إطار مكسو بقشرة ذهب. ولحسن حظهما أن جارتهما لاحظت التوقيع على اللوحة، وتذكّرت إعلاناً في مجلة للتحف يعرض أثماناً عالية لشراء أعمال للرسام الفرنسي أدولف وليم بوغورو. وهكذا باع الزوجان اللوحة بعشرة آلاف دولار.

إن الاعمال الفنية الموقّعة (بما في ذلك الطباعات الحجرية وغيرها من الطباعات الأصلية) غالباً ما تكون قيّمة، لذلك ينبغي عرضها على خبير لفحصها والتحقق منها.

الدمى والألعاب. إن أي دمية صُنعت قبل عصر البلاستيك قد تكون قيِّمة. وتباع بيوت اللعب القديمة وأثاثها بأسعار باهظة.

فلا تهملوا نماذج القطارات والجنود وآلات الحرب المخزونة في أقبيتكم. وتلقى بطاقات البايسبول (كرة القاعدة) رواجاً كبيراً في الولايات المتحدة. ففي مزاد أقيم عام ١٩٩١ بيعت بطاقة عليها صورة اللاعب هونوس فاغنر وتعود الى العام ١٩١٠ بمبلغ ٤٥١ ألف دولار.

الخزف والزجاج. قد يستلزم وضع جدول بالخزفيات والزجاجيات مجلداً كاملا. في أحد المعاهد، تعرّف مخمِّن الى طاس يخص عائلة ميديتشي الايطالية العريقة ويرقى الى القرن السادس عشر، فباعه في مزاد بـ١٨٠ ألف دولار.

إن القطع القيمة التي يمكن جمعها تفوق كثيراً تلك التي ذكرتها، وتشمل قوارير وبطاقات بريدية وتوقيعات وشراشف وأدوات مطبخية وأشياء أخرى تباع بأسعار خيالية.

فان كنتم تملكون تحفاً قديمة وتظنون

أنها قيّمة، فابحثوا عنها في كتب المراجع أو استشيروا تاجر تحف. فغالبية التجار مستعدون لاعطائكم تقويماً شفهياً مجانياً.

إن أسرع طريقة لتحويل هذه الكنوز أموالا هي بيعها مباشرة الى أحد التجار في مقابل ثلث – أو نصف – ثمن بيعها بالتجزئة (القطاعي). وقد يكون مردودها أكبر إذا ما أُدرجت في قائمة مبيعات احدى صالات المزاد أو في الاعلانات المبوبة في المنشورات المتخصصة بالتحف، لأن هواة الجمع هم من قرائها النهمين وغالبا ما يدفعون أكثر من سواهم.

أما وقد عرفتم عما ينبغي أن تبحثوا، فلا ريب في أن "حفلة" تنظيف البيت السنوية ستصبح أكثر متعة ومنفعة مما في أي وقت مضى.

مارغريت آشوورث برونر ■



فهيمان

كنت أقلب صفحات كتاب في مكتبة كبرى. وكان بقربي رجلان يتناقشان في مضامين كتب مختلفة معروضة في الواجهات ويقسوان بالنقد على معظمها مما أثار فضولي فسألتهما رأيهما في الكتاب الذي كنت أحمله.

أجاب أحدهما: "انه رائع."

فسألته: "هل قرأته؟"

أجاب: "لا يا سيد، لقد كتبته."

ج.ف.

مريول السيد

دخلت سيدة متجراً وقالت للبائعة: "انني أرغب في ابدال المريول (المئزر) الذي اشتريته البارحة."

فقالت لها البائعة: "لكنه كان بقياسك تماماً."

فردت: "صحيح، لكنه ضيق قليلا على زوجي."


ف ب.

الاستاذ بابا

اشتهر أحد الاساتذة في الكلية بصعوبة تعامله وطلابه، ومع ذلك بدا أن ابننا جهاد لم يواجه أي مشاكل معه. عندما سألناه عن السبب أجاب: "الامر في منتهى البساطة، فهو يشبه أبي قليلا، ويمشي متثاقلا مثل أبي، ويعتبر مثله أن كل ما أفعله خطأ. فكأنني في بيتنا."

د.ك.

إنقاذ فيلة وقعت في جبّ



بعد نفوق معظم الفيلة في المحمية الافريقية وُلدت دغفلة كانت أمل جيل جديد فهل تغرق في الجبّ ويضيع الامل؟

كان العشب الجاف يتموج عبر السهول حتى سفح جبل كليمنجارو العظيم، وبدا أزرق اللون من بعيد. كنا نتجه الى تنزانيا عائدين الى محمية مانيارا حيث بدأت حياتنا بين الفيلة قبل اثنتين وعشرين سنة (عام ١٩٧٠).

اتبعنا طريقا مألوفة حتى وصلنا الى المنزل الذي كان بيتنا. وكان موجا في انتظارنا. إنه حارس في المحمية رافق زوجي ايان قبل عقدين. حيّانا بلغته مبتسما: "كاريبو!" (أهلا وسهلا!) فلاحظت أنه ما زال يرتدي البزّة الخضراء ذاتها، لكن جسمه نحل قليلا وبانت على وجهه علامات الكِبَر والحزن. لا ريب في أن تغييراً كبيراً حصل. فلطالما استخففنا بجمال هذا المكان، ولم نتصور أن معظم الفيلة التي عايشناها ستنفق على أيدي الصيادين الذين ينتهكون حرمة عالمها ويحولونها جماجم وعظاما وحلى عاجيّة.

وفي غيبتنا كبرت إبنتانا سابا ودودو.

صغيرة في ورطة. من بين الفيلة المئة الكبرى التي سكنت مانيارا في أيامنا بقيت واحدة فقط على قيد الحياة. إنها العجوز فيرغو. وكانت ترافقها أنثى أخرى أصغر سنا لم يبق لها سوى نابها اليسرى وتُدعى ماريدادي (أي الجميلة في اللغة السواحلية)، وفيلة أخرى سمّيناها بوتل براش.

ولدت بوتل براش عام ١٩٦٩ وشهدت إبادة عائلتها بكاملها ونجت بأعجوبة طوال ٢١ عاما من عمرها، ورزقت حديثا مولودتها الاولى وهي الدغفلة* الوحيدة في مانيارا كما أخبرتنا الباحثة ميلي رولينغ.

قررنا البحث عن الافيال القليلة المتبقية، فوجدناها مستظلة الشجر لاتقاء حرارة شمس ديسمبر (كانون الأول). وقد تحلقت حول فيرغو عائلة متفرقة من إناث يتيمات، ووقفت ماريدادي مع بوتل براش وقد نشأت بينهما روابط وثيقة. أما الدغفلة الصغيرة فكانت نائمة عند أقدامهما.

بعد حين، في طريق عودتنا الى المخيم، صادفنا بوتل براش ورفيقاتها مجدداً. كن يتدافعن ويتراشقن حول بقعة موحلة عميقة ألِفنها.

حدقت بمنظاري الى أعمدة من الأقدام والخراطيم، وركزت على كتلة صغيرة تتخبط في الوحل. فصُدمت عندما أدركت أن وليدة بوتل براش سقطت في الموحل ولم تستطع الخلاص.

تحلّقت الفيلة القلقة حول الدغفلة وعيونها تدمع أسى. كانت كل واحدة تحاول دفع الصغيرة بخرطومها أو بقدمها. وحاولت بوتل براش وفيرغو رفعها بخرطوميهما معا. لكن جميع المحاولات خابت.

كان ارتفاع الوليدة دون المتر ووزنها نحو ٤٠ كيلوغراما. وبدت خائرة القوى وقد غطت جسمها طبقة كثيفة من الوحل. كانت عالقة في ورطة لا مفرّ منها.

(*) الدغفل ولد الفيل.

صرخات متفجعة. "سيمبا!" هتف موجا معبّراً عن مخاوفنا. وأضاف: "ستأتي الأسُود، ولن يكون لها أمل بالنجاة."

كانت الشمس تغيب وراء التلال، فتعين علينا أن نفعل شيئا بسرعة. فهرعنا الى أقرب مركز لحراس المحمية. وهناك جمع موجا رجاله ولحقوا بنا الى المكان حاملين حبالا ورفوشا.

كانت بوتل براش وماريدادي تقفان قرب الدغفلة العالقة، فزجرناهما كي تبتعدا. وفي لمح البصر قفزت ميلي وايان وموجا والحراس الى الموحل. كانت الراحة النتنة لا تحتمل.

ربطوا قوائم الفيلة الصغيرة بحبالهم وراحوا يشدّون بكل قواهم. وبعد فترة خلناها ساعات خرجت الصغيرة الى اليابسة متعثرة.

فور تحريرها هرع الجميع الى سياراتهم وابتعدوا عن المكان تحسبا لاحتمال عودة الأم القلقة. لكن الدغفلة ركضت محاولة اللحاق بسياراتنا. ففي غياب أمها، تعلّقت بنا. لكننا تابعنا انطلاقتنا. وعندما أيقنت عجزها عن إدراكنا توقفت كئيبة وراحت تنادي أمها.

توقفنا بدورنا، فلم نسمع أي صوت من الغابة المجاورة. فعدنا الى الدغفلة لحراستها تلك الليلة.

وعندما أسدل الليل ستاره وقفت الصغيرة قرب سيارة ميلي، وهي لاند روفر كانت ميلي أبقت محركها دائراً لمحاكاة هدير الفيلة وتهدئة الصغيرة.

مرت ساعة أخرى كانت الدغفلة خلالها تدور حول السيارة وتتوقف لتتكىء على الاطارات الدافئة وتُطلق صرخة رضيع آملة الحصول على حليب.

ثم طلع القمر، وبدت البحيرة فضية اللون وسط التلال المعتمة. فحملنا الدغفلة ووضعناها في اللاند روفر وذهبنا بها الى المنزل.

كان عمرها أسابيع قليلة، يغطّي جسدها شعر ناعم، ولها اذنان مستديرتان زهريتا اللون وخرطوم صغير. أطلقنا عليها اسم مادي ميلي (أي ميلي الموحلة).

لم يكن لدينا حليب، ولم نجرؤ على إعطائها أي شيء آخر غير الماء الذي كانت تشربه بلهفة. امتلأ المنزل برائحتها وخوارها المعبّر عن جوعها. فجهّزنا لها حائطاً من الفرش لتتكىء عليه، وقدم اليها ايان إبهامه لتمصّها وتهدأ. وحاول هو نفسه أن يسترق بضع لحظات من النوم وسط صرخاتها الطويلة المتفجعة التي تحطم القلوب.

"وجدتها!" استيقظنا باكراً ووضعنا مادي ميلي في سيارة ورحنا نبحث عن عائلتها. وتولى حراس في سيارة أخرى التفتيش عن آثار حديثة للفيلة فوق الرمال، وأبقينا السيارة التي تقلّ مادي ميلي قرب البقعة الموحلة حيث علقت. لكننا لم نعثر على بوتل براش وماريدادي.

كانت حياة الدغفلة المنهكة في خطر بعد صيام طال اثنتي عشرة ساعة، فهي لن تبقى على قيد الحياة طويلا من دون

حليب. لكنها ظلت واقفة على رغم كل شيء، رافضة النوم.

وبينما كنت عائدة الى البقعة الموحلة عبر طريق متعرّجة، صادفت مجموعة من الفيلة ترعى. كانت إحداها جامدة في مكانها وهي تأكل، وبدا خرطومها مرفوعاً بين أوراق الشجر. فغرت فمها فبان لسانها الزهري وأرومة نابها اليسرى. إنها ماريدادي! فأسرعت لاحضار مادي ميلي.

في أثناء ذلك كانت الدغفلة الصغيرة انهارت من الاعياء واستسلمت للنوم قرب السيارة.

ناديت سابا وميلي بأعلى صوتي: "لقد وجدت العائلة!" فملأتا السيارة بالوسائد ثم حملتا الصغيرة ووضعتاها في المؤخر. تولت ميلي القيادة بينما احتضنت سابا الدغفلة وضمتها الى صدرها.

وعندما وصلنا الى حيث رأيت العائلة لم نجد أي فيلة. لكن الدغفلة أحست على نحو ما أن عائلتها كانت هناك، فأخذت تصرخ بأعلى صوتها. فأوقفت ميلي السيارة وأنزلت الفيلة الصغيرة منها عل أمها تراها، فيما قفزت سابا الى مقعد السائق وانطلقت ببطء مبتعدة عن المكان. وبعد لحظات قفزت ميلي الى المؤخر عبر الباب الخلفي المفتوح وصرخت: "أسرعي يا سابا."

أي مصير؟ حين شعرت الدغفلة بأن أمها بالتبني هجرتها، راحت تركض وراءها من دون أن تكفّ عن الصراخ.

كانت ميلي تصيح: "أسرعي! أسرعي!"

وعندما غابت السيارة عن نظر مادي ميلي أطلقت صرخة أخيرة تقطع الأوصال. فأوقفت سابا السيارة وراحت وميلي تراقبانها من بعيد والدموع تترقرق في عيونهما. ولم نلبث أن شاهدنا عائلة الفيلة تمدّ خراطيمها وتقترب لتضم صغيرتها الضائعة محاولة تهدئتها باطلاق صيحات مطمئنة، ثم رافقها الجميع الى مكان آمن بين الاشجار.

خلال الاشهر التالية كنا نشاهد مادي ميلي تنمو وتسمن وتقوى. وعندما رأيناها للمرة الاخيرة كانت تقف على ضفة بحيرة وخلفها صفّ زهري من طيور النحام (فلامنغو).

تمثل مادي ميلي جيلا جديداً من الفيلة. فهي الاولى تولد في مانيارا بعد العام ١٩٨٩ حين تم التوصل الى اتفاق عالمي يحظر تجارة العاج. لقد عقدنا عليها كل آمالنا المستقبلية، فهي رمز كل ما ناضلنا في سبيله.

وكثيراً ما نتساءل عما تخبىء لها الايام المقبلة. هل ستبقى على قيد الحياة وتتمتع بشيخوختها مثل فيرغو؟ أم ستُقتل على يد صياد متسلل يحولها سلعة للبيع فيصنع من قدمها مقعداً ومن أذنيها قفازاً ومن نابيها حجار شطرنج ومن طرف خرطومها مثقّلة للورق؟

أوريا دوغلاس هاملتون ■

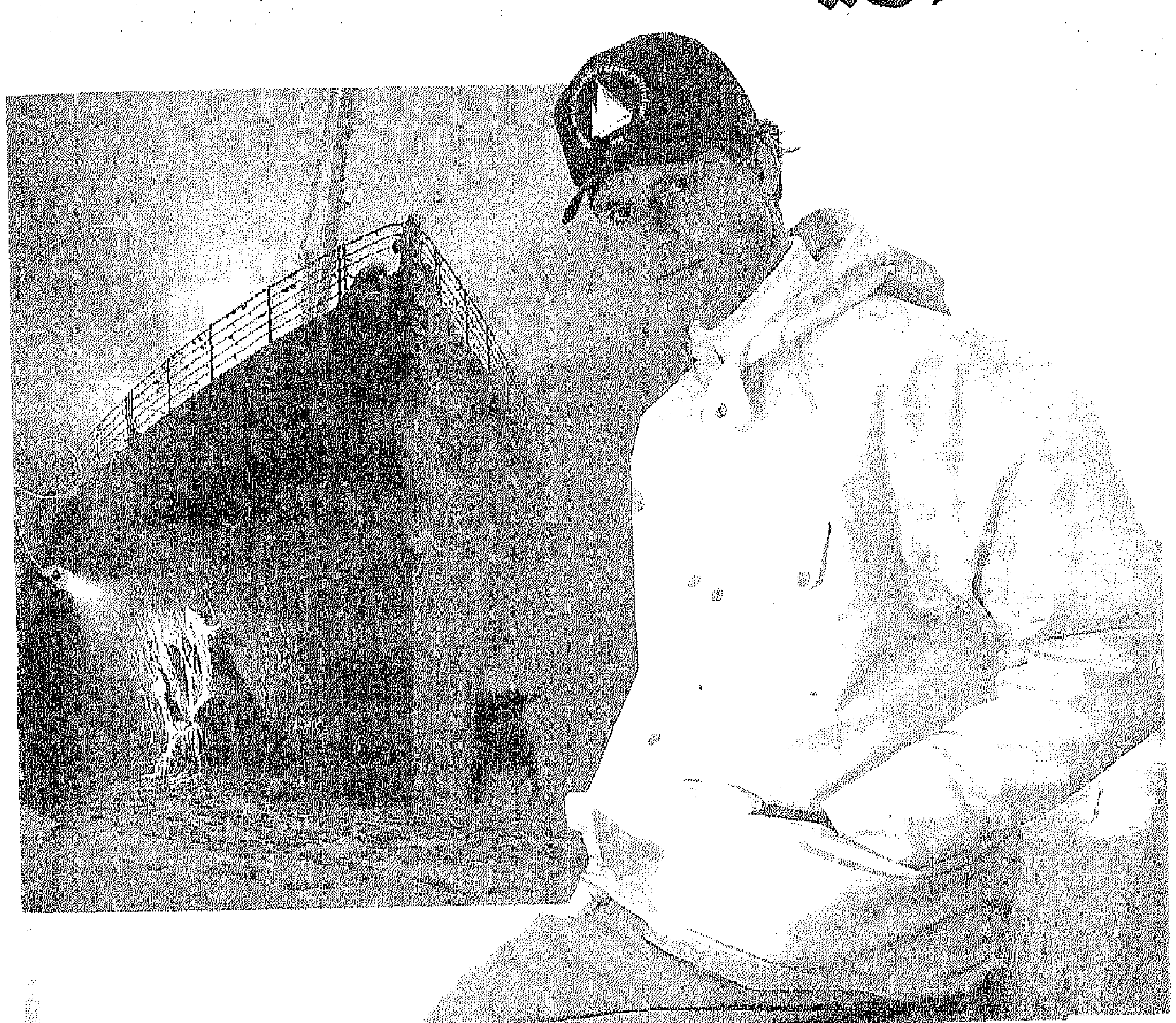
حققت الكاتبة وزوجها ايان شهرة عالمية لجهودهما الرامية الى انقاذ الفيلة من الانقراض.

رحّالة يجوب اعماق المحيطات كاشفاً أسرارها وعجائبها

أقحم روبرت بالارد جسمه الناحل داخل الغواصة الضيقة "ألفين" وانحدر فيها ببطء الى عمق ٣٨٠٠ متر في مياه المحيط الأطلسي. هناك التقطت أنوارها الساطعة تخوماً مظللة لهيكل سفينة عملاقة: "التيتانيك!" فطلب بالارد من الربان أن يوجه الغواصة في محاذاة جانب السفينة. فجأة ومض أمام عينيه سلك فولاذي بسماكة ستين سنتيمترا وأطبق باحكام على الغواصة فشلّ حركتها. كانت لحظة مروعة، إذ علق الرجلان على عمق نحو أربعة كيلومترات في منطقة لا تخاطر أي غواصة إنقاذ بالوصول اليها.

راح الربان يدفع "ألفين" برفق الى الأمام والى الوراء كأنه يحاول تحرير

مغامر في أعماق المحيطات



سيارة عالقة. وبعد برهة خالها الرجلان دهرا، اندفعت الغواصة طليقة.

يسترجع بالارد ذكرى تلك المواجهة الصغيرة مع الموت قبل ست سنوات فيقول: "على المرء أن يخاطر لكي يتعلم. والمخاطرات تبقى مخاطرات."

روبرت بالارد في الخمسين من عمره، لكن مظهره وتصرفاته توحي أنه أصغر من ذلك عشر سنين. عمل طوال ربع قرن في أعماق محيطات العالم، ربما أكثر من أي عالم بحري آخر. وهو مؤسس "مختبر الغوص العميق" في "مؤسسة وودز هول" لعلوم المحيطات في كيب كود بولاية مساتشوستس. ويهتم بنشاطات أخرى في مجالات كثيرة. فهو عالم بالمحيطات ومؤلّف ومربّ ومصمّم روبوت[1] مخصّص للاستعمال تحت سطح البحر. وإذا ما طُلب منه أن يصف نفسه بكلمة واحدة، فانه يجيب: "مستكشف."

القبطان نيمو. نشأ بالارد في سان دييغو بولاية كاليفورنيا، وعشق البحر منذ نعومة أظفاره... "مذ بدأتُ الكلام." كان يطوف بالشطآن ويراقب الحياة البحرية في مجمَّعات مياه الجَزْر. وكان أبطاله من البحارة والرجال الجسورين أمثال القبطان كوك والأميرال بيرد والأميرال بيري،[2] وخصوصا القبطان نيمو الخرافي بطل رواية جول فيرن الغرائبية "عشرون ألف فرسخ تحت سطح البحر." وهو يقول بين المزاح والجد: "ما زلت أحاول أن أكون القبطان نيمو."

وقفت عائلة بالارد الى جانبه تؤازره وتشجعه على تحقيق حلمه. وهي عائلة عصاميين. فوالده كان راعي بقر تلقّن العلوم بنفسه وغدا رئيس المهندسين في برنامج صواريخ "مينوتمان" الامريكي. إلا أن شقيقته الصغرى المتخلّفة عقليا كانت مصدر إلهامه الأساسي، إذ تساءل ذات يوم: "كيف أبدد أنا الفرص وهي لم تُتَح لها فرصة واحدة؟"

أكبَّ بالارد على دراسة العلوم في جامعة كاليفورنيا. ثم تخصص بفيزياء الأرض وعلوم المحيطات في جامعة هاواي. وكان يدرِّب الدلافين في متنزَّه بحري ليسدد أقساطه الدراسية. والتحق بسلاح البحرية خلال دراسته الجامعية، فأُرسل بعد مدة الى وودز هول حيث التقى "آلفين" الآلة التي غيرت مجرى حياته.

في تلك الفترة كان علماء المحيطات "الجدِّيون" يعتبرون أن الآلات القابلة للعمل تحت الماء، على غرار "آلفين"، ليست سوى ألعاب مسلِّية. لكن بالارد شعر بأن "آلفين" الزاخرة بآخر مبتكرات السونار والفيديو وغيرهما من الأجهزة الالكترونية الفائقة التطور، تنطوي على إمكانات باهرة. ويقول: "هناك في الأسفل مساحة هائلة من الأرض مغمورة بالمياه وتضم أعظم السلاسل الجبلية وأعمق

---

(١) الروبوت (robot) هو ما يعرف بالرجل الآلي.
(٢) جايمس كوك (١٧٢٨ - ١٧٧٩) ضابط بحري بريطاني. وريتشارد إفلين بيرد (١٨٨٨ - ١٩٥٧) ضابط بحري امريكي ومستكشف للقارة القطبية الجنوبية. وروبرت إدوين بيري (١٨٥٦ - ١٩٢٠) مستكشف امريكي للقارة القطبية الجنوبية.

PAINTING BY KEN MARSCHALL FROM «THE DISCOVERY OF THE TITANIC» BY DR. ROBERT BALLARD;
PHOTO (ROBERT BALLARD): © MICHAEL O'NEILL

الاودية واوسع السهول. فهل يعقل أن يعرف المرء عن القمر والمريخ أكثر مما يعرف عنها؟"

أراد بالارد العمل في أعمق أعماق المحيطات. وكل ما احتاج اليه شيء يبحث عنه.

كان العلماء في أوائل السبعينات يتناقشون في نظرية تدعى "التكتونية الشريحية"[3] يزعم أنصارها أن قشرة الأرض هي "مرقّعة" من قطع عملاقة تتباعد في بعض الأماكن متيحة للباطن المصهور أن يتسيّل خارجا من أعماق الأرض.

أما بالارد فكان يرى وسيلة واحدة للتثبت من هذه النظرية، وهي النزول الى قاع المحيط ورسم خريطة للتصدعات هناك. فاقترح وزملاءه زيارة سلسلة جبلية تحت الماء يبلغ طولها ١٩ الف كيلومتر وتدعى سلسلة الأطلسي الاوسط.[4]

ولكن للحصول على التمويل المطلوب كان على الفريق أن يحظى بموافقة الزملاء العلماء الذين، بحسب قول بالارد، "ظنوا أننا مجانين." وخلال ندوة عُقدت في جامعة برنستون عام ١٩٧٢ قدَّم بالارد حججه وبراهينه لجدوى استخدام الغواصة. ولما انتهت محاضرته حذره أحد العلماء قائلا: "إن فشلتم فستحوَّل تلك الغواصة مشابك للورق."

ثبت فريق بالارد على موقفه. وفي العام ١٩٧٤ أُطلق "المشروع الفرنسي الامريكي لدراسة قاع المحيط الاوسط."

يتذكر بالارد يوم انزلقت "آلفين" فوق هوة يقلّ اتساعها عن متر ونصف متر، ولما سلّط أفراد الطاقم نوراً ساطعا على الأسفل ضاعت أشعته في جوف فجوة سوداء من عالم تحت الماء، فأدركوا عندئذ أنهم عثروا على صدع في الارض.

أمر بالارد بايقاف الغواصة على حافة الفجوة. وهو يذكر بحنين: "أردت أن أنظر اليها، فجلست هناك طوال ساعة."

بعد عدة رحلات الى قعر المحيط وضع الفريق خريطة أصبحت جزءا أساسيا من البراهين المتنامية على حقيقة التكتونية الشريحية.

وفي السنوات التالية نزل بالارد الى قاع المحيط الهادئ قرب أرخبيل غالاباغوس، وساهم في العثور على ينابيع فائقة السخونة في الاعماق يؤمن الخبراء الآن بتأثيرها في كيمياء المحيط لأنها تنضح أطنانا من المياه المعدنية. وعلى مقربة منها، في رقعة مظلمة من القاع لا تبلغها أشعة الشمس، عثر على أشكال غريبة من الكائنات بينها بكتيريا (جراثيم) لا تعيش الا قبالة المياه المعدنية، وسرطانات عمياء ضخمة ناصعة البياض، ومحارات حمراء قانية في حجم كرات قدم.

كان العمل داخل "آلفين" مضنيا. فالمقصورة تتسع لثلاثة أشخاص، وهي رطبة وباردة وموضع الأرجل فيها أضيق

---

(٣) Plate tectonics. والتكتونية هي العملية التي تغير شكل قشرة الارض محدثة القارات والجبال.

(٤) Mid-Atlantic Ridge

منه في أي سيارة صغيرة. أما الوصول الى قاع المحيط فيستغرق ساعتين. وبعد ساعات من العمل يترتب على الطاقم أن يتحمل ملل رحلة العودة.

وكان الخطر ملازما للازعاج خلال هذه الرحلات. فذات مرة نجا بالارد من تماسّ كهربائي انبعث منه دخان فراح يتنشق من مخزون هواء الطوارىء وارتدى قناع الغطس لحماية عينيه من الدخان. ومرة أخرى ارتطمت غواصته بجنب بركان تحت سطح الماء. ومرة أخرى كان أحد زملائه داخل "آلفين" عندما حاولت سمكة من طائفة سيّاف البحر أن تدخل خطمها الحاد في إحدى كوى الغواصة فعلق هناك، واضطر الفريق الى العودة الى سطح الماء ومعه سمكة عالقة تهز ذيلها باهتياج. (ماذا حدث للسمكة؟ يجيب بالارد بابتسامة ماكرة: "أكلوها!")

تيتانيك وبسمارك. في مطلع الثمانينات راح بالارد يبحث عن تحديات جديدة. وركّز على استعمال الآلات ذات التحكّم من بعد عوض الغواصات التي تحمل طواقم. فجند لهذه الغاية فريقا من العلماء والمهندسين لتصميم مزالج للأعماق ذات أطر فولاذية ومزودة كاميرات، يمكن جرها بسلك على أرض المحيط.

وفيما عكف الفريق على صنع الروبوتات، استبد بروبرت بالارد هاجس تحديد موقع "التيتانيك." وفي العام ١٩٨٥ توصل من خلال دراساته الى تضييق رقعة البحث عن السفينة العملاقة وحصرها ضمن مئة وستين كيلومترا مربعا. عندئذٍ أنزل روبوتا من غواصته وراح يجره ذهابا وايابا ممشطا المنطقة. وبعد انقضاء ٥٦ يوما التُقطت أول رؤية لـ"التيتانيك" الغارقة من خلال عين الروبوت وهي كاميرا تلفزيونية. ويقول بالارد: "أذكر الأعمدة الخالية التي كانت تُربط اليها قوارب النجاة، وكانت آخر ما رآه ركاب كثيرون وهم يبحثون عن قارب."

في الصيف التالي عاد طاقم "آلفين" بصور جديدة: رأس دمية من البورسلين الأبيض، وفنجان قهوة سليم استقر في قاع المحيط.

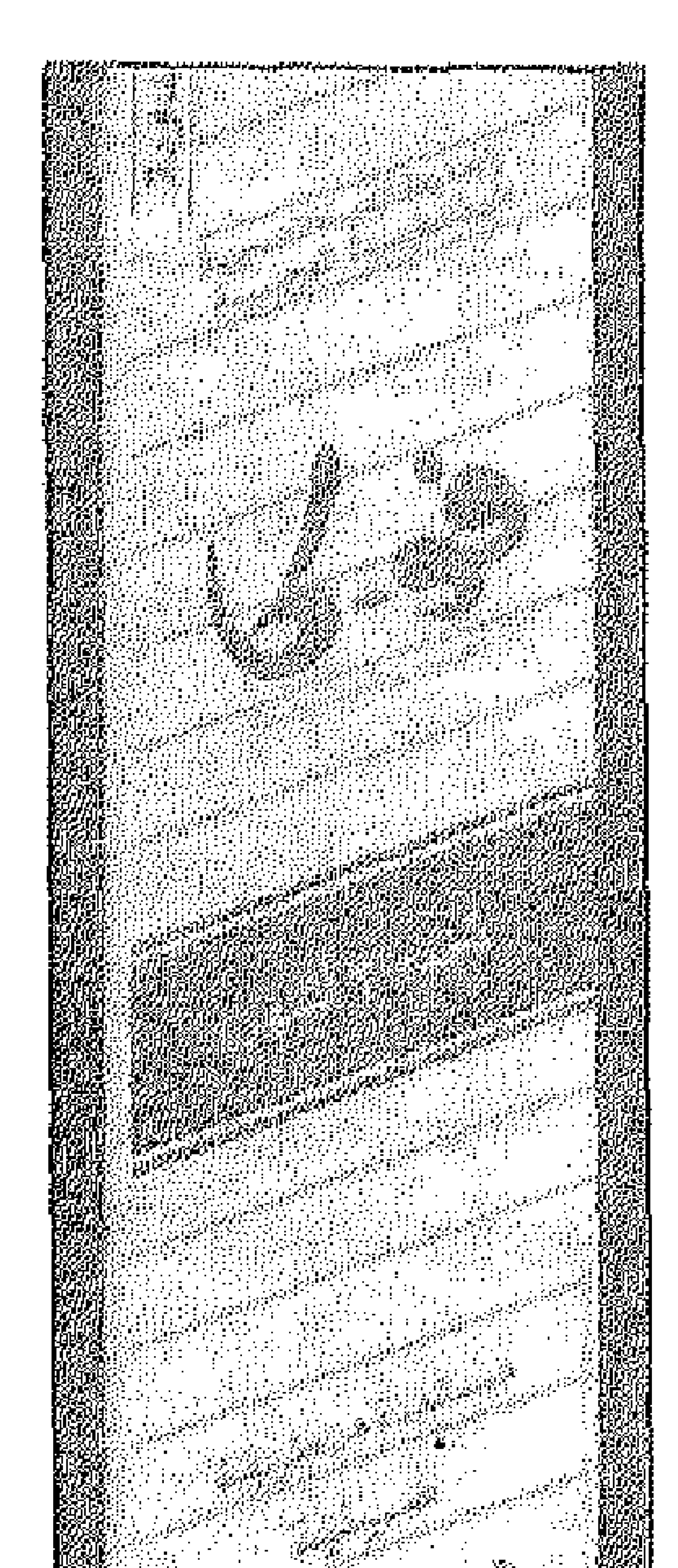
وفي خطوة جديدة، شرع بالارد في البحث عن "بسمارك" التي قد تكون أرهب سفينة حربية صُمِّمت على الاطلاق، وقد أغرقها البريطانيون في مايو (أيار) ١٩٤١. كان هناك أربعة مواقع على الاقل اشتُبه في وجود السفينة فيها، لكنها جميعها أعمق من موقع "التيتانيك."

عام ١٩٨٨ انطلق بالارد وفريقه نحو شمال شرق الأطلسي للبحث عن السفينة، ومعهم الروبوت "أرغو" الذي يعمل تحت الماء والذي ساعد قبلا في العثور على "التيتانيك." وبعد أسابيع من البحث العقيم اضطروا الى العودة من حيث أتوا.

في الصيف التالي استأنف بالارد البحث وأنزل "أرغو" الى القاع مرةً ثانية. وبعد تمضية أيام في تصوير عديم الجدوى لسهول أعماق المحيط، قادت كاميرات "أرغو" الفريق الى كتلة ضخمة

اختاروا لكم

"فوكا" زجاجة مغناطيسية لمياه صحية



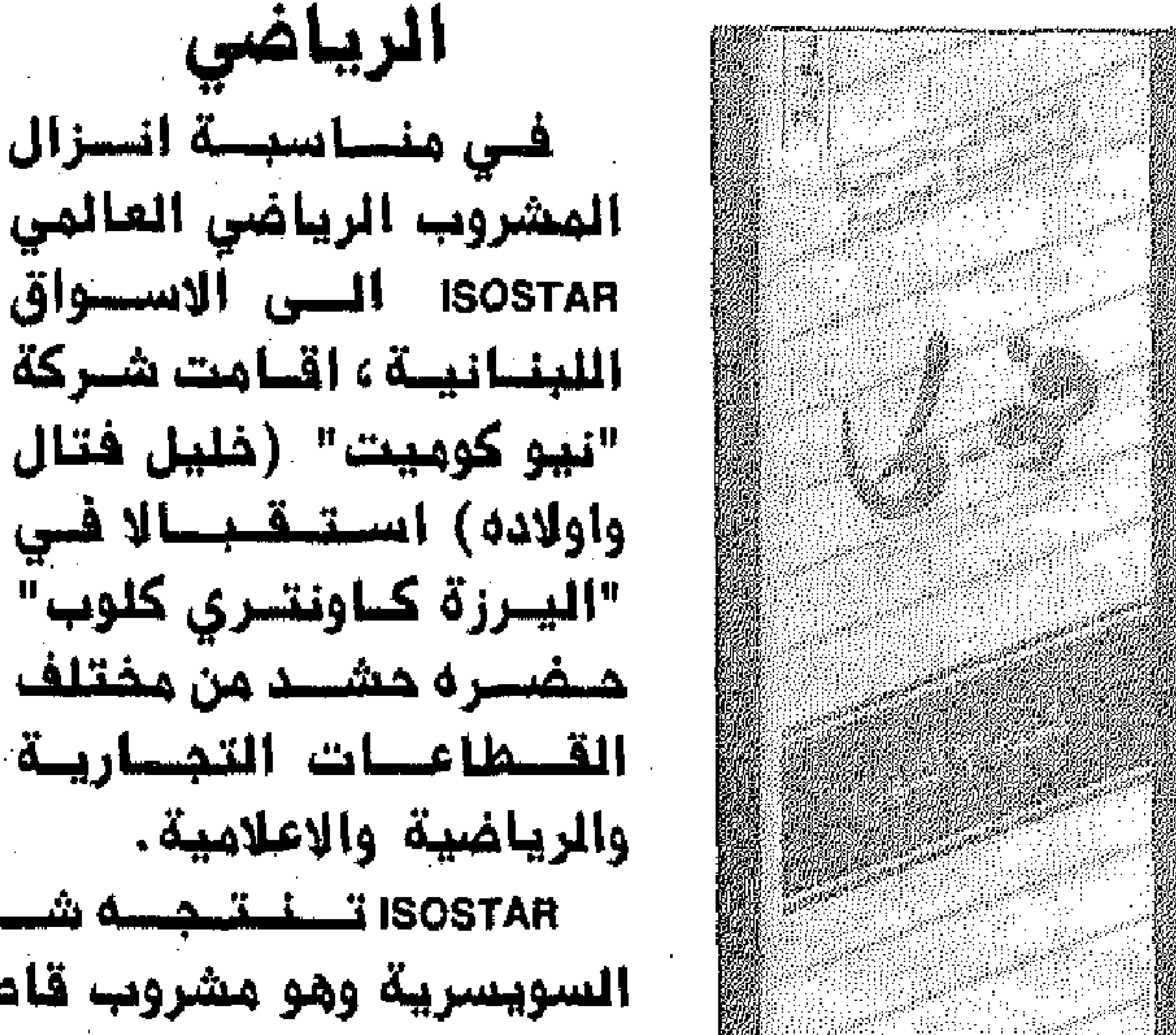
بدأ علم العلاج بالمغناطيس يغزو العالم في الاعوام الاخيرة خصوصاً في اوروبا وامريكا حيث من المنتظر ان يتبوأ علم العلاج بالمغناطيس في السنوات المقبلة مرتبة متقدمة في ميدان الصحة العامة.

وقد انتجت الزجاجة المغناطيسية "فوكا" بطريقة علمية مدروسة ومشحونة بواسطة جهاز الكتروني متطور كي تتلاءم مع كل مجموعة من الحالات الصحية. وقد اخضعت لتجارب علمية شملت مئات الاشخاص في لبنان والخارج حيث اعطت نتائج سليمة وناجحة من دون اية مضاعفات.

تباع الزجاجة فارغة وتعبأ بمياه الشفة العادية وتصبح المياه صالحة للشرب بعد خمس دقائق. ويمكن شرب ثلاث او اربع زجاجات في اليوم خصوصاً في الصباح. وتبدأ فاعليتها بالزوال بعد انقضاء ثلاثة اشهر على استعمالها.

(اعلانات "غرانت")

ايزوستار المشروب الرياضي



في مناسبة انزال المشروب الرياضي العالمي ISOSTAR الى الاسواق اللبنانية، اقامت شركة "نيو كوميت" (خليل فتال واولاده) استقبالا في "اليرزة كاونتري كلوب" حضره حشد من مختلف القطاعات التجارية والرياضية والاعلامية.

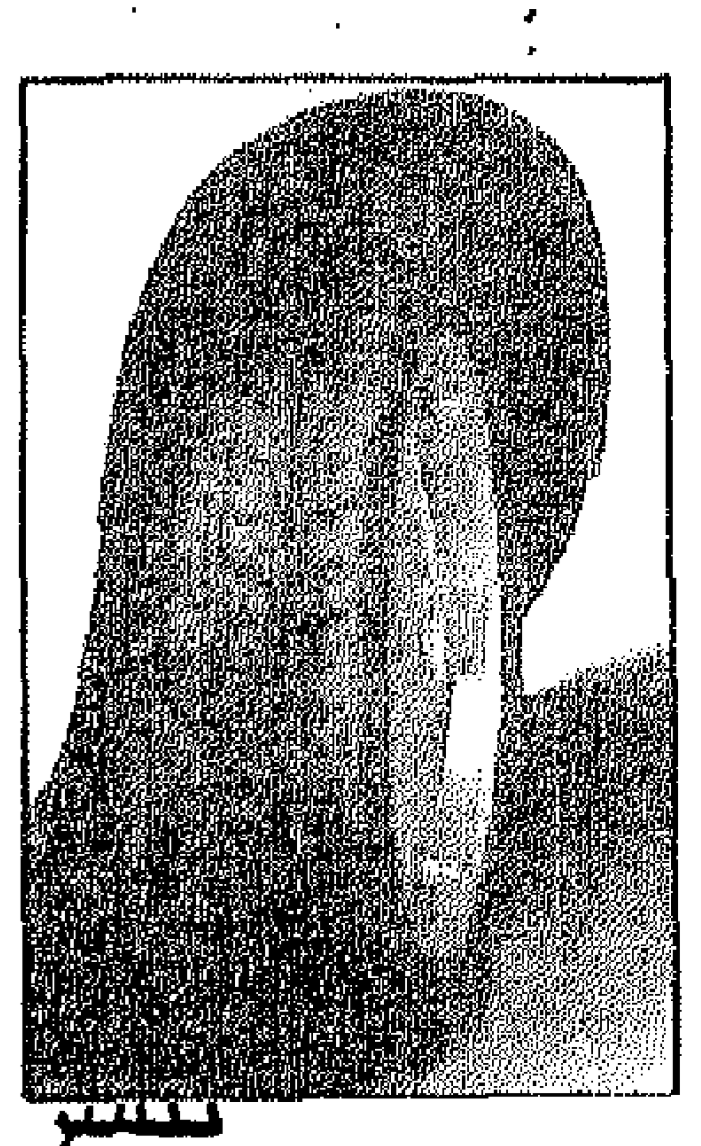
ISOSTAR تنتجه شركة WANDER LTD السويسرية وهو مشروب قاطع للعطش يمتصه الجسم في وقت قياسي ويعوض السوائل والاملاح المعدنية (الكترولايت) التي يفقدها الجسم بالجهد الرياضي او سواه ويزوده احتياطا من القوة لمتابعة المجهود.

ISOSTAR غزا الاسواق العالمية والعربية بنجاح كبير واعتمدته كبرى الفرق الرياضية كمشروب رسمي للاعبيها، لكنه لا يتوجه الى القطاع الرياضي فحسب بل الى الافراد الناشطين جسديا كافة.

ISOSTAR مكون من مواد طبيعية وهو متوافر في عبوات سعة ٤٥٠ ملل.

(اعلانات "انترماركتس")

اطارات COMP TIA



لا تتعجبوا لدى رؤيتكم سيارات الـ"بورش" مجهزة بإطارات BFGOODRICH'S COMP TIA TIRES ذات الاداء العالي. هذه المرة الأولى في تاريخ مصنعي السيارات الالمانية التي يختار فيها إطار أمريكي الصنع كتجهيز أساسي.

إطارات COMP TIA TIRES ستستعمل لسيارات "بورش" موديلات ٩١١، ٩١١ TURBO و٩٢٨. كذلك موديلات ٩٤٤ و٩٤٤ TURBO.

(اعلانات "بيهم")

تنشر "المختار" في هذه الصفحة اخباراً ومعلومات عن مواد تردها من اصحابها او وكلائها، وذلك على مسؤولية هؤلاء الكاملة.

من الفولاذ والى برج مدفع، ثم الى سفينة عملاقة رُسمت على مقدمها ومؤخرها صلبان معقوفة سوداء، شعار النازية. وهكذا انتهى البحث الذي دام سنتين.

صبي صغير. يصبّ بالارد اهتمامه حاليا على صفوف التدريس. فهو، كغيره من العلماء الامريكيين، قلق على مستوى المعرفة العلمية لدى أبناء أمته. ويقول في هذا الصدد: "علينا أن نشن حربا على الجهل. والطريقة الفضلى لذلك هي التعليم. أريد أن أطوِّع أشخاصا لدراسة العلوم، تماماً كما يطوع مدربٌ لاعبين لكرة السلة."

وهو تساءل في العام ١٩٨٧: "لماذا لا نقيم اتصالاً بين التلاميذ في الصفوف وأحد الروبوتات المستكشِفة؟"

وتحول الحلم حقيقة. ففي مايو (أيار) ١٩٩٠ راح تلميذ في الصف الابتدائي السابع في كنسينغتون بولاية ماريلاند يحرك روبوتا حول حطام سفينتين حربيتين أمريكيتين كانتا جاثمتين في قاع بحيرة أونتاريو منذ العام ١٨١٣. وبث قمر اصطناعي صورا تلفزيونية للسفينتين التقطتها صفوف المدارس في أنحاء الولايات المتحدة. وقد طور اساتذة العلوم منهجا دراسيا خاصا مستعينين بتقنية بالارد.

يقول زميله مايك ستيوارت الذي التقاه للمرة الاولى يوم كان يخطط لبعثة "التيتانيك": "إن آفاق بوب تتخطى المعقول، وغالبا ما يتجاوز الآخرين بتفكيره الى حدّ يسبب لهم الضياع."

ما زال بالارد يضج حماسة حين يتكلم على أحلامه وعلى عالم الأعماق الذي يغوص فيه ليحققها. ولم يفارقه انشداه الصبي الصغير الذي كان يطوف بشطآن سان دييغو باحثا في أحواض الجَزْر عن نِعَم لفظها البحر عند قدميه.

دوغ غار ■

خفف سيرك!

كان عمال البلدية يقيمون مخففات سرعة (مطبّات) في شوارع حينا، لكنهم تركوا شارعاً طويلا لم يقيموا فيه شيئاً. وعندما سألت أحدهم عن السبب، أشار الى مدرسة للبنات على جانب الطريق قائلا: "انها أفضل مخفف للسرعة!"

ر.ش.

خطوات في الغابة

في طريقنا الى الغابة لتمضية نهار عطلة، راح والدي يحاضر فينا حول مخاطر الادغال. وعندما انتهى قال له شقيقي الاصغر. "صف لنا يا أبي الخطوات التي نأخذها اذا رأينا أفعى." فردت والدتي بسرعة: "كبيرة وسريعة!"

ف.و.

كتاب الشهر

الجريمة الكاملة

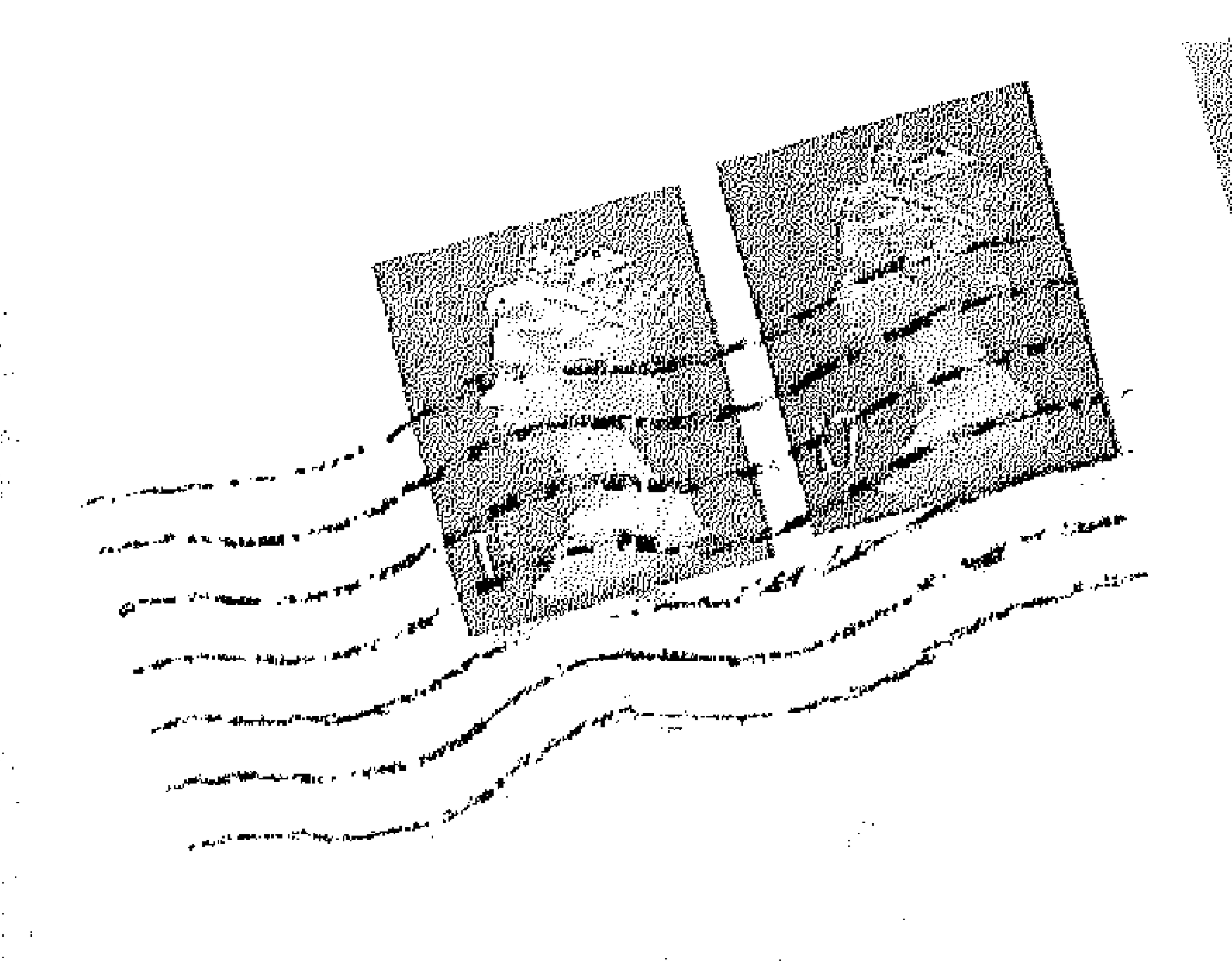
بقلم: ديفيد مولر

الجريمة الكاملة

بدأت الأحجية الرهيبة برسائل تهديد تطالب بدفع مبالغ نقدية. ثم ظهرت على رفوف المتاجر علب مسمَّمة من طعام الكلاب. وذات يوم كانت احدى الامهات تلقم ابنتها طعاماً معلباً للأطفال، فلمحت في فمها قطعاً معدنية براقة من شفرة حلاقة، فراحت تلتقطها هلعة من فم الطفلة.

لقد نجح المبتز على الدوام في استباق خطوات الشرطة وجني المال وفق مخطط يقارب "الجريمة الكاملة" على نحو لم تشهده دائرة اسكوتلنديارد[1] في تاريخها. وتوسعت التحقيقات لتشمل دوائر شرطة ومصارف وأجهزة كمبيوتر، ووجد المحققون أنفسهم أمام أسئلة مربكة: من هو هذا المجنون؟ ومن اين له هذه القدرة الخارقة على استباق خطواتهم؟ وكم من الابرياء سيقعون في حبائله قبل أن يقع في قبضتهم... هذا إن وقع؟

هنا، استناداً الى سجلات اسكوتلنديارد، واحدة من أغرب جرائم التاريخ الحديث.



(١) اسكوتلنديارد هي دائرة المباحث في شرطة لندن.

أطل صباح ٣ أغسطس (آب) ١٩٨٨ مشمساً ودافئاً على بلدة ملتون موبري التي تبعد ١٥٠ كيلومتراً الى الشمال الغربي من مدينة لندن. واذ راح لزلي سيمنز، مدير شركة "بدغري بتفودز" لأطعمة الحيوانات، يتفحص الرزمة التي وضعتها سكرتيرته أمامه، شعر بقشعريرة تسري في بدنه.

فأمامه على المكتب علبة "بدغري تشام" من طعام الكلاب الذي تصنعه الشركة، والى جانبها رسالة تحذّر من أن العلبة لُوِّثت بمواد كيميائية "عالية السميَّة لا لون لها ولا رائحة... ولا سبيل لصاحب الحيوان المدلل الى اكتشافها قبل اطعامه منها."

وطالبت الرسالة بمبلغ ١٠٠ الف جنيه استرليني (نحو ١٨٠ ألف دولار) سنوياً وعلى مدى خمس سنوات. وهددت بأنه "ما لم يسدَّد هذا المبلغ بحسب البرنامج المحدد، فستظهر على رفوف المتاجر في أنحاء بريطانيا كميات كبيرة من العلب المسممة."

لقد أَلِف كبار الصناعيين أعمال الابتزاز، لكن سيمنز شعر هذه المرة باختلاف الحال. ففي معظم مكائد الابتزاز حلقة ضعيفة تمثل في طريقة تسلم المال. إلا أن هذا المبتز طالب بإيداع المال حسابات مصرفية يحددها لاحقاً لكي يتمكن من سحبه بموجب بطاقات نقدية[٢] من ألوف ماكينات النقد الاوتوماتيكية[٣] المنتشرة في أنحاء البلاد.

واسترسل شارحا أنه فتح هذه الحسابات بأسماء مستعارة "قبل أمد بعيد" وأنه تلقى البطاقات النقدية وأرقام التعريف الشخصية[٤] بواسطة مكاتب تُعنى بتسلم بريد أشخاص لا عناوين دائمة لهم. وبما أن عدد الوافدين الى كل من هذه المكاتب يقارب الستين يومياً، فان تذكر الموظفين شخصاً زارهم قبل سنوات هو احتمال شبه معدوم. فيا له من ذكي!

تابع المبتز في رسالته: "عندما توافق شركتكم على الدفع، ضعوا اعلاناً في باب رسائل القراء في صحيفة "دايلي تلغراف" بالنص الآتي: "ساندرا، عيداً سعيداً يا حبيبتي. المحب، جون." وانشروا هذا الاعلان في تاريخ اقصاه ١ سبتمبر (أيلول)."

لقد تداركت الرسالة جميع الاحتمالات. فراح سيمنز يتفكر في مضامينها. انه أمضى ٣٠ عاماً في شركة "بدغري" عمل خلالها لتطوير منتجاتها وتجميل صورتها. وهو يدرك أن تهديداً واحداً بالتسميم كفيل باسقاط المبيعات والاستغناء عن خدمات مئات العمال.

لذلك استدعى للحال لجنة طوارىء ضمَّت مدير المبيعات جون دايل ورئيس قسم

(٢) Cash cards. وهي بطاقات بلاستيكية مرقمة يولجها صاحبها في ماكينة خاصة فتخرج له مبلغاً نقدياً معيناً.
(٣) Automatic teller machines «ATM»
(٤) Personal identification numbers «PIN»

الدعاية والاعلان وليم دونكان، ولفتهما الى ضرورة مراعاة السرية التامة في هذا الشأن. قال: "واضح أن علينا استدعاء رجال الشرطة. لكننا لا نستطيع لقيامهم في مقر الشركة. فاذا علم الموظفون بالأمر وبدأوا الكلام، فسنجد أنفسنا هدفا لحملة مركزة من وسائل الاعلام."

في وقت لاحق من ذلك النهار قصد دايل ودونكان موقف سيارات أمام أحد المتاجر الكبرى لملاقاة المفوَّض ايان ليسي الذي يأتي ثانياً في تراتبية دائرة المباحث الجنائية في شرطة لسترشاير. وهو رجل رقيق البنية أشيب الشعر في الثانية والاربعين من عمره.

خلَّفت الرسالة أثرا عميقا في نفس ليسي، فتمتم معجباً: "انه لمحترف حقاً. فهو يبدو عالما بما سيجول في فكرنا. لا أجد في هذه الرسالة منطلقا نستند اليه. لربما بيَّنت التحليلات شيئا ما."

with all our fondest love; Sally, Irene, Garth & the Grandchildren.

SANDRA, Happy birthday darling. Want to help, must talk, phone 0664 500065. Love John.

BALL nee ARMOUR MIRIAM BALL otherwise MARIE BALL Nee

لكن فحص الرسالة وعلبة طعام الكلاب في مختبرات الشرطة لم يكشف شيئا. فالمواد الكيميائية جاءت مطابقة تماما لتحديدات المبتز، وقاتلة أيضا. أما الرسالة فمطبوعة على آلة كاتبة من نوع واسع الانتشار ومستنسخة على نحو لم يترك أي بصمات.

ولم يدَع المبتزّ مجالا للعثور على أي "بصمات" جينية (وراثية)، وهذه تقنية حديثة تعتمد تحليل تركيبة الحمض النووي DNA[5] الذي يتفرد به كل شخص والذي يمكن استخراجه من الدم واللعاب والعرق وسواها من أجزاء الجسم البشري وإفرازاته. فبدلاً من لعق الطابع البريدي الملصق على غلاف الرسالة عمد المبتز الى بلِّه بالماء.

وبعد يومين التقى دايل ودونكان المفوَّض ليسي مجدداً، ونقلا اليه قرار الشركة عدم الخضوع لهذا الابتزاز.

قال ليسي: "علينا أن نواجه الواقع. نحن لا نملك ما يرشدنا الى المبتز. واذا كتب ثانية، فقد يتوجب علينا ايداع المال حساباته وتركه يسحبه. فتلك قد تكون فرصتنا الوحيدة للاتصال به. وإن أطلنا أمد الايداع فلا بد من أن يقع في خطأ ما."

أومأ ممثلا شركة "بدغري" موافقين، وقررا قبول التحدي اذا ما اتصل المبتز ثانية.

---

(٥) Deoxyribonucleic acid

في هذا الوقت كان ليسي نبّه دائرة اسكوتلنديارد في لندن ليُصار الى الابلاغ عن جميع حوادث الابتزاز وتلوث الاطعمة التي تسجلها دوائر الشرطة في جميع المقاطعات. وعلى رغم أن التحقيق بقي بمجمله ضمن صلاحية دائرة لستر فقد زار ليسي مقر اسكوتلنديارد في لندن للتشاور والمفوّض باتريك فليمنغ، وهذا رجل فارع الطول في السابعة والاربعين من عمره ذو عينين رماديتين يقظتين، وهو مسؤول عن الفريق الجنائي في شرطة المدينة الذي يشكل جزءاً من شبكة مباحث وطنية تتولى قضايا جرائم تتخطى نطاق عمل الشرطة المحلية.

قرر الرجلان عدم استعجال الامور نظراً الى أن الرسالة حددت الاول من سبتمبر (أيلول) موعداً نهائياً. وقال فليمنغ: "لندع القلق يتملكه. أجبروه على شراء الصحيفة كل يوم."

وفي ٣١ أغسطس (آب) اليوم الأخير قبل الموعد المحدد، وضع المحققان الاعلان المطلوب في الـ"دايلي تلغراف" وأضافا اليه رقم هاتف آملين استدراج المبتز. فجاء كالآتي: "ساندرا، عيداً سعيداً. أود المساعدة. يجب أن نتكلم. الهاتف ٥٠٠٠٦٥ — ٠٦٦٤. المحب، جون."

مراقبة ليلية

مضت خمسة أسابيع من دون جواب. فساور ايان ليسي أمل أن تكون القضية في حكم المنتهية، ورتّب اجتماعاً مع ممثلي "بدغري" في مقهى خارج بلدة ملتون موبري في ٧ أكتوبر (تشرين الاول). ولكن ما إن انفضّ الاجتماع، حتى تلقى دونكان مكالمة تدعوه الى الاتصال بمكتبه. وأُخبر أن الشركة تلقت من المبتز رسالة جاء فيها: "اطلعنا على ردكم. لن نكلمكم هاتفيا، فليس هناك ما نبحث فيه."

وفصّلت الرسالة أن الحسابات مودعة باسم جون وساندرا نورمان في ثلاثة مصارف مختلفة، وعلى الشركة ايداع ما مجموعه ١٠٠ ألف جنيه استرليني في موعد أقصاه ١ نوفمبر (تشرين الثاني) "وإلا بدأ تنفيذ التهديد السابق."

حاول ليسي مرة أخرى الافادة من عامل الوقت منتظراً ٢٨ أكتوبر (تشرين الاول) قبل ايداع مبلغ ٥٠٠٠ جنيه (نحو ٩٠٠٠ دولار) من أموال "بدغري" في اثنين من الحسابات الثلاثة. وبذلك اكتشف أمراً صغيراً اعتبره ضرباً من حسن الحظ: وحده حساب مصرف هاليفكس ظل مفتوحاً، أما المصرفان الآخران فقد أقفلا حسابي المبتز بعدما ضاقا ذرعاً بمراسلاته المرتجعة.

وفي ما عدا هذا التقدم اليسير ظل المبتز ممسكاً بمعظم الاوراق الرابحة، اذ ما زال في وسعه أن يسحب من حسابه في هاليفكس مبالغ تصل الى ٣٠٠ جنيه (نحو ٥٤٠

دولارا) يوميا من ١٠٦٦ ماكينة نقد منتشرة في أنحاء البلاد بحيث يستحيل على الشرطة وضعها تحت مراقبة دائمة.

وفي الساعة ٩،٢٩ من مساء ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ سحب المبتز أول ٣٠٠ جنيه من ماكينة نقد هاليفكس في بلدة ريدنغ البعيدة ٦٥ كيلومترا من غرب لندن. وخلال الايام العشرة اللاحقة أجرى ثمانية سحوب أخرى من نقاط مختلفة في البلاد. واذ لم يكن لدى ليسي سبيل آخر لمواصلة الاتصال به، نصح شركة "بدغري" بايداع الحساب مبلغ ١١ الف جنيه استرليني (نحو ٢٠ ألف دولار) خلال الشهر اللاحق.

بعد فورة السحوب الاولية بدأ ثمة نمط يتشكل، اذ راح المبتز يستخدم مزيداً من ماكينات النقد في ناحية من بريطانيا تقع جنوب لندن وشرقها. فنظمت شرطة لسترشاير بالتعاون مع اسكوتلنديارد حملة مراقبة ليلية في مواقع منتقاة.

وتحدث ليسي الى مجموعة من رجال اسكوتلنديارد: "نحن واثقون بأن المبتز لن يستخدم بطاقته النقدية خلال ساعات العمل لأن الكمبيوتر سينذر موظفي هاليفكس على الفور. وهو، الى الآن، أجرى سحوبه في العشية. لذلك، اذا راقبنا ماكينات هاليفكس من ساعة اقفال المكاتب الى ساعة توقف الماكينات عن العمل في منتصف الليل، فسنحظى بفرصة جيدة للقبض على أحد ما."

ومتى وضع المبتز بطاقة السحب الرقمية في احدى ماكينات النقد، انكشف ذلك للحال لرجال الشرطة المرابطين في مصرف هاليفكس وأمكنهم الاتصال لاسلكيا بفرق المراقبة لضبط الساحب.

بدأ التنفيذ في ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) بهمّة ١٥٠ شرطيا توزعوا مجموعات ثلاثية (ومجموعة احتياط) قبعت تراقب ٤٩ ماكينة نقد في شرق لندن. لكن المبتز، عن غير قصد منه، سحب المال تلك الليلة من دونكستر البعيدة ٢٦٢ كيلومترا من شمال لندن حيث لم يرابط أي فريق مراقبة.

بعد أربع ليالٍ جلس ليسي في مقر اسكوتلنديارد يتابع العمليات هاتفيا كأنه صياد يتحين الفرص للأنقضاض على طريدة. فبوجود كل هذه الفخاخ المنصوبة لا بد من أن تقع الطريدة في أحدها عاجلا أم آجلا.

رن جرس الهاتف، فالتقط السماعة وقلبه يتوثب ترقبا. قال له مكلمه: "انه يسحب... من بلاكبول."

لكن ليسي لعن حظه لأن بلاكبول تقع على الساحل شمال غرب انكلترا حيث لا فريق مراقبة. وللحال اتصل بشرطة بلاكبول طالبا تسجيل أرقام السيارات المغادرة مداخل المدينة ليصار الى تتبع أصحابها عبر مصلحة تسجيل السيارات والتحقيق مع أولئك الذين يقطنون في الجنوب الشرقي حول ما كانوا يفعلونه في بلاكبول تلك الليلة. الا أن

التحقيق لم يكشف أي أسماء مريبة.

وكان المبتز سحب ما مجموعه ٧٨٠٠ جنيه استرليني (نحو ١٤ ألف دولار). لكن ذلك لم يكفه. فكتب في ٥ ديسمبر (كانون الاول) رسالة الى شركة "بدغري" يطلب تعويم حسابيه الآخرين. وكان مراده واضحاً وهو أن يتوافر له خيار أوسع من ماكينات النقد.

جاء في الرسالة: "زاد المبلغ المطلوب الآن الى ٥٠ ألف جنيه استرليني (نحو ٩٠ ألف دولار) تودّع كلاً من الحسابات الثلاثة سنويا ولمدة خمس سنوات. ادفعوا ما عليكم وإلا فلن نتردد في وضع معلبات مسممة من صنف "بدغري تشام" في خمسة مخازن كبرى في أنحاء مختلفة من البلاد."

وتأكيداً لهذا التهديد، ظهرت في اليوم التالي أول علبة مسممة. واتصل مجهول بالشرطة مستخدماً رمز "روميو وجولييت" المشار اليه في رسائل المبتز، ليدلها الى مخزن وُضعت فيه علبة "بدغري تشام" تضمنت المواد الكيميائية القاتلة اياها التي استخدمت في العلبة المرسلة الى "بدغري" في أغسطس (آب) الفائت.

لعبة شنيعة

لجأ ليسي في خطوته التالية الى تتبع طريقة المبتز في فتح حساباته المصرفية. وتولى بات فليمنغ هذه المهمة وأحالها على الفريق الجنائي الاقليمي التابع لشرطة العاصمة في ضاحية باركنغسايد.

وسرعان ما أكبَّ على القضية ٢٤ رجل مباحث من شرطة باركنغسايد بامرة المفوَّض غافن روبرتسون، وهو رجل مرح الطباع عريض المنكبين في الحادية والاربعين من عمره. ومعروف عن فليمنغ وروبرتسون أنهما يعملان معاً بتوافق وانسجام، وقد كان والداهما قبلهما ضابطي شرطة.

اعتاد فريق روبرتسون مراقبة أنشطة المجرمين المعروفين، لكن مهمته هذه المرة تناولت التحقيق في جريمة ارتبكها "أشخاص مجهولون." وحاول أعضاء الفريق، مستعينين بخريطة في غرفة العمليات، تحديد المكان الذي يفترض أن يعتمده المبتز في خطوته التالية. وبلغت بهم الحماسة حد الرهان على ذلك. ففي كل صباح، كان كل منهم يضع ٥٠ بنساً (نحو ٩٠ سنتا) في قبعة ويخمن موقعا محتملا. وفي اليوم اللاحق يربح الاقرب في توقعه كامل المبلغ المتجمع. لكن الرقيب لن هيندز كان واحداً من كثيرين لم يستطيعوا مقاربة الربح ابداً. فقال: "ان تحديد الموقع الصحيح لشبيه باصابة نقطة وسط دائرة بسهم مريَّش وأنت مغمض العينين."

غير أن رسالة وردت في ١٥ ديسمبر (كانون الاول) أعادت الالحاحية الى عملهم.

ذلك لأن المبتز، وقد ضاره البطء الذي لازم ملء حساباته، طالب بزيادة المبلغ الى ٢٠٠ ألف جنيه استرليني (نحو ٣٦٠ ألف دولار) تدفع سنويا لمدة خمس سنوات لاحقة. قال: "كان عليكم التقيد بالموعد النهائي... نحن على استعداد لتلويث جميع أصنافكم تباعا."

وفي اليومين اللاحقين تلقت الشرطة مكالمات هاتفية من مجهولين قادتها الى خمس علب أخرى من طعام الكلاب المسموم. وفي ١٩ ديسمبر (كانون الاول) أودعت "بدغري" حسابات المبتز ٨٠٠٠ جنيه استرليني (نحو ١٥ ألف دولار) نزولاً عند نصيحة الشرطة.

مرت بالمحققين لحظات شعروا فيها بأنهم على وشك الانقضاض على طريدتهم. فبمراجعة لوائح كمبيوتر هاليفكس بانت لهم أسماء وعناوين لأصحاب حسابات استخدموا ماكينات النقد قبل المبتز أو بعده مباشرة. فانتشر ١٢ شرطياً سريا عبر البلاد محاولين استبيان أوصاف المبتز. وأخيراً حصلوا على بعض التفاصيل من شاهد عيان قال: "انه رجل يعتمر خوذة درّاج سوداء ويرتدي معطفا عسكرياً زيتي اللون يصل الى الردفين. وهو مربوع القامة طوله نحو ١٧٠ سنتيمتراً."



وكانت الشرطة ثبتت كاميرات فيديو قبالة عدة ماكينات نقد لتصوير كل من يسحب مالاً بعد ساعات الدوام. وسرعان ما ورد نبأ أحيا الامل في نفس ليسي، اذ جاءه شرطي يقول: "لقد التقطنا صورة الرجل على الفيديو." ولكن ما ان شاهد ليسي الصورة حتى تهاوت آماله. فوجه الرجل كان غير مرئي تحت مقدم الخوذة.

واذ خلت الساحة من دلائل أخرى، شرعت الشرطة في تنفيذ عملية مراقبة أوسع نطاقاً. وفي منتصف يناير (كانون الثاني) بدأ ٢٠٠٠ شرطي وفدوا من



المفوّض غافن روبرتسون.

PHOTOS: © IAN BRADSHWA

أنحاء بريطانيا مراقبة ٧٠٠ ماكينة نقد، أي نحو ثلاثة أرباع ماكينات هاليفكس الموزعة في أرجاء البلاد.

ولكن ما ان بدأت هذه العملية حتى عاد المبتز الى تغيير نمطه على نحو محيّر. وفي ١٨ يناير (كانون الثاني) سحب مبلغاً أخيراً لم يسحب غيره خلال الاسابيع الخمسة اللاحقة.

في تلك الاثناء واصل المبتز والشرطة لعبة "القط والفأر" الشنيعة. فانبرى رجال الشرطة وموظفو المخازن الكبرى لانزال علب مسمومة عن رفوف مخازن في خمس مدن بعد تلقي مكالمات من مجهول. وواصل المبتز تعديل مطالبه وقد أغضبه فشله في لفت الانظار. ونزولا عند نصيحة الشرطة، واصلت "بدغري" الدفع بمقدار يكفي لاستمرار اللعبة.

استحوذ الحديث عن القضية اهتمام محققي باركنغسايد حتى كاد يتحول موضوعاً للتندر. ومازح أحدهم الشرطي المتقاعد رودني ويتشلو قائلاً: "انها لا شك مهمة تحتاج الى دماغك الخارق." وكان ويتشلو ما زال يُطلب في المحاكم لعرض قرائن في قضايا عالقة من أيام عمله، وغالبا ما كان يزور دوائر الشرطة لجمع الوثائق والبينات.
وكان روبرتسون توافاً للحصول على المساعدة من أي مصدر ممكن، فلجأ الى عقد جلسات متكررة مع فريقه ليتبين ما اذا توصل أحد العناصر الى أي دلائل أو قرائن جديدة. وبعد جلسة ليلية طويلة قال المفتش طوني درين برما: "انه مجرم عصري بكل معنى الكلمة. فهو لم يُقْدم على أي خطوة ناقصة."

طعام أطفال مسموم

أخذت القضية في ٢٠ مارس (آذار) ١٩٨٩ منحى يبعث على القشعريرة. ففي ذلك اليوم وصلت الى دائرة الشرطة في لستر رزمة داخلها علبة من طعام الاطفال الجاهز الذي تنتجه شركة "هاينز" ورسالة جاء فيها:

"بات جلياً أن ذيوع الامر يقتضي وقوع ضحية. لقد سممنا العينة المرفقة. ويتعذر شم الابخرة السامة وسط الرائحة الطبيعية لطعام الاطفال. إن تناول طفل ملعقة واحدة من هذا الطعام كفيل بارساله الى غرفة الطوارىء. وقد تطعم الأم طفلها معظم محتوى العلبة من دون أن تلاحظ شيئاً مريبا.

"سنترقب اعلانكم (الى ساندرا من بوب) في الزاوية المعتادة يوم ٢٧ مارس (آذار). فاذا لم يتضمن الاعلان ما مفاده أن مبلغ ١٠٠ ألف جنيه استرليني (نحو ١٨٠ ألف دولار) قيِّد في كل من الحسابات الثلاثة، فسوف نبدأ التنفيذ. ولن نتوقف حتى تسدد هاينز المبلغ المحدد."

جهز المدير العام في شركة "هاينز" فريقا ادارياً من ثلاثة رجال لمواجهة التهديد، وكلف أحد أعضائه التنسيق مع الشرطة ومع موظفي "بدغري" الذين تابعوا القضية. لقد باتت شركة "هــج. هاينز" هدف المبتز الرئيسي. ولما كان مقرها في غرب لندن، ونظراً الى اتساع نطاق التهديدات، قرّ الرأي على أن يتولى بات فليمنغ التحقيق في القضية بدلا من ايان ليسي وشرطة لستر.

جلس فليمنغ في مكتبه القائم في الطبقة الرابعة من مقر شرطة المدينة، وراجع مجمل التحقيقات مع غافن روبرتسون الذي انتقل من باركنغسايد ليساعده في القضية. كان في متناولهما بعض أفضل ما في العالم من أجهزة كمبيوتر ونظم معلومات ومعدات مراقبة وكل ما يلزم من دعم علمي وتحليل جنائي. ولكن هل يجدي كل ذلك؟

لم يصادف فليمنغ قضية كهذه طوال ٢٥ عاماً من عمله في دائرة المباحث الجنائية. كما لم يشهد في تحقيقاته، التي شملت نحو ٤٠ جريمة قتل وأعداداً لا تحصى من الجرائم الكبرى، قضية تماثلها صعوبة. فالمجرم لم يترك أي أثر أو دليل يمكن اقتفاؤه. رسائله مستنسخة، وانذاراته المحتواة في المعلّبات المسممة مخرَّمة على أشرطة بلاستيكية سوداء متوافرة بكثرة. وهو لم يترك بصمات ولا غير ذلك من الادلة الجنائية.

ازاء ذلك كله هتف فليمنغ غاضبا: "لقد نجح صديقنا حتى الآن في ابتزاز نحو ١٨ ألف جنيه استرليني (نحو ٣٢ ألف دولار) من الشركتين. ومع ذلك لم نتوصل الى أي أثر، وإن ضئيلا، يدلنا على هويته، ولم نتقدم أي خطوة في مساعينا. علينا أن نحسِّن فرصنا بطريقة ما."

بُرمجت ماكينات هاليفكس بحيث تعلق فيها بطاقة المبتز عندما يسحب المال لاحقا أملا بالحصول على بصماته أو استفزازه للظهور على نحو ما. وفي الساعة ٩،٤٤ من ليل ٢٨ مارس (آذار) انزلقت البطاقة في احدى ماكينات النقد وعلقت. وحين فحصت تبين أن المبتز لم يترك عليها أي بصمات. ووجدت الشرطة نفسها مجدداً أمام طريق مسدود.

لم يمضِ أسبوع على ذلك حتى أعلن المبتز في رسالة الى مخفر شرطة لستر: "أجبرتمونا على وضع السموم على الرفوف... أنتم أوضحتم أنكم لا تودون الدفع. ونحن بدورنا نوضح لكم أن هاينز وبدغري ستخسران مبالغ تفوق كثيراً ما تتوخيان ادخاره."

كان روبرتسون يُعنى بحديقة منزله يوم السبت في ٨ ابريل (نيسان) عندما تلقى مكالمة هاتفية عاجلة من فليمنغ، قال له: "لدينا حالة تسميم طارئة أود أن تطّلع على تفاصيلها."

تحدثت السيدة جنيفر بوسون الى روبرتسون. فأخبرته أنها كانت تعدّ وجبة لكلابها،

فأفرغت في الوعاء علبة من طعام الاطفال الذي تنتجه "هاينز"، فاندلق بعضه على يدها وأحست كأنما شيء لسعها، وحتى بعد غسل يدها ظلت عليها بقعة حمراء ملتهبة.
كما اشتمت رائحة تشبه رائحة الامونيا (النشادر) وأحست وخزاً مؤلما في عينيها.
واذ راحت تنقب في الوعاء بملعقة، وجدت دبوسين وشريطا بلاستيكيا أسود كتب عليه: "مواد مسمومة. في المتجر ثلاث علب أخرى من منتجات هاينز لا تحمل تحذيراً..."
سأل روبرتسون السيدة بوسون قبل انصرافه عن بقعة حمراء ظاهرة على خدها، فأخبرته أنها نجمت عن وضع يدها على خدها "بعد" غسلها من الطعام المسموم.
وعندما التقى فليمنغ قال له: "تصور مدى تأثير هذه المواد في حنجرة طفل. اننا في صدد مهووس لا يرتدع عن أي أمر."
أكدت التحاليل الجنائية لاحقاً أن علبة الطعام الملوث احتوت على نحو ٣٠ غراماً من السم، أي ما يكفي قتل أكثر من ٢٠ طفلا.
أما الآتي فكان أعظم. ففي ١٦ أبريل (نيسان) جلست السيدة هيلين كوبوك تطعم طفلتها فكتوريا البالغة من العمر ١٨ شهراً. فلاحظت أن الطفلة تمضغ شيئا صلبا. فمدت يدها الى فمها وأخرجت منه قطعة من شفرة حلاقة. ثم لاحظت مرغوبة أن شظايا أخرى وقعت أرضا عندما فتحت العلبة.
وللحال نقلت فكتوريا الى المستشفى حيث أظهرت الفحوص أنها لم تبتلع أيا من كسر الشفرة مع أن جرحا ظهر في فمها. وبينت التحاليل المخبرية أن العلبة حوت ثماني شظايا ورسالة على شريط بلاستيكي جاء فيها: "في المتجر أيضا منتجات مسممة من كتشاب وفاصولياء هاينز.".

من يقتل أطفالنا؟

بعد هذين الحادثين أصدرت الشرطة تحذيراً بثتهما الاذاعة والصحافة المحليتان.
وواجه فليمنغ قراراً مؤلما: أيتوجب على الشرطة الآن بث انذار وطني شامل؟
إن فعلت فسوف تهبط مبيعات "هاينز" و"بدغري" وغيرهما من شركات المواد الغذائية على نحو مريع. وأخطر من ذلك ما قد يستتبع الاعلان من موجة تقليد تهدد بمزيد من الاذى وتغرق المحققين وتضعف فرص القبض على المبتز المراوغ.
بيد أن الاهتمام بالسلامة العامة ينبغي أن يأتي أولا.
عقد فليمنغ في ١٨ أبريل (نيسان) ١٩٨٩ مؤتمراً صحافيا في مقر اسكوتلنديارد أطلق فيه انذاراً بوجوب "التدقيق في المشتريات بعناية فائقة، فمن المحتمل أن تكون الملوَّثات مؤذية، الا أن كشفها ممكن بواسطة الشم والنظر."
ولم تمضِ أيام حتى سيطر الذعر على الناس. وتحدث أحد الوزراء في مجلس

العموم عن عزم الحكومة على مقاومة جميع المحاولات الرامية الى "ارهاب المستهلك." وراحت الصحف تنشر كل صباح صوراً لاطفال يُنقلون الى المستشفيات بعد تناولهم أطعمة لوثت بالزجاج والخشب والمعادن والدبابيس وشفرات الحلاقة بأيدي مجرمين شاؤوا تقليد المبتز. وتساءلت الصحافة بغضب: "مَنْ يحاول قتل أطفالنا؟"

خلال الاسابيع الثلاثة التي تلت المؤتمر الصحافي تحولت تحقيقات فليمنغ عن مجراها الاساسي نتيجة ١٣٠٠ حالة تسمم جديدة نُسِب معظمها الى مهووسين، كما نُسبت قلة منها الى انتهازيين أملوا ابتزاز شركات الاطعمة لكي تدفع لهم مبالغ فورية في مقابل سكوتهم عن "أضرار" ألحقوها بأنفسهم عمداً.

اشتد تذمر الناس والصحافيين والسياسيين وطالبوا باجراءات سريعة لمعالجة الوضع. فبلغ الضغط على فليمنغ أشده، فهو أب لأربعة أولاد، ويفهم حقاً قلق الآباء والامهات. لكن قلة من الرجال تستطيع ادارة التحقيقات بمثل ما له من مهارة ومؤهلات.

please call. A still ...

JULIET · Very worried about the babies. Must talk privately. H.

MARY I have been faithful for ...

كان فليمنغ أحد أبرع مفاوضي شرطة العاصمة في قضايا الرهائن. وهو خضع على مدى سنوات لتدريبات صارمة لدى مكتب التحقيقات الاتحادي «FBI»[٦] في كوانتيكو بولاية فرجينيا الامريكية، وشارك في بضع عشرة قضية كبرى شملت رهائن. وهو يفهم تماما عملية الاخذ والرد المستهلكة للوقت التي يتطلبها دفع المجرم الى ارتكاب أخطاء أو اغواؤه للتحاور والشرطة. لكنه في هذه القضية وجد نفسه مضطراً الى التعامل والمجرم من دون أي اتصال مباشر ومن خلال ماكينات النقد ورسائل التهديد والاعلانات.

في نهاية المطاف تدبر فليمنغ مع روبرتسون خطة ركزت على "هاينز." قال فليمنغ: "سنحاول اجراء اتصال مع المبتز مدَّعين أننا نمثل هاينز. من السهل أن تبدو هاينز قلقة لما لحقها من خسائر ومستعدة لعقد صفقة خِفْية عن الشرطة."

وضع الرجلان اعلاناً في زاوية رسائل القراء في صحيفة "دايلي تلغراف" مستخدمين أحد رموز المبتز: "جولييت، انا قلق على الاطفال. علينا أن نتحدث شخصياً. هـ."

نُشر الاعلان مرتين قبل أن تعضّ السمكة الطعم. وفي رسالة موجهة الى رئيس جهاز أمن "هاينز" في ١٧ أبريل (نيسان) أشار المبتز الى زاوية رسائل القراء

(٦) Federal Bureau of Investigation

مضيفا: "لا تعلموا الشرطة بأنكم تلقيتم هذه الرسالة... إنْ أردتم محادثتنا سراً، قيدوا المبالغ في الحسابات واجعلوها في متناولنا. عندئذ فقط نصبح على استعداد للدخول معكم (وليس مع الشرطة) في حوار خاص."

لكن الامل باتصال مباشر بددته رسالة أخرى تلقتها "هاينز" في ٢٥ مايو (أيار) وجاء فيها: "نحن على وشك العودة بروح ثأرية... فلئن كنا سنحاكم بجريمة قتل، فحري بنا أن نستحق المحاكمة. لكننا على ثقة بأننا لن نُمسَك أبداً. ان موت طفل آخر لن يغير الاحصاءات كثيراً، لكنه سيضمن أن أحداً لن يتجاهلنا بعد الآن."

أضافت الرسالة أن على شركة "هاينز"، تحاشياً لدمارها، فتح ثمانية حسابات مصرفية بأسماء حددها المبتز، وايداعها مبلغ ٥٠ ألف جنيه استرليني (نحو ٩٠ ألف دولار) وارسال البطاقات النقدية وأرقام التعريف الشخصية الى ثمانية مكاتب بريدية.

راعت "هاينز" أصول "السرية التامة" في تنفيذ طلبات المبتز مع ابقاء الشرطة مطلعة على كل تفصيل. وبعد فتح الحسابات المطلوبة وأيداع مبلغ ١٩ ألف جنيه استرليني (نحو ٣٤ ألف دولار) وارسال البطاقات النقدية، نشرت الشرطة اعلانا آخر جاء فيه: "ماريان، جعلنا المنزل جاهزاً لاستقبالك. أرجوك العودة. المحب، أرنولد."

اكثر من حظ

نظمت الشرطة في ١٩ يونيو (حزيران) حملة مراقبة معقدة ومكلفة في نطاق العناوين البريدية الثمانية التي حددها المبتز والتي توزع أربعة منها في لندن والبقية في أنحاء البلاد.

لكن شيئاً لم يحدث. وكان ذلك غريباً مما جعل فليمنغ يجهر بالشك الذي خامره طويلا وبات قناعة راسخة لديه. فسأل روبرتسون: "أتعتقد أن بيننا مخبراً؟ كيف تفسر ابتعاد المجرم كلما اقتربنا منه؟ لا أعتقد أن للحظ دوراً في كل ما يحصل."

فأسرَّ روبرتسون بما ساوره هو أيضاً: "وكيف نكشف المخبر بيننا؟ هناك ٢٩ ألف رجل في شرطة العاصمة و١٨٠٠ في شرطة لستر ونحو ٢٠ ألف مدني يعملون في قوَّتي الشرطة هاتين. واذا ما أضفنا اليهم العاملين في بدغري وهاينز والمصارف ممن قد تتناهى اليهم معلومات عن عملياتنا، فسنغدو في صدد نحو ١٠٠ ألف شخص. فكيف نستطيع اخفاء الامر عن هذه الاعداد الهائلة؟"

في ذلك الوقت لم يتبقَّ لدى الرجلين خيار سوى المضي في العملية ومواصلة الضغط. ولو احتاجا الى ما يذكّرهما بقساوة ندّهما لما وجدا أفضل مما حدث في ٢٩ يونيو (حزيران). ففي ذلك اليوم، فيما كانت السيدة لين برادبري في مطبخها تحرك مرقة من منتجات "هاينز"، وجدت في المقلاة قطعا من شفرة حلاقة، ولاحظت أن

WN&LYVM.

GRATEFUL THANKS to SHJ and St Jude. Please continue. CG.

MARIAN - We have made the home ready for you. Please come back. Love Arnold.

MAUREEN - Congratulations on reaching the "Life Begins" stage. My

المرقة ترغي وتزيد على نحو لم تألفه. كان السم الذي حوته قويا بحيث ذوَّب بطانة المقلاة.

فأضيف التقرير عن هذا الحادث الى سيل من التقارير التي أغرقت مكاتب اسكوتلنديارد حيث أكب ٢٥ موظفا على تلقيم أجهزة الكمبيوتر تفاصيل افادات الضحايا وشهود ماكينات النقد ورجال المباحث وموظفي المتاجر وتقنيي المختبرات. وفي نهاية التحقيق اختزن الكمبيوتر المسمى "هولمز" معطيات تضمنت نحو ٢٠ ألف اسم لشهود وضحايا ومشبوهين و٨٠٠٠ رقم للوحات سيارات.

واذ تفحَّص روبرتسون خرائط سحوب المبتز لاحظ أنه في تاريخ ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ استخدم احدى ماكينات نقد هاليفكس في بلدة ابريستويث الواقعة على ساحل ويلز. وفي ما عدا ذلك كانت جميع سحوبه قريبة من الطرق الرئيسية. فتساءل: "ما سبب انعطافه مسافة تستغرق ساعتين ونصف ساعة الى تلال ويلز؟ هل يقطن هناك؟ أم إنه قصد هذا المكان لسبب معين؟"

أبرزت التحقيقات دليلين جديدين. ففي ليل ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) عُقد في ابريستويث مؤتمر لموظفي مصلحة الهاتف في بريطانيا تزامن ومجيء فريق تلفزيوني لتصوير مهرجان خيري. فهل من الجائز أن يكون أحد المشاركين في هذين الحدثين تسلل الى ماكينة النقد؟ لم يجد المحققان بدأ من التدقيق في أسماء عشرات الاشخاص للتحقق مما اذا كانت لهم سجلات اجرامية ومما اذا كانت تحركاتهم خلال الاسابيع المنصرمة مطابقة لتحركات المبتز.

ولم يمضِ وقت قصير حتى تلقى روبرتسون من الرقيب هيو ماكدويل مكالمة هاتفية خفق لها قلبه: "أعتقد أننا حققنا نجاحا باهراً." واذ سأله عما حدث أخبره هذا أن مصادفة سعيدة حدثت. فقد كانت الشرطة تراقب مشبوهين في تعمُّد حرائق، فسجلت أرقام لوحات السيارات الداخلة ابريستويث والخارجة منها ليل ١٨ نوفمبر.

دقق المحققون في أرقام ألوف السيارات لدى مصلحة تسجيل السيارات لمعرفة أصحابها. ثم دققوا فيها ثانية لدى كمبيوتر الشرطة لمعرفة ما اذا كان أي من هذه السيارات مفقوداً أو مسروقاً. وأخيراً لجأوا الى تلقيم الكمبيوتر "هولمز" النتائج المتوافرة لتحديد أي تطابق بين أسماء الاشخاص وأرقام السيارات المسجلة وتلك المختزنة في ذاكرته.

ولكن لم يتضح أي تطابق.

وفيما التدقيق جار واجهت الشرطة عقدة أخرى محيرة. ففي الساعة ٥،٤٠ من عصر ١٨ يناير (كانونً الثاني) ١٩٨٩ سحب المبتز ٣٠٠ جنيه استرليني (نحو ٥٤٠ دولارا) من ماكينة نقد قرب دوفر، ولم يُقْدم بعد ذلك على سحب أي مبلغ حتى ٢٨ فبراير (شباط). فهل يكون ركب تلك الليلة معدِّية أقلته بحراً الى أوروبا حيث أمضى خمسة أسابيع؟

تكدست على طاولات اسكوتلنديارد في الايام اللاحقة أكوام من بيانات السفن تُظهر أرقام السيارات المنقولة بحراً بين ١٨ و١٩ يناير (كانون الثاني). وجاب رجال المباحث أنحاء بريطانيا لمقابلة أصحاب هذه السيارات. ولُقِّم الكمبيوتر أكداساً من الافادات. لكن "هولمز" لم يتمكن من مطابقة أي رقم بين تحقيقات دوفر وابريستويث.

شرطي فاسد

أصبح التحقيق في قضية الاطعمة المسممة في مصاف أكبر التحقيقات الاجرامية التي شهدتها بريطانيا. وغالباً ما كان روبرتسون وفليمنغ يقضيان فترة الغداء سائرين في حديقة سانت جايمس القريبة هرباً من أكوام الاوراق ومن المكالمات الهاتفية المتواصلة، ولكي يتسنى لهما التفكير عميقاً في تعقيدات القضية.

قال روبرتسون لزميله: "أنت تدرك أننا لم نتوصل الى أي جديد عن المجرم يزيد على ما بدأنا به قبل تسعة أشهر. حتى أننا لا نعلم ما اذا كنا نتعامل مع مجرم فرد أو مع عصابة."

فرد فليمنغ: "يخيل الي أنه مجرم فرد. فاصرار الرسائل على الاشارة الى عصابة ما يجعلك ترتاب في أن كاتبها قد يكون وحيداً. انه يبالغ في المحاولة."

وكان ثمة امر آخر دعم افتراض فليمنغ. ففي نهاية ابريل (نيسان) قر الرأي على تخصيص مكافأة مالية لمن يقدم معلومات تؤدي الى القبض على المبتز. وارتأى فليمنغ أن تكون المكافأة سخية "فلعلها تغري أحد أفراد العصابة الهامشيين."

بعد تداول الامر أعلن تخصيص مكافأة مقدارها ١٠٠ ألف جنيه استرليني (نحو ١٨٠ ألف دولار). لكن أحداً لم يستجب. فاستنتج فليمنغ أنه يطارد مجرماً منحرفاً يعمل وحيداً.

وفيما الرجلان يسيران يوماً في حديقة سانت جايمس طالعت روبرتسون رائحة الحشائش المجزوزة حديثاً، فخالجته رغبة مفاجئة في اللعب بالكرة مع ولديه في حديقة منزله. فهل من وظيفة تستحق تفويت هذا المقدار من الحياة العائلية؟ بن في التاسعة من عمره، وستيفن في السابعة. ولكم تاق الى أن يكون معهما يشهد نموهما عن كثب ويعيش تطلعاتهما.

كان روبرتسون نزّاعاً الى الحياة الاجتماعية. وغالباً ما كان زملاؤه رجال الشرطة يزورونه في بيته. وقبل بضعة أسابيع زاره زميله المتقاعد رودني ويتشلو سائقاً سيارة "بيجو" حمراء جديدة وأهدى الى الصبيين مجموعة من ألعاب الكمبيوتر لم يعد يستعملها. فارتاح روبرتسون لأن ولديه لن يتذمرا من الضجر بعد الآن.

مر صيف ١٩٨٩ من دون أن تسفر التحقيقات عن جديد. وتواصلت عمليات التسميم، كما استمرت مراقبة المكاتب البريدية الثمانية من غير جدوى. فاشتدت الضغوط مجدداً على فليمنغ، خصوصاً لأن كلفة عمليات المراقبة بلغت نحو مليون جنيه استرليني (نحو ١،٨ مليون دولار).

بيد أن الخامس من سبتمبر (أيلول) حمل حدثاً حوّل مسار التحقيق. ففي ذلك اليوم اطّلع فليمنغ على رسالة جديدة تلقتها شركة "هاينز" كانت استجابة متأخرة لعرض مكافأة المئة ألف جنيه المعلنة في أبريل (نيسان). وتبيَّن أن الرسالة لم تكن مطبوعة على الآلة الكاتبة مباشرة، بل منسوخة على الـ"ستنسل" وفيها أخطاء املائية عدة، ولم تكن في مستوى الاسلوب الكتابي الذي اعتمده المبتز في رسائله.

ادَّعى كاتبها أنه يعرف الاشخاص الذين يسربون المعلومات الى المبتز. إلا أنه لم يشأ الافصاح عن الاسماء لأن أصحابها هم "من رجال الشرطة الفاسدين."

الا أن ما أدهش فليمنغ كان معرفة كاتب الرسالة بما استخدمته الشرطة من عبارات مرمزة وتفاصيل لا سبيل الى الاطلاع عليها إلا لأعضاء فريق التحقيق أو أحد المقربين اليهم. وهذا بالتحديد ما جعل المبتز قادراً على سَبْق الشرطة خطوة واحدة.

وعندما تأكد فليمنغ من أن عدد موظفي "هاينز" المطلعين على الرسالة لا يتجاوز الثلاثة، كالم روبرتسون هاتفياً من مقر الشركة وقال له: "ينبغي أن نتحدث خارج المكتب."

التقى الرجلان في حدائق كنسنغتون وراحا يتداولان امر الرسالة. كان السؤال الاول الذي طالعهما: هل كاتب الرسالة رجل أم امرأة؟ وسرعان ما لاحظا تفاصيل كثيرة توحي أن الرسالة وردت من صديقة للمبتز لم يعجبها ما هو حاصل، خصوصاً لأنها تضمنت: "لا أريد أن يموت أحد."

بيد أن الرسالة حملت مطالب مالية، مبيِّنة أن حسابين فتحا في مصرفين باسمي ايان ونينا فوكس وينبغي "ايداعهما بعض المال كيما أستطيع اخباركم المزيد... أنا لن ألتقيكم ولن ألتقي الشرطة... اتصلوا بي باستخدام عبارة: من تشارلي الى دون."

فجأة جمد فليمنغ في سيره وقال: "ماذا لو كان المبتز والمخبر شخصاً واحداً؟"

في اليوم التالي قال فليمنغ لمساعده روبرتسون: "علينا الاستمرار في نشاطنا العادي وإلا علم المبتز أن هاينز اتصلت بالشرطة. مهما حصل فيجب أن يبدو الامر

كأن هاينز تعقد صفقة من وراء ظهرنا."

اعتمد فليمنغ خطة لم يطلع عليها سوى روبرتسون ورئيسه المفوض المساعد سيمون كروشو. ثم قال لمساعده: "سنسحب الرسالة الاخيرة من التداول العادي. وسنتأكد من أنها لن تصل الى مقر اسكوتلنديارد." وقر الرأي على ايداع المال، كما هو محدد، حسابَي ووليتش والاقاليم المحلية، وتنفيذ عملية مراقبة مستقلة.

عملية أجينكور

للحفاظ على سرية الخطة الجديدة التي أُطلق عليها اسم "عملية أجينكور"[٧] كان لزاما تنفيذها بعيداً عن اسكوتلنديارد. فاختار فليمنغ لذلك مقر ووليتش في ضاحية بكسليهيث المتاخمة لمدينة لندن، وبرمج الكمبيوتر على نحو يتيح الحصول على معلومات فورية عن أي سحوب تتم من حسابي ايان ونينا فوكس. ولتجهيز العملية بالرجال، اختار فليمنغ وروبرتسون شرطيَّين من فريق المباحث كانا غائبين ولا يمكن أن يكونا مسؤولين عن تسريب معلومات حديثة العهد، هما الرقيبان هيو ماكدويل ولين هيندن.

ولتنفيذ عمليات المراقبة قرر فليمنغ استخدام رجال يعملون عادة في جمع معلومات عن المنظمات الارهابية، لعلمه أن السرية ستكون بالنسبة اليهم شأنا فطريا واستحواذيا.

ولضمان أمن "عملية أجينكور" كان من الضروري تزويدها نظام اتصال لاسلكيا مستقلا بذبذبات لا تستخدمها أي دائرة شرطة أخرى. وأمَّن فليمنغ لفرق المراقبة أجهزة اتصال راديو[٨] تصلهم مباشرة بمركز المراقبة في بكسليهيث وتنبههم لدى استعمال بطاقات ايان ونينا فوكس في أي من ماكينات النقد.

وفيما العمل جار لاعداد "عملية أجينكور" أودعت الشرطة حسابي ايان ونينا فوكس في ووليتش والمقاطَعات المحلية مبلغ ٢٠٠٠ جنيه استرليني (نحو ٣٦٠٠ دولار) من شركة "هاينز." وفي ١٢ سبتمبر (أيلول) وضعت الشركة اعلانا في زاوية رسائل القراء في الـ"دايلي تلغراف" مستخدمة العبارة المرمزة التي اقترحها المبتز: "تشارلي، أنا موافق. سأمدك ببعض العون في أقرب فرصة. أرجو الآن أن تساعدني. دون." وهذا يعني: أخبرني الآن مَنْ هم المتورطون في المؤامرة.

ولم ينقضِ اليوم التالي حتى سحب المخبر مبلغ ٢٥٠ جنيها (نحو ٤٥٠ دولارا). لكنه بعث في ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ برسالة ثانية أفادت أنه سيكشف اسم رجل

(٧) نسبة الى النصر الذي حققته بريطانيا على فرنسا عام ١٤١٥.
(٨) Radio pagers

الشرطة الفاسد في الرسالة اللاحقة، وطالبت بمزيد من المال. واذ لم يكن هناك من خيار آخر فقد أودع مبلغ ١٧ ألف جنيه (نحو ٣١ ألف دولار) حسابي ايان ونينا فوكس.

لاحظ فليمنغ أن جميع السحوب تقريبا بقيت في نطاق الشرحة نفسها من جنوب انكلترا وشرقها على رغم وجود ٣٠٠٠ ماكينة نقد في أنحاء البلاد. كما تم معظمها في وقت متقدم من الليل. كان واضحاً أن المجرم لم يأخذ في الحسبان امكان حصول عملية توقع به.

Philip daлung. X.

CHARLIE. Agreed. Will provide some help soonest. Now help me. Dawn.

ARS Jer

واصل المحققون تتبع خطى المبتز. وقابلوا جميع الذين تزامنت سحوبهم وسحوبه. فزعم لهم أحد الشهود أن للرجل شعراً أسود يغطي ياقته، وأن طوله يقارب ١٧٠ سنتيمتراً، وأنه يعتمر خوذة درّاج. أما الجديد فهو أن لون الخوذة أصبح أبيض وسخا لا أسود.

وفي رسالة لاحقة سمّى المخبر "رجل شرطة فاسداً" هو مفتش سابق امضى سنوات كثيرة من خدمته في شرق لندن. وبعد تحقيقات مضنية استنتج فليمنغ أن لا علاقة للرجل بالقضية. وعزز هذا الزعم الكاذب قناعته بأن المبتز والمخبر شخص واحد.

في تلك الاثناء أخذت سحوب المتهم تضيق نطاقاً، وبقي أكثرها ضمن قطاع سهل البلوغ من حزام الطرق الذي يطوّق مدينة لندن. فعلق فليمنغ على ذلك قائلا: "اعتقد أنه ينحو الى التكاسل." وقرر ترك السحوب تتواصل خلال أكتوبر (تشرين الاول) كيما يتسنى له تبيّن نمطها بوضوح.

يوم عاد الرجلان الى تجوالهما في حديقة سانت جايمس سمع روبرتسون أوراق الشجر تتكسر تحت قدميه. لقد ولى الصيف ولمّا يتسنَّ له قضاء وقت يذكر مع ولديه.

بات فليمنغ على أهبة لنصب فخه. فاتصل روبرتسون بزميليه ماكدويل وهيندز في منزليهما وطلب منهما لقياه في أحد المقاهي من غير أن يخبرهما المزيد. ولما وصلا قال لهما: "لقد دأبنا على مراقبة المكاتب البريدية الثمانية منذ يونيو (حزيران)، إلا أن عمليتنا الاولى باءت بالفشل. علمنا ذلك من رسالة بعث بها مخبر يجوز أن يكون هو المبتز."

وطلب روبرتسون من الرجلين الالتحاق بمقر ووليتش في بكسليهيث من دون اثارة شبهات. فعمد ماكدويل في الصباح التالي الى طلب اجازة مرضية، فيما استأذن هيندز رؤساءه الغياب بحجة اصابة زوجته بمرض خطير.

أكب فليمنغ على دراسة نمط السحوب النقدية الاخيرة. وحدد ماكينات النقد الاكثر احتمالاً أن يلجأ اليها المبتز ليصار الى وضعها تحت المراقبة. فاختار ١٥ ماكينة توزعت في قوس امتد عبر شمال لندن وشرقها. وقدّر أن فرص الايقاع بالمجرم، الذي لم يستخدم أي ماكينة مرتين، ستزاد مع الوقت اذا استمرت مراقبة هذه الماكينات.

تطلبت مراقبة الماكينات الخمس عشرة ٣٠ شرطياً أُطلعوا في مقر اسكوتلنديارد على آخر المعلومات الواردة من الشهود. كما عُيِّن لكل ماكينة رمز ثلاثي الحروف، مثل «AAA» لمنطقة مسويل هيل و «BBB» لمنطقة ادمونتون. ورابط ماكدويل وهيندز في مركز مراقبة في بكسليهيث يتيح لهما تنبيه جميع فرق المراقبة في آن الى موقع المشتبه فيه.

جلس ماكدويل وهيندز قبالة شاشة مراقبة متصلة بكمبيوتر ووليتش المركزي. وتناوبا ضمن فترات من ٣٠ دقيقة على مراقبة الشاشة ومتابعة بيانات فرق المراقبة.

ما إن ألقم المشتبه فيه الرقم الرابع في بطاقة تعريفه ليل ١٣ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ حتى تراءى موقعه على الشاشة. فصاح ماكدويل: "بكسليهيث!"

فهتف هيندز: "لا فريق لنا هناك."

بكسليهيث؟ تبادل الرجلان النظرات. انهما في بكسليهيث! قفزا من مقعديهما وهبطا السلالم، ثم طويا شارع برودواي بكسليهيث راكضين مسافة ٣٠٠ متر الى ماكينة النقد وأنفاسهما تكاد تنقطع. لكن أحداً لم يكن هناك.

فعادا ذاهلين الى مركز المراقبة متحسرين لتفويتهما أهم فرصة في حياتهما المهنية، ألا وهي القبض على المجرم الذي طالت قضيته سنة كاملة. وبثّا الى فرق المراقبة التي كانت لا تزال قابعة في مواقعها رسالة بسيطة تضمنت «ZZZ» وهذا يعني أن المشتبه فيه أجرى سحبه تلك الليلة من ماكينة نقد غير مراقبة، وأنّ جميع الفرق تستطيع ترك مواقعها والعودة الى المنازل.

"هيا اخرج من السيارة"

مرت الليالي وعناصر فرق المراقبة يتلقون الرسالة اياها «ZZZ» فيعودون الى منازلهم خائبين.

ولم تكن بداية ليل ١٩ أكتوبر (تشرين الاول) أفضل حالاً. ففي الثامنة مساء، فيما كان ماكدويل وهيندز جالسين قبالة الكمبيوتر، انطفأت الشاشة. فحاولا اعادة تشغيلها مستخدمين جميع المفاتيح وأزرار التحويل. ولم يمضِ وقت قصير حتى تبين لهما أن عمالاً في ورشة بجانب مقر ووليتش قطعا سلك الكمبيوتر المركزي مما أدى الى توقف الاتصالات بجميع ماكينات النقد في أنحاء الجزر البريطانية.

على رغم ذلك لم تُسحب فرق المراقبة من مواقعها تحسباً لعودة الكمبيوتر الى العمل فجأة. ومرت الساعات. وما كاد الليل ينتصف حتى انصرف روبرتسون الى منزله بعد عمل مرهق دام ١٧ ساعة متواصلة.

في تلك الاثناء كان الشرطيان مارك كيرتون وستيف دونيلي أوقفا سيارتهما في جانب مظلم من موقف للسيارات في شمال لندن، وجلسا داخلها والريح تعصف بها وتهزها، منتظرين أن تطالعهما شاشتهما برسالة تنذرهما باقتراب المشتبه فيه من ماكينة النقد القائمة عند المنعطف.

بُعيد منتصف الليل أقبلت سيارة "بيجو" حمراء وتوقفت على بعد ٥٠ متراً منهما. فتمتم دونيلي: "من تراه يأتي الى هنا في مثل هذه الساعة؟"

اعتدل الشرطيان في جلستهما. كان الرجل يتناول شيئاً ما من المقعد بجانبه. خوذة درّاج بيضاء! خرج الرجل من سيارته وهو يعتمر الخوذة، فهمس كيرتون: "ما حاجة سائق سيارة الى خوذة دراج؟"

وللحال هرع الشرطيان خارجاً وتتبعا الرجل الى أن توقف عند ماكينة النقد القريبة وأخذ يضغط الازرار. لكنه ما لبث أن استدار مبتعداً خالي الوفاض، اذ كانت الماكينة ما زالت غير عاملة.

أكمل المحققان سيرهما متجاوزين الرجل وحاملين زجاجتين فارغتين كأنهما شابان خارجان من أحد المقاهي. ولم تمضِ لحظات حتى استدارا عائدين الى موقف السيارات ليجدا الرجل جالساً خلف مقود سيارته وقد خلع خوذته. فتقدم منه كيرتون فاتحاً باب السيارة، ثم ابرز له بطاقته آمراً: "لا تحرك يديك قيد أنملة عن المقود. قل لي ما حاجتك الى خوذة؟"

ارتسمت على وجه الرجل البدين الملتحي أمارات الدهشة والارتباك. وأجاب أخيراً: "إني استعمل الخوذة لدرء البلل."

فأمسك كيرتون بمعصميه وصاح فيه: "هيا اخرج من السيارة! سنفتشك."

ولدى تفتيش أولى جيوبه عثر دونيلي على بطاقة نقد. واذ تفحصها تحت ضوء الشارع تبين له أنها باسم ايان ونينا فوكس.

وبعدما استكمل البحث في جيوبه الاخرى قال له: "اني أقبض عليك بتهمة الابتزاز."

فرد الرجل متملقا: "رويداً، أنا أفهم ما تعنيه، لكني بريء." وفيما الشرطيان يكبلانه بالاصفاد انهار مغمى عليه.

سمع روبرتسون رنين الهاتف وهو يوقف سيارته أمام منزله قبيل الاولى بعد منتصف الليل. فهرع الى السماعة ليطالعه صوت ماكدويل: "أظنهم قبضوا على

مشبوه"، مضيفاً أنه تلقى مكالمة من دائرة الشرطة في شمال لندن أفادته أن ثمة موقوفاً نُقل الى المخفر المحلي.

اتصل روبرتسون بالمخفر فأخبره الرقيب المناوب: "لدينا رجل يدعي أنه شرطي سابق وأنه خدم في فريق الجنايات الاقليمي. اسمه رودني ويتشلو."

ويتشلو؟ الرجل الذي دعاه روبرتسون الى العشاء في منزله؟ الرجل الذي تعرف اليه ولداه وأحباه؟ أخيراً اكتملت الصورة وانجلى الالتباس. فالرجل هو من الزوار الدائمين لمقر فريق الجنايات في باركنفسايد، ولا يحتاج الى طرح أسئلة ليتبين مجريات الامور.

شعر روبرتسون بقشعريرة تسري في كيانه وتجمد أوصاله. فاتصل برئيسه فليمنغ وتواعدا على اللقاء في مخفر بادنغتون غرين حيث احتجز ويتشلو. وفي الساعة ٤،٢٠ صباحاً باشرا أغرب مقابلة أجرياها في حياتهما المهنية. وفيما تولى فليمنغ طرح معظم الاسئلة حملق روبرتسون في وجه زميله القديم كأنه يراه للمرة الأولى: اللحية السوداء التي وخطها الشيب، والعينان الزرقاوان الباردتان.

لماذا؟

[illegible]

تشبث ويتشلو بروايته خلال ثلاث ساعات من التحقيق المتواصل من دون أن يعترف بأي ذنب. ادعى أنه مجرد وسيط تلقى خمسة آلاف جنيه استرليني (نحو تسعة آلاف دولار) للحلول مكان المخبر. لكنه رفض تسمية المخبر مدعياً أنه قطع له وعداً بألا يفصح عن اسمه. وهو قَبِل القيام بهذا العمل بعد تردد آملاً كشف المبتز، تحدوه رغبة جامحة في مساعدة الشرطة لاماطة اللثام عن المجرم الشنيع.

تضمنت رواية ويتشلو تناقضات واضحة. وعندما أُعيد الى زنزانته هز روبرتسون رأسه قائلاً: "أكاد لا أصدق ما يجري، ولكن لا شك في أنه هو الفاعل."

وفي وقت لاحق من صباح ٢٠ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ مثل ويتشلو أمام القاضي الذي حكم بسجنه احتياطاً ريثما تجرى محاكمته.

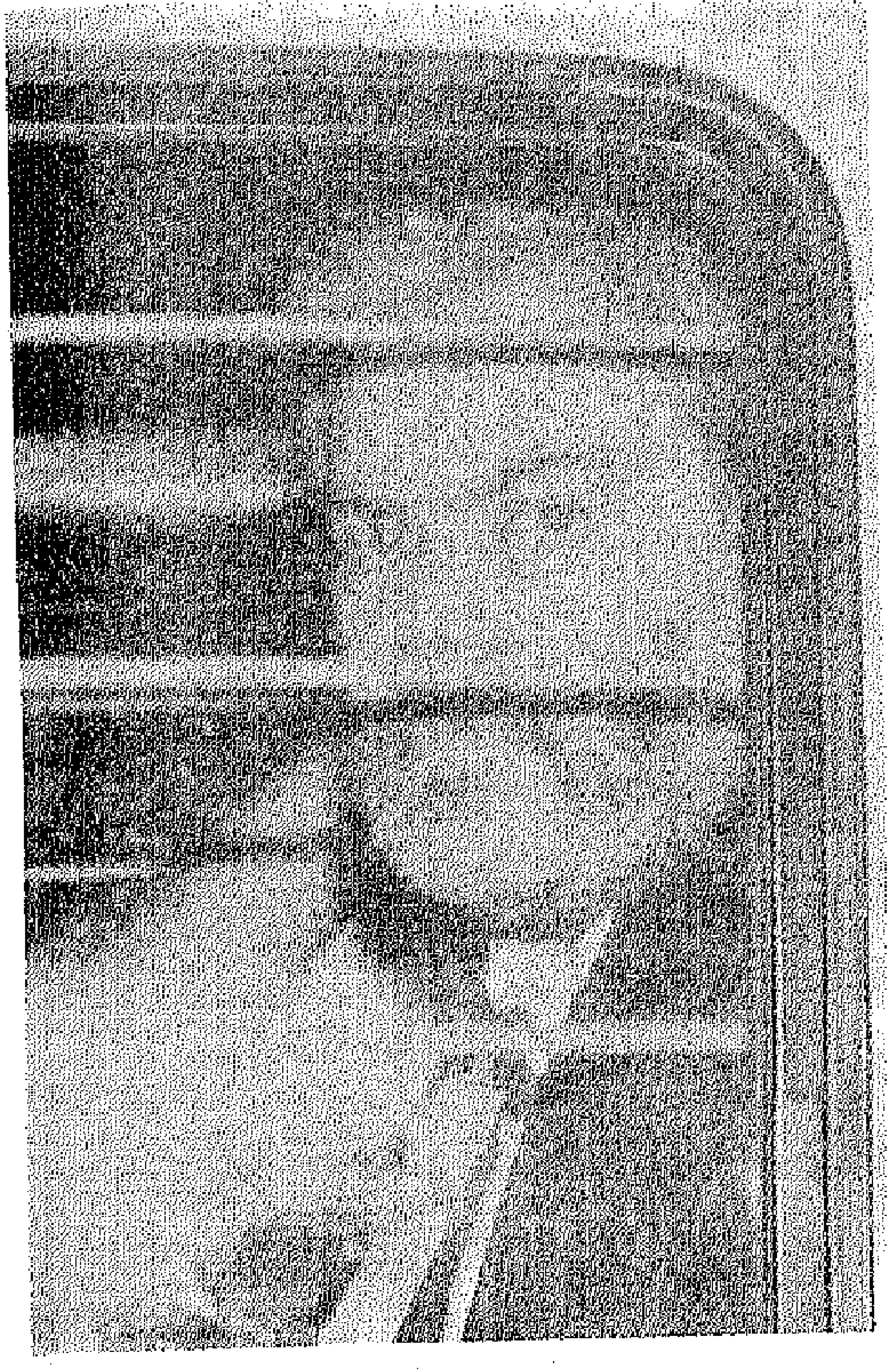
ولدى تفتيش منزل ويتشلو اكتشفت الشرطة سموماً ومعدات لتلويث الاطعمة وكسراً من شفرات الحلاقة التي كادت تقضي على الطفلة فكتوريا كوبوك. وهم وجدوا أيضاً ايصالات ماكينات النقد العائدة الى حساب جون وساندرا نورمان.

وباستجواب صديقة سابقة اكتشفت الشرطة الآلة الكاتبة التي استخدمها ويتشلو لطبع بعض رسائل الابتزاز من دون علم صديقته.

وعثروا في منزل صديقة أخرى على آلة كاتبة مخرَّمة من النوع المستخدم في طبع أولى رسائل الابتزاز الموجهة الى شركة "بدغري."

وعندما علمت الشرطة أن ويتشلو استخدم هاتفا نقالاً، استطاعت جمع أدلة تدينه بعدما زودتها شركة الهاتف جميع الارقام الهاتفية التي طلبها ومواقع هذه المكالمات ومواقيتها. فجاءت جميعها مطابقة لسحوب المبتز في الامكنة والازمنة اياها.

لكن تباينا ظهر في دفاع ويتشلو إبان محاكمته التي بدأت في ٨ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠، اذ لجأ الى اتهام غافن روبرتسون بأنه العقل المدبر للمؤامرة. كان ذلك دفاعاً يائساً خلط فيه ويتشلو الاكاذيب بواقع زيارته الاخيرة منزل روبرتسون حين أوصل ألعاب الكمبيوتر الى الصبيين. وفي نهاية المحاكمة التي استغرقت ١٠ أسابيع واختتمت في ١٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٠، وُجد ويتشلو مذنبا بـ١١ تهمة من أصل ١٦ تناولت الابتزاز وتسميم الاطعمة والتهديد بالقتل ومحاولة اقتناء المال بالاحتيال.



رودني ويتشلو في الطريق الى السجن.

وقدِّر أن أفعاله أدت بمصنعي المعلَّبات الى اتلاف نحو ١٠٠ مليون علبة طعام تبلغ قيمتها ببيع التجزئة (القطاعي) ٣٢ مليون جنيه استرليني (نحو ٥٨ مليون دولار). ومن أصل ٣،٧٥ ملايين جنيه (نحو ٦،٧ ملايين دولار) حاول ويتشلو ابتزازها من "هاينز" و"بدغري" بموجب ١٨ رسالة تهديد، حصل على ٣٢ ألف جنيه (نحو ٥٨ ألف دولار) لم يتم استردادها. وهو ينفذ حاليا حكما بالسجن لمدة ١٧ عاما. وهو منبوذ من بقية السجناء لكونه شرطيا سابقا، كما أنه يلقى منهم معاملة عدائية خصوصا لأن جريمته استهدفت الاطفال. وأفادت تقارير أنه تعرض لأعمال عنف مما أوجب وضعه في جناح خاص بالسجناء المهدَّدين.

وكانت لهذه القضية التي شغلت اسكوتلنديارد مضاعفات واسعة النطاق أدت بشركتي "هاينز" و"بدغري" وغيرهما الى وضع خطط سريعة لانزال منتجات موضَّبة على نحو يسهل معه كشف أي تلاعب. كما أدت بالمصارف الى التشدد في اجراءات فتح الحسابات واشتراط الحضور شخصيا وتقديم بطاقة هوية أو جواز سفر.

PHOTO: © REX FEATURES

لماذا أقدم ويتشلو على فعلته؟ هذا سؤال لا تمكن الاجابة عليه تخمينا لأنه لم يعترف بذنبه قط.

تخرَّج ويتشلو بامتياز في كلية الشرطة. واعتبره غافن روبرتسون، الذي كان أحد آخر رؤسائه، محققاً كفياً ومتفوقاً ذهنياً على أترابه في نواح كثيرة. الا أنه بقي أعزب على رغم بلوغه الثانية والاربعين من عمره. وكان منطويا على نفسه فلم ينسجم وصفوة رجال المباحث الذين عمل معهم والذين تميزوا برجولة بينة. عاش مع أمه الارملة، ونادرا ما كان يشارك زملاءه في المرح واللهو بعد ساعات الدوام مفضلا مجالسة الكمبيوتر الذي استحوذ عليه.

عندما استذكر روبرتسون أحداث السنة التي عمل خلالها مع ويتشلو، تذكر خيبة كانت تتنامى في نفس الرجل تشبه الاحباط الذي يصيب المرء متى أحس أنه لا ينال ما يستحقه من تقدير. فأدرك روبرتسون متأخراً مصدر تلك العنجهية الفكرية التي كانت تبهج ويتشلو كلما بزَّ زملاءه السابقين حيلة ودهاء.

ويستعيد روبرتسون بمرارة ذكرى يوم تقاعد ويتشلو من الخدمة قبل الاوان لاصابته بالربو، أي يوم دعاه الى تناول طعام العشاء في منزله ليشكره على السنوات الثلاث عشرة التي أمضاها في الخدمة في شرطة العاصمة التابعة لدائرة اسكوتلنديارد. ففي ذلك اليوم بالذات، ٣ أغسطس (آب) ١٩٨٨، بعث ويتشلو بأولى رسائل الابتزاز الى "بدغري."

ويذكر روبرتسون أيضاً ما حدث في مارس (آذار) ١٩٨٧ بُعيد تبوُّئه مركز المسؤولية في باركنغسايد. كانت اسكوتلنديارد في تلك الآونة أصدرت قراراً بخفض ساعات العمل الاضافية على نحو لم يرضِ فريقه الجنائي. فاتصل به ويتشلو في ساعة متقدمة من الليل وأصر على مقابلته فوراً. فقال له روبرتسون: "اذا كان الامر خطيراً فتعال الى منزلي." وعندما وصل ويتشلو أخبر روبرتسون أن الفريق ذهب الى أحد المقاهي لتداول موضوع ساعات العمل الاضافية.

تناهى الحديث الى مسمع جيني زوجة روبرتسون، فقالت لزوجها لاحقا: "انه لأمر غريب. ما الذي يحمل أيا كان على المجيء الى هنا لمجرد سرد أقاويل عن زملائه؟ احترس من هذا الرجل."

فهز روبرتسون كتفيه وسرعان ما نسي الموضوع كليا.

لكن بذور جريمة ويتشلو كانت في الواقع منثورة قبل هذه الامسية بوقت طويل. ففي السنة السابقة، في يوليو (تموز) ١٩٨٦، التحق ويتشلو بدورة دراسية حول مراقبة المشبوهين اطلع خلالها على تفاصيل سرية لجريمة تلويث اطعمة لا تختلف عما أقدم عليه هو. وعلى رغم أن تلك القضية انتهت بالقبض على المجرم، فقد استبدت به فكرة

تنفيذ جريمة مماثلة لا تشوبها شائبة.

فعمد خلال الاشهر الثلاثة اللاحقة الى فتح الحسابات السرية التي يتعذر تتبعها باسم جون وساندرا نورمان. ولم يكتفِ بذلك، بل شرع، بمساعدة صديق صحافي، في وضع مسودة كتاب عن أساليب ارتكاب الجريمة الكاملة.

ولئن هو نفذ ما ورد في هذا الكتاب من نصائح، فلقد غدا، كما استنتج فليمنغ، "مبالغاً في الثقة بالنفس وكسولا لا يرعوي عن تنفيذ جريمته في موقع قريب من مكان اقامته. ومثل كثيرين سبقوه، وقع أخيراً في فخ عجرفته وخيلائه."

ديفيد مولر ■

ترجمة فريد شديد



مكالمة تاريخية

كان السناتور الامريكي هاريس ووفورد مساعداً في الحملة الانتخابيّة للرئيس الامريكي الراحل جون كينيدي عام ١٩٦٠. وبفضله اجريت عامذاك احدى اشهر المكالمات الهاتفيّة في تاريخ الولايات المتحدة، جامعة اسمين طَبَعا ذلك العقد الحافل بالاضطرابات هما جون كينيدي ومارتن لوثر كينغ.

حين أوقف كينغ لمحاولته إلغاء التمييز العنصري داخل مخزن في ولاية جورجيا، وغُلّت يداه بالاصفاد وسيق الى السجن، حضّ ووفورد صهرَ كينيدي سارجنت شرايفر على إقناع المرشح الرئاسي بالاتصال بزوجة كينغ كوريتا سكوت. وكان إظهار التعاطف مع كينغ يهدد بخسارة كثير من الاصوات الانتخابيّة في الجنوب، لكن كينيدي لم يتردّد، بل اتصل بزوجة كينغ المنادي بالحقوق المدنية وقال لها: "لا بد أنّ الأمر شاق عليكِ. اذا كان في مقدوري تقديم اي مساعدة، فلا تترددي في الاتصال بي."

وكالنار في الهشيم، سرى في اوساط السود أن كينيدي اظهر شجاعة في مساندة صراعهم. وأحدثت هذه المكالمة التي "هندسها" ووفورد اثراً عميقاً في حملة كينيدي الانتخابيّة وفي حركة كينغ الاصلاحية.

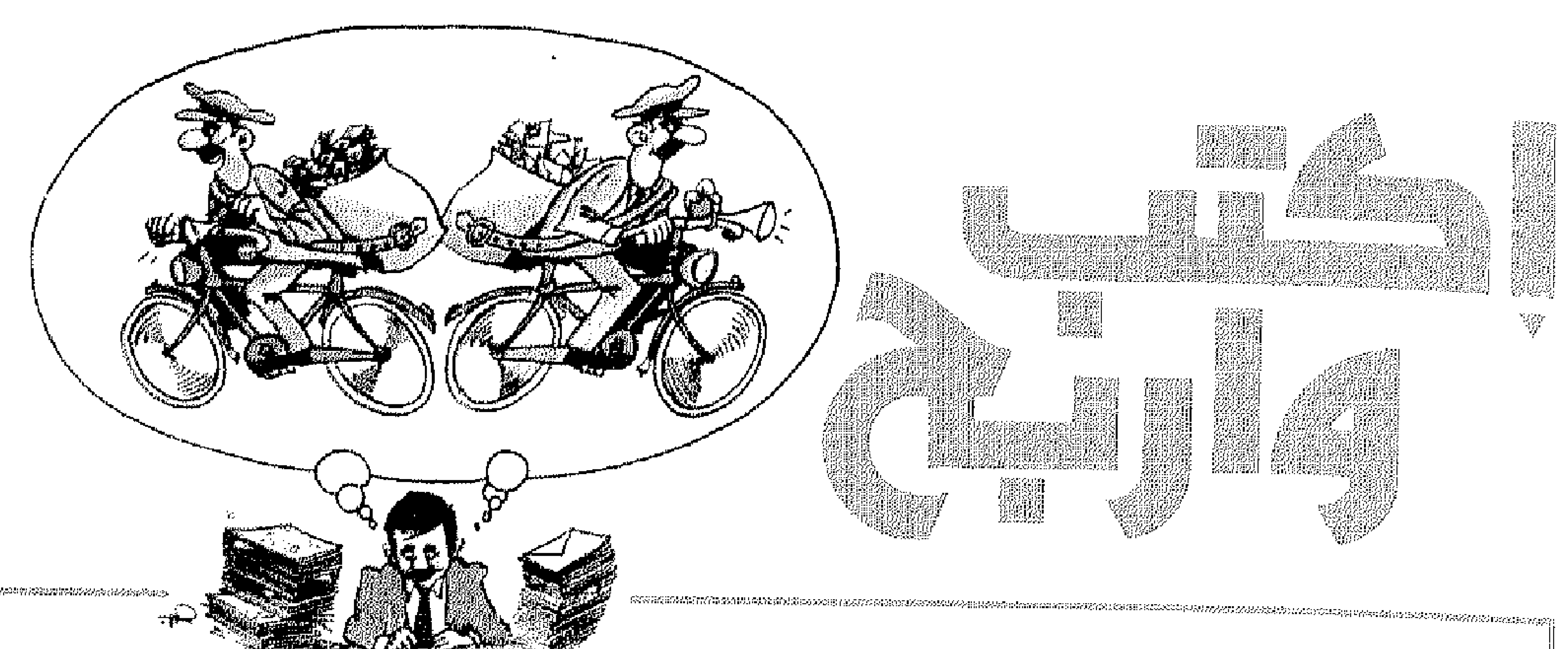
ك.م.

الممثل الحق

اعشق الافراط في الافلام كما في الحياة. أحب المأساة كما الملهاة. أحب الذهاب الى اقصى الحدود وإن بدا ذلك سخيفاً ومضحكاً، واذا كان سخيفاً ومضحكاً كان افضل. التمثيل الحق ليس القيام بحركات وتأدية حوار فحسب. انه الازعاج ايضاً والاثارة، وكذلك العودة الى التكيف. انا لا أؤمن بشيء اسمه "ناموس التمثيل." على المرء أن يرى الاحداث ويحسها ويحياها، ثم يروح يمثلها.

جيرار دوبارديو، ممثل فرنسي

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار". ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان



"الحديقة" - زيتية للفنان الامريكي توماس كورنيل، ١٩٨٩